

اليسار / العدد الستون/ فبراير ١٩٩٥ م / رمضان ١٤١٥ هـ / الثمن جنيهان مصريان



الوطن فى خطر وحكامنا لا يبصرون

سيناريوهات مختلفة لولاية العرش فى السعودية

اشتدى يا أزمة تنفرجى.. فيلم من تأليف صندوق النقد الدولى

لا مفاوضات.. مع نشاط جرافات إسرائيل

أوهام المعركة الأخيرة فى... ملوى

الاستبداد الحكومى.. و الصحفيون.. و الإسلام السياسى



النقابات العماليه
قانون العمل الموحد

فى هذا العدد

اليسار در

رمضان .. والتفاؤل

يصدر هذا العدد- وهو عددنا الأخير فى العام الخامس- مع أول يوم فى شهر رمضان المعظم. ولا نملك فى هذه المناسبة الكريمة الا التفاؤل رغم أن كل ما حولنا يدعو للتشاؤم.

ولسنا نعنى بماحولنا الظروف المالية الصعبة التى تهاجم اليسار كل بضعة أشهر، ولكن ما نعنيه هو أحوالنا، والتى يقدم هذا العدد شهادة عليها.

فالافتتاحية تكشف التناقض الحاد بين ما يعيشه الناس فى حياتهم اليومية، وبين ادعاءات الحكم فى بيان رئيس الوزراء الذى حول كل شئ فى حياتنا إلى زهور وورود!.

والاحداث الداخلية .. سواء ما جرى ويجرى فى ملوى وصعيد مصر، واستمرار القتل خارج القانون، أو ما عاشه الصحفيون على مستويات عدة.. أو.. أو كلها تصب فى خانة التشاؤم.

ولا تختلف الصورة كثيرا على الساحة العربية والدولية .. أو حتى فى ساحة الفن والأدب.

ومع ذلك.. فاليسار هو التفاؤل الدائم. وهو تفاؤل موضوعى ينطلق من احساسنا ووعينا بما يعتمل تحت السطح بين طبقات الشعب العاملة والمنتجة، وتحركاتهم البسيطة الواعدة ، وينطلق أيضا من الجديد الذى يولد على الساحة العربية فى مواجهة الانهيار العربى الذى بدأ فى كامب ديفيد وواصل مسيرته بعد النتائج المأساوية لحرب الخليج.

ويستند الى متابعة واعية لتطورات تجرى على الساحة العالمية، تشى بقوة تتخلق ترفض ما سمى بالنظام الدولى الجديد، وسيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على العالم بصفتها اللاعب الوحيد في ساحته .

نعم .. الطريق طويل وصعب وملئ بالعقبات والتعرجات والهزائم .. ولكنا نلمح من بعيد رايات نصر لابد ان نمسك به يوما .. بشرط أن نعمل بإصرار من أجله.

وكل رمضان وأنتم بخير

اليسار

رئيس التحرير
حسين عبد الرازق

المشرف الفنى
محمود الهندى

المستشارون:
إبراهيم بدراوى
د. رفعت السعيد
صلاح عيسى
د. عبد العظيم أنيس
عبد الغفار شكر
عبد الغنى أبو العينين
محمود أمين العالم

شارك فى التأسيس:
د. فؤاد مرسى

اليسار: منبر ديمقراطى يصدر عن التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى فى اليوم الأول من كل شهر

ALYASSAR 1 KARIM EL DAW-LASt.TALAAT HARB SQ.
CAIRO / EGYPT

الاشتراكات (لمدة سنة واحدة)
مصر: ٢٤ جنيها للأفراد و ٦٠ جنيها للهيئات
الوطن العربى: ٥٠ دولارا أمريكيا أو مايعادلها
العالم: ١٠٠ دولار أمريكى أو مايعادلها
ترسل القيمة بشيك مصر فى أو حوالة بريدية إلى إدارة المجلة.

الإدارة والتحرير: ١ شارع كريم الدولة ميدان طلعت حرب- القاهرة
ت: ٥٧٥٩١٥٢ - ٥٧٥٩٠١١ - ٥٧٥٩٢٨١
فاكس: ٥٧٨٦٢٩٨ - FAX,5786298

موقفنا

الوطن فى خطر.. وحكامنا لا يبصرون

حسين عبد الرازق

يتفق أغلب المهتمين بالعمل العام والمشتغلين بالسياسة فى مصر، أن العام الحالى، عام حاسم فى مصر.

فسيتم خلال عام ١٩٩٥ وحتى النصف الأول من العام القادم، تنفيذ ما تبقى من تعهدات الحكومة لصندوق النقد الدولى، والتى وردت فى الاتفاق الموقع فى سبتمبر ١٩٩٣. وتشمل قائمة التعهدات أخطر ما فى هذا الاتفاق، بدءا بإطلاق الأسعار تحت شعار «تطبيق الأسعار العالمية على السلع والخدمات» وفرض رسوم جديدة على الخدمات الرئيسية مثل الصحة والتعليم والصرف الصحى (لا تقل عن ٢٥٪ من تكلفتها)، وإصدار قانون العلاقة الإيجارية فى الاسكان، وإلغاء الدعم تدريجيا عن رغيف العيش وترك سعره ليحدد حسب العرض والطلب، وتطبيق المرحلتين الثانية والثالثة من ضريبة المبيعات، والاسراع بخصخصة الشركات التابعة لقطاع الأعمال (القطاع العام)، وتخفيض سعر الفائدة لتصل مع نهاية هذا العام الى ٩٪ .. وصولا إلى تخفيض قيمة الجنيه بنسبة ٢٥٪ عبر مراحل متتالية تنتهى عام ١٩٩٦ ووقف تدخل البنك المركزى فى تحديد وتثبيت سعر الصرف عن طريق شراء (أو بيع) الدولارات من السوق. **وتصب كل هذه الاجراءات فى تحميل الطبقات الشعبية والمتوسطة مزيداً من الأعباء، وزيادة البطالة، وارتفاع الأسعار، بالاضافة الى اصابة الاقتصاد الوطنى بأضرار بالغة.**

والحدث الآخر الهام هو **انتخابات مجلس الشعب المقرر إجراؤها فى نوفمبر ١٩٩٥ وهى انتخابات حاسمة بكل معنى الكلمة.** فقد نجح الحزب الحاكم فى احتكار السلطة منذ بدء التعددية السياسية لمدة متصلة تتجاوز ثمانية عشر عاما. وقد حقق هذا الاحتكار مستندا الي استيلائه على سلطة الدولة وأجهزتها، واعتماده التزوير والتلاعب فى العملية الانتخابية وفى النتائج واحتكاره لأجهزة الاعلام المرئية والمسموعة، وأيضا فشل قوى وأحزاب المعارضة فى تشكيل بديل محتمل له، سواء كان هذا البديل حزبا واحدا أو ائتلافا بين الاحزاب، ثم عجزها عن مجرد التنسيق من أجل هدف واحد بسيط هو منع الحزب الوطنى الديمقراطى من استمرار احتكاره للسلطة. **وهناك خطر حقيقى أن يفقد الناس البقية الباقية من الأمل فى التغيير بالوسائل الديمقراطية، إذ نجح الحزب الحاكم فى السيطرة على السلطة والانفراد بها خمس سنوات أخرى، ومن ثم انغلاق الدائرة ليصبح الخيار مطروحا بين حكم تابع وفاسد ومنحاز ضد مصالح الناس ومعاد للديمقراطية، فشل فى تحقيق التنمية والاستقرار والعدالة وبين بديل ظلامى معاد للتقدم والحضارة والقيم الإنسانية يسعى لاقامة دولة دكتاتورية أوتوقراطية تحت شعار الدين، أو البديل الانقلابى .. وكلاهما مر..**

وقد كشف بيان الحكومة الذى ألقاه الدكتور عاطف صدقى (رئيس وزراء مصر منذ ٩ سنوات) يوم ٣١ ديسمبر ١٩٩٤ عن إصرار الحكم على السير بالوطن فى هذا الطريق المغلق، وقيادتنا إلى الكارثة.

فقد تجاهل رئيس الوزراء فى بيانه حقيقة الأوضاع فى مصر، ورسم صورة وردية كاذبة لواقع الحال، وصلت إلى حد قوله «تتميز المرحلة الحالية من الاصلاح بنشر النماء والتقدم فى جميع أنحاء مصر .. ومواجهة

جـــادة لمشكلة البطالة!! .. و«**اختارت الدولة الديمقراطية منهجا وأسلوبا لنظام الحكم**».

وقد احتوى البيان- انطلاقا من هذه المقولة التى تناقض الواقع بشدة- العديد من المعلومات والأرقام والبيانات الكاذبة ، يكفى أن السيد رئيس وزراء مصر ، يقول تحت قبة مجلس الشعب «**هذا وقد تحقق معدل نمو سنوى حقيقى يبلغ ٤٫٧٪ فى المتوسط خلال إثنى عشر عاما**»، وهو قول ينافى الحقيقة كما يعلم رئيس الوزراء نفسه.

فطبقا لأرقام البنك الدولى للانشاء والتعمير (راجع **اليسار** عدد ديسمبر ١٩٩٤ مقال **د. عبد العظيم أنيس**) والمستمدة من الوثائق المصرية الرسمية فإن **معدل النمو السنوى الحقيقى خلال السنوات الاثنتى عشرة الماضية لم يتجاوز ٢٫٩٢٪** وليس ٤٫٧٪ كما يقول رئيس الوزراء ، وذلك على النحو التالى:

من ١٩٨٠ إلى ١٩٨٤ كان معدل النمو السنوى ٦٫٩٩ ٪.

وانخفض هذا المعدل خلال الفترة من ١٩٨٥ إلى ١٩٨٩ إلى ٢٫٥٤٪ وكان المعدل عام ١٩٩٠ هو نفس المعدل ٢٫٥٤٪ وتوالى الانخفاض فى السنوات التالية، فوصل إلى ٢٫٢٧٪ عام ١٩٩١ ، ثم إلى ١٫٨٪ عام ١٩٩٢، ثم إلى ١٪ عام ١٩٩٣ ، أى إلى أقل من ٤٠٪ من نسبة الزيادة السنوية فى السكان (٢٫٦٪).

ورغم ذلك يجد رئيس الوزراء الجرأة ليتحدث عن نشر النماء والتقدم خلال السنوات الأثنتى عشرة الماضية من عهد الرئيس حسنى مبارك.!

وأكثر ما يثير التعجب والقلق أن رئيس **الوزراء قد سكت تماما فى بيانه عن أى اشارة لانتخابات مجلس الشعب القادم فى نوفمبر ١٩٩٥ ، والتى ستجريها حكومته ، متجاهلا ان هذا** الموضوع يأتى فى مقدمة اهتمامات الأحزاب والقوى السياسية، وأنه كان أحد أهم الموضوعات التى طرحت فى مؤتمر الحوار الوطنى ، حيث طالب الحزبان الرئيسيان اللذان لم يقاطعا المؤتمر«حزب التجمع وحزب العمل» بضرورة تعديل قانون مباشرة الحقوق وتوفير الضمانات الأساسية لانتخابات حرة ونزيهة.

ويبدو أن رئيس الوزراء الذى أشرفت حكومته على تزوير انتخابات مجلس الشعب مرتين(١٩٨٧و١٩٩٠)، تعمدا ان لا يشير بكلمة واحدة لهذه الانتخابات المتوقعة لعلمه أن هناك تزويراً جديداً فاضحاً يعد له فى الانتخابات التكميلية التى كانت على وشك الحدوث فى أربعة من دوائر الاسكندرية والقليوبية ودمياط وبورسعيد.

استدعت الحكومة كل أساليب التزوير القديمة والحديثة ، وخاصة «أساليبها التى استخدمت فى انتخابات ١٩٧٩ أيام **النبوى إسماعيل** ، وبدا واضحا **أن الشرطة والادارة المحلية والمحافظين وأجهزة الدولة والقطاع العام**، قد تحولت خلال هذه الانتخابات التكميلية إلى أجهزة تابعة تماما للحزب الوطنى ، تزور بكثافة بالغة لصالح مرشح الحزب الحاكم . وقد تم هذا التزوير فى الدوائر الأربعة «**مينا البصل -قليوب- الزرقا -عرب الضواحى**» ضد مرشحين مستقلين فى الغالب(عدا قليوب) ، وبدرجات متفاوتة ، ويلغ حده الأقصى **فى مينا البصل ثم الزرقا** ، ففى ظل تحويل دائرة **مينا البصل** إلى «ثكنة



عسكرية حقيقية .. لا قبل للمرشحين بها حسب نص كلمات مساعد مدير أمن الاسكندرية .. حيث انتشرت قوات مكافحة الارهاب بارديتها السوداء المميزة وعرباتها المدرعة وقاذفات الغاز المسيل للدموع وعربات الإطفاء والأوناش الجبارة وعربات الإسعاف وفرق الكاراتيه ، ومنع المرشحين (غير مرشح الحكومة) ومندوبيهم ووكلائهم من الاقتراب من مقار لجان الانتخابات .. كان طبيعيا. أن **تعلن وزارة الداخلية ، فى سابقة هى الأولى من نوعها حصول مرشح الحكومة «سعيد عبده» على ٣٢٢٣٤٠ صوتا، وأن عدد الذين أدلو بأصواتهم وصل الى ٦٢٧٤٩٠ بنسبة ٦٤٪ ممن لهم حق التصويت** وهى أرقام تقطع بحد ذاتها بوقوع التزوير حيث لم يتجاوز عدد الأصوات التى حصل عليها أى نائب فى هذه الدائرة فى تاريخها ٣٢٠٠ صوت ، ولم تتجاوز نسبة التصويت فى كل الانتخابات التى سبق تزويرها ١٥٪ من عدد المقيدين فى جداول الانتخاب!! وتكرر هذا التزوير الفاضح والاستفزازى فى دائرة **الزرقا** حيث منح مرشح الحكومة ٥٢٦٨٣ صوتا قام بتسويدها رجال الأمن والادارة ، بينما قاطع الناخبون عمليا هذه الانتخابات التكميلية.

إن هذه الحقائق المؤسفة تضع الوطن فى مأزق خطير.

ولا يمكن التعويل على «أننا هذه المرة سوف نشهد متابعة دولية تصل إلى حد الرقابة على مجرى عملية الانتخابات ، وسوف يحدث ذلك سواء بموافقة رسمية أو بغير موافقة رسمية .. كما أشار **محمد حسنين هيكل** فى بيانه الهام الذى ألقاه فى لقائه الفكرى فى معرض الكتاب.

كذلك فلا يمكن الرهان ، على موقف يتخذه رئيس الجمهورية بحكم سلطاته الدستورية الواسعة ، تفتح الباب لقدر من التغيير بالوسائل الديمقراطية السلمية عبر انتخابات أقل تزويراً وتدخلا.

إن مواجهة هذه التحديات بشقيها الاقتصادى- الاجتماعى والسياسى، تتطلب **موقفا عمليا وموحدا من الأحزاب والقوى السياسية الديمقراطية ، رغم تباين البرامج الاقتصادية و الاجتماعية.**

لقد طرحت الامانة العامة لحزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى منذ أكتوبر من العام الماضى ضرورة أن يكون عام ١٩٩٥ **عاما للإصلاح الديمقراطى والتغيير.** وطالبت بالبدء فوراً فى خوض معركة جماهيرية سياسية إعلامية «للعمل على تحقيق ارادة الشعب فى إنتخابات حرة نزيهة تعيد له الحق فى التعبير عن إرادته الكاملة عبر صندوق الانتخابات ، وذلك بتوفير مجموعة من الضمانات وإصدار قانون جديد لمباشرة الحقوق السياسية» ، وأصدرت برنامجا متكاملا للاستعداد الحزبى والسياسى لانتخابات مجلس الشعب (نوفمبر ١٩٩٥) والمحليات (فبراير ١٩٩٦)، وبدأت بإجراء إتصالات مع الأحزاب والقوى السياسية من أجل عمل مشترك **لاصدار القانون الجديد لمباشرة الحقوق السياسية والذى تقدم خالد محيى الدين بمشروعه لمجلس الشعب . ومن أجل التنسيق الانتخابى لإنهاء احتكار حزب واحد للأغلبية المطلقة لمقاعد مجلس الشعب.** وهو هدف ممكن التحقيق كما تدلنا على ذلك نتائج الانتخابات السابقة.

صحيح أن الحزب الوطنى اغتصب بصورة دائمة ما يزيد عن ثلثى مقاعد مجلس الشعب (٨١٫٨٪ عام ١٩٧٦- ٩٠٪ عام ١٩٧٩-١٩٨٧، ٧٢٫٩٪) عام ١٩٨٤-٧٧٪ عام ١٩٨٧-٧٩٫٦٪ عام ١٩٩٠) ، ولكن صحيح أيضا أن الأحزاب المعارضة والمستقلين حصلوا- رغم التزوير وخوضهم الانتخابات متنافسين على نسبة أصوات تتراوح بين ٢٧٪ (عام ١٩٨٤) و ٣٧٫٩٣ ٪ (عام ١٩٧٦) باستثناء انتخابات ١٩٧٩ التى شهدت تزويراً غير مسبوق ، وانتخابات ١٩٩٠ التى قاطعتها الاحزاب الرئيسية عدا حزب التجمع.

إن نقطة البدء فى اخراج مصر من هذا النفق المظلم الذى يقودنا اليه الحكم القائم بإصرار تكمن فى هذا التنسيق وفى العمل المشترك من أجل فرض الضمانات الأولية لانتخابات حرة وهى معركة طويلة لها أبعادها السياسية والاعلامية والجماهيرية.

وعلينا أن نخوضها الآن وليس غداً . فمصير الوطن فى خطر ، وحكامه لا يبصرون أبعد من أنوفهم.

هوامش على دفتر الحياة

التعليم مرة أخرى.. خلاف في المنهج

د. عبد العظيم أنيس

بيني وبين وزير التعليم الحالي الأستاذ الدكتور **«حسين كامل بهاء الدين»** احترام وتقدير ومودة ، لكن هذا لا يمنعني من القول بأني أختلف معه جوهرياً في منهجه لإصلاح التعليم ، وأنا لم أقابل وزير التعليم في حياتي غير مرتين عابرتين حديثا ، إحداهما في مناسبة عزاء والأخرى في ختام ندوة نظمها اليونسيف مؤخرا حول التعليم الابتدائي في مصر بمناسبة الدراسة التي مولتها تلك الهيئة وأشرف عليها **د. نادر فرجاني** عن طريق المسح بالعينة للتعليم الابتدائي في ثلاث محافظات في مصر هي: **كفر الشيخ ، المنيا والقاهرة.**

وبالطبع لم تتح لي في هاتين المناسبتين العابرتين غير التحية ، والسلام ، لكني قد كتبت في العام الماضي بعض المقالات في مجلة **«الهلال»** القاهرية تحت عنوان **«هل يمكن إصلاح التعليم وحده؟»** عبرت فيها عن قناعتي بأن إصلاح التعليم في مصر إصلاحا حقيقيا أمر شبه مستحيل ما لم يجر موازيا له إصلاح قطاعات وطنية أخرى مثل الصحة، وقطاع الأجور ، والبطالة الخ ، فنظام التعليم ليس إلا نسقا جزئيا ضمن النسق الاقتصادي الاجتماعي العام في مصر يتأثر كل يوم وكل ساعة بهذا الذي يجري في النسق الاجتماعي والاقتصادي العام ويؤثر فيه. هذا التفاعل الديناميكي المستمر بين نسق التعليم والنسق الكلي أمر يختلف عن درجة التفاعل بين أنساق جزئية أخرى كالمواصلات مثلا وبين النسق العام . ولذلك

فكل إصلاح جاد للتعليم ينبغي أن يكون ضمن خطة للإصلاح والنهوض الشامل، كما حدث في ثورة يوليو مثلا . لكننا نعيش في عهد سياسات اقتصادية انكماشية معادية للفئات الشعبية ، عمالا وفلاحين وبورجوازية صغيرة بل وحتى طبقة وسطى، تسميها الهيئات المالية الدولية الجاثمة علي صدورنا سياسة **«التكيف الهيكلي»**، وتسميها الحكومة كذبا **«سياسة الإصلاح الاقتصادي»**، وقد أدت بنا هذه السياسات علي يد **د. عاطف صدقي** وأعوانه إلي خفض ميزانيات الخدمات، ورفع الأسعار ، والتوسع في البطالة، وبيع القطاع العام للأجانب والصهاينة ... إلخ أي إلي ما يمكن أن نسميه «الخراب الثاني لمصر» لأن الخراب الأول وقع في أواخر القرن التاسع عشر في مصر عندما سيطر الاجانب علي اقتصادنا من أجل سداد ديون اسماعيل ، وعن وقائع هذا الخراب كتب **تيودور روزشتاين** كتابه الشهير الذي ترجمه المرحوم **بدران** «خراب مصر».

مثلا من أن يمكن أن يأتي الإنفاق المالي المطلوب علي التعليم في ظل سياسة الانكماش ، من أجل بناء مدارس جديدة ، ومن أجل رفع حقيقي لمرتبات المدرسين حتي يمكن مطالبة المدرسين بالتركيز علي التدريب بالمدارس بدلا من الانشغال بالدروس الخصوصية، والتي يسميها البعض «السوق الموازية»!

سوف نجد أن الوزير قام باللجوء إلي رجال الأعمال للتبرع لبناء المدارس ، مع بعض الزيادة في ميزانية الوزارة . ومع أنني لست ضد التبرع من ناحية المبدأ ، إلا أن هذا لا يمكن أن يحل مشكلة عامة ، ولا ينبغي من ناحية المبدأ أن يتسع الباب لأن رجال الأعمال هؤلاء سوف يطلبون من الحكومة المقابل من الخدمات سواء أكان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر.

أما موضوع المرتبات فقد حاول الوزير حلها عن طريق زيادة متواضعة في المرتبات مع إعطاء المدرسين مكافآت من جيوب أهالي التلاميذ في مجموعات التقوية ، ومعنى هذا أن الوزير اضطر إلى التوسع في الأخذ من جيوب الأهالي لتعويض المدرسين ، أي أننا عدنا عمليا إلى سياسة المصروفات في التعليم ، حتى ولو كان ذلك تدريجيا ، وهو نفس ما يحدث في الجامعات اليوم ، إذ أصبحت رسوم العمل من أجل الماجستير أو الدكتوراة مئات الجنيهات ، وبدأ العام الماضي تحصيل نحو ٨٠ جنيهاً رسوم من طلاب الجامعة في بعض الكليات ، ثم حدث عدول عن ذلك بعد ما تبين من سخط شديد في أوساط الطلاب على هذه السياسات . ولا شك أنه ستكون هناك عودة إلى المحاولة من جديد في السنوات القادمة ونحن في الحقيقة قد عدنا إلى عهود سياسة المصروفات في التعليم بعد أن نعم الشعب بمجانية التعليم في عهد ثورة يوليو ، وهي حقيقة تزداد وضوحا على يد وزير التعليم الحالي الذي يبدو أنه استسلم لفكرة العودة إلى المصروفات في التعليم . تأمل

مثلا المعاهد الخاصة العديدة التى تعلن عن نفسها كل يوم فى مدينة ٦ أكتوبر حيث المصروفات بألوف الجنيهات وحيث مستوى التعليم فيها منحط بطبيعة الحال ، بل تأمل الجامعات الخاصة الست التى صدر قانون جديد بها ، والتى ستكون أيضا المصروفات فيها بألوف الجنيهات ولا يبدو فيها حتى الآن أى استعداد حقيقى لا من ناحية الاجهزة والمعامل أو هيئات التدريس.

ومعنى هذا بصريح العبارة أننا بالتدريج نعود إلى التعليم الطبقى فى مصر ، ومن أسف أن يتم هذا على يد الدكتور حسين كامل بهاء الدين.!

ولقد كان من الممكن أن أعطى عشرات الامثلة على هذا الوضع المتناقض الذى يجد فيه وزير التعليم نفسه لولا ضيق المقام . وسوف أكتفى بإعطاء مثل آخر من واقع دراسة **اليونسيف** عن التعليم الابتدائى فى مصر التى نوقشت يومى ٢١ ، ٢٢ ديسمبر بالقاهرة . فقد اتضح من هذه الدراسة التى قامت على أساس مسح إحصائى بالعينة فى ثلاث محافظات ركود نسب الالتحاق سنويا فى السنوات السبع الأخيرة ، وتسرب **٢٥٪ من التلاميذ قبل إكمال المرحلة الابتدائية ، والتدنى المفزع لمهارات التلاميذ فى القراءة والكتابة والحساب ، خصوصا فى الريف والاحياء الشعبية** . وقد انتهت هذه الدراسة إلى العديد من التوصيات أهمها فى رأيى تلك التى صيغت فى تقرير اليونسيف كما يلى:

«إن أى محاولة جادة للتغلب على الآثار السلبية فى ميدان التعليم لا يمكن أن تقتصر على ميدان التعليم وحده ، وإنما ينبغى أن تتعداه إلى مجمل السياسات الاجتماعية والاقتصادية أيضا . وبمعنى آخر فإن ترك هدف تعميم التعليم الابتدائى وإكساب أطفالنا مهارات حقيقية للسياسات الراهنة وقوى السوق ينطوى على خطر أكيد على التنمية البشرية وبالتالى على قضية مستقبل التنمية بأكملها».

وكمثال على هذه النتيجة : كيف يمكن أن نتغلب على ركود نسبة الالتحاق بالمدرسة الابتدائية التى اتضحت فى السنوات الأخيرة ! إن العشرة فى المائة أو أكثر من الذين يلتحقون بالمدرسة أصلا مع أنهم فى السادسة من العمر هم أفقر الفقراء بطبيعة الحال.



د. حسين كامل بهاء الدين

والذين يدخلون التعليم ولا يكملون بحثا عن العمل لمساعدة الأهل (٢٥٪ فى هذا البحث ، ٣٦٪ حسب تقديرات البنك الدولى) هم الفقراء ، وهؤلاء من الالوف المؤلفة فى حاجة إلى دعم مالى من الدولة إذا أردنا أن نحشرهم فى إطار التعليم الابتدائى ... دعم مالى لدفع الرسوم ، دعم مالى لشراء الملابس المدرسية ودفع نفقات المواصلات والكتب ومجموعات التقوية ، وتعويض الأهل عن الدخل الذى يحصلون عليه من عمل هؤلاء الاطفال .. الخ .. فهل الدولة مستعدة لذلك ،وهل يسمح صندوق النقد؟

وأخيراً هناك نقطة تتعلق بالجهاز التعليمى الذى يعتمد عليه الوزير فى الاصلاح وهو الجهاز البيروقراطى فى ديوان الوزارة والمحافظات ، وهو جهاز- ككل اجهزة الدولة- يضرب فى الفساد فى أطنابه، والاعتماد على مثل هذا الجهاز فى الإصلاح ، كالبناء على الماء، وأريد أن أعبر هنا عن قناعتى بأن **أحد شروط إصلاح التعليم هو توفر حركة جماهيرية من العاملين فى حقل التعليم ، مدرسين ونظار وإداريين ، تكون مقتنعة بأهداف هذا الإصلاح وتعمل فى حماس من أجله خصوصا إذا كان من أهداف هذا الاصلاح محو عار الأمية** .. وهذا غير متوفر الآن ، فالمدرسون مشغولون بالدروس الخصوصية ، وقد وصل الأمر إلى أن بعضهم أخذ من الوزارة إجازة لمدة عام بدون مرتب ليتفرغ بالكامل للدروس الخصوصية ، وفى السنوات الاخيرة شمل العمل فى الدروس الخصوصية كبار المفتشين والاداريين العاملين فى ديوان الوزارة، ولن أقول أكثر من ذلك عن هذا الموضوع!

أرجو أن أكون بهذا قد أوضحت جذور الخلاف فى الرؤية بينى وبين وزير التعليم ولست الوحيد من أساتذة الجامعات التقدميين الذين يختلفون مع منهج الوزير فالاستاذ الدكتور **كمال نجيب** الاستاذ بتربية جامعة الاسكندرية -وهو من الرجال الذين أكن لهم احتراما- قد عبر عن خلافه مع الوزير فى موضوع «الثانوية العامة» مؤخراً فى مقال بجريدة«الأهالى» وهناك الكثيرون من أساتذة كليات التربية الذين يعبرون عن نفس التوجه.

لكن الوزير يبدو مقتنعا بأنه قادر على إصلاح التعليم بالعمل الدؤوب (ولا أحد ينكر أنه يبذل جهدا كبيرا) باعتماده على صلته برئيس الجمهورية والسيدة حرمه اللذين يساندانه بطبيعة الحال.

وفى رأيى أن هذا لا يكفى لإصلاح التعليم ، وبالطبع هذا لا يعنى أنه لن تتحقق انجازات مثل المبانى الجديدة ولا أحد ينكر الجهود الكبيرة التى ينجزها الوزير ، لكن هذا شئ مختلف عن إصلاح التعليم إصلاحا حقيقياً دائما كما نتمنى ، وسوف تثبت الأيام على أى حال أين وجه الحقيقة فى هذه المسألة الخلافية.

نداء جاء فى أوانه

أثبت النداء الذى أصدرته **اللجنة التحضيرية لمؤتمر مقاومة الصهيونية ومقاطعة إسرائيل** ،والذى نشرته صحيفة«العربى» يوم الاثنين ٩ يناير الماضى

نـــــداء جـــاء فـــى أوانــــه

تحت عنوان **«نحو حركة شعبية لمقاومة الصهيونية ومقاطعة إسرائيل»** انه يتمتع بقاعدة شعبية واسعة حقا ، ولقد أخذت المبادرة لهذا العمل -كعادتها- **لجنة الدفاع عن الثقافة القومية التى** تشكلت تاريخيا من كافة القوى الوطنية المعادية لاتفاق **كامب ديفيد** ، وإن كانت تجتمع فى إطار حزب التجمع ، لكن المبادرة هذه المرة لم تقتصر على لجنة الدفاع عن الثقافة وحدها وإنما شملت لجان أخرى من جانب الحزب العربى الناصرى ومن جانبُ حزب العمل ، وكلها تحمست للاشتراك فى الاجتماعات الأولى التى استهدفت بحث جهود التطبيع التى تبذلها إسرائيل واللوبى الصهيونى فى القاهرة من المصريين .

ومن هذه الاجتماعات تشكلت اللجنة التحضيرية المذكورة ، وبدأت اجتماعاتها بالتناوب فى مقرات الأحزاب الثلاثة (التجمع الحزب الناصرى ، حزب العمل) استهدف هذا التناوب تأكيد استقلالية اللجنة عن توجهات أى حزب من الأحزاب ، وإن كانت بالطبع تضم عناصر حزبية عديدة ، ولقد أكدت اللجنة أن عملها الوحيد هو **الإعداد لمؤتمر شعبى هدفه الأول والأخير مقاومة الصهيونية ومقاطعة اسرائيل**، وتعبئة الجهود الشعبية فى هذا الاتجاه إزاء ما تراه من محاولات المعسكرالمضاد لتحويل«السلام البارد» إلى «سلام ساخن» بين مصر واسرائيل كما يقولون.

ولذا يقول نداء اللجنة التحضيرية «يستشعر الموقعون على هذا النداء الخطر الداهم الذى يهدد أمتنا العربية فى هذه اللحظة الخطرة من تاريخنا ... **فالمشروع الاسرائيلى يهدف إلى السيطرة على عقل الأمة وروحها ومقدراتها الاقتصادية . إن المحاولات المتصاعدة لما يسمونه بالتطبيع وانتقال هذه المحاولات من المستوى الرسمى إلى دوائر رجال الأعمال والمثقفين ورجل الشارع ، ومن بلد عربى واحد ليصبح على امتداد الوطن العربى من مشرقه إلى مغربه ... إن هذه الموجة الجديدة والمحمومة للتطبيع تهدف إلى محاصرة المستقبل العربى والتغلغل فى كافة مناحى حياتنا السياسية والثقافية والاقتصادية فى إطار المشروع الشرق أوسطى الذى تم تدشينه مؤخراً فى مؤتمر الدار البيضاء والذى يهدف إلى المزيد من الإفقار والمهانة للشعب العربى».**

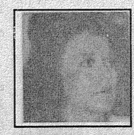
أما كيف نواجه هذا الخطر ونهزمه فى نهاية المطاف ، فقد عبرت اللجنة التحضيرية فى هذا النداء عن قناعتها بأن هناك طريقاً واحداً لذلك عندما قالت:

«إن قوى أمتنا على اختلاف توجهاتها من مستقلين إسلاميين وقوميين واشتراكيين وليبراليين فى كافة المواقع الحزبية والنقابية والمهنية والطلابية والعمالية والفلاحية مدعوة إلى توحيد جهودها فى إطار عمل مشترك من أجل الدفاع عن هوية أمتنا ومصالحها التاريخية فى سيادتها على أرضها ومواردها واستقلال قرارها السياسى .. وفى السعى إلى إحكام الحصار الشعبى على الكيان الصهيونى بكافة الأساليب ومن بينها المقاطعة الشعبية الشاملة للبضائع والأفراد والمشروعات والأفكار الصهيونية».

إن هذا الطريق الذى تشير اليه اللجنة هو طريق طموح بطبيعة الحال أمامه دون شك عقبات كثيرة ، وأنا لا أشير بذلك فقط إلى جهود المعسكر الآخر التى تبذل لإفشال عمل هذه اللجنة ، وإنما أشير أيضا إلى أن هذه اللجنة تضم عناصر ذات توجهات متباينة فكريا كانت قد اصطدمت تاريخيا فى معارك سياسية ، ولا أحد يتوقع أن يتنازل أى طرف من هذه الاطراف عن قناعاته الفكرية ، وهو ليس بالأمر المطلوب على كل حال ،وإنما المطلوب هو تعاون كافة القوى التى تعطى لقضية مقاومة الصهيونية ومقاطعة اسرائيل **(أو بمعنى أدق مقاومة المشروع الأمريكى الاسرائيلى للإستيلاء على مقدارات الأمة العربية وروحها)** أولوية قصوى فى العمل السياسى اليوم سواء أكانت قوى قومية أو إسلامية أو اشتراكية ، وبالطبع ،سوف يقتضي هذا التعاون أن يكون كل طرف مستعدا لروح المساومة السياسية إذا تعذر الاتفاق الكامل بين الاطراف المختلفة فى أى مشكلة تواجهها ، هل هذا ممكن؟

أعتقد شخصيا أن هذا ممكن وإن كنت لا أنكر مصاعبه ، والذى يدعونى إلى هذا التفاؤل هو ما لمسته -كعضو فى اللجنة





محسنة توفيق

الفريق محمد فوزى



أسامة أنور عكاشة



جميل راتب

التحضيرية-من حماس الكتل المختلفة لهذا العمل ، كما اننى أدرك مثل كثيرين أنه فى ظل الوضع الدولى الجديد ، بعد انهيار المعسكر الاشتراكى- وتحول العالم إلى عالم أحادى القطب الذى يتميز بالعداء الشديد لمصالحنا القومية ، لا يوجد طريق ناجع للعمل الوطنى غير طريق الالتقاء فى أعمال محددة بين هذه القوى المختلفة، بأمل أن يؤدى هذا الالتقاء، والتعاون إلى فهم أنضج من كل طرف للأطراف الأخرى ، وإلى نظرة اكثر جرأة لمواقفه الماضية وسلبياتها ، وبالتالي إلي تعاون أكثر ديمومة.

والذى يدعونى أيضا إلى هذا التفاؤل ما يعترف به الكثيرون فى اليسار العربى اليوم من الدور الوطنى الذى تبذله بعض القوى الإسلامية فى الأرض المحتلة وفى جنوب لبنان فى مقاومة قوات الاحتلال والاستيطان الاسرائيلية ، وفى الموقف الموحد الذي أخذه اليسار وجبهة العمل الإسلامى فى الأردن إزاء المعاهدة الاردنية الإسرائيلية ، وفى عدد من الكتابات التى بدأت تظهر فى السنوات الأخير فى لبنان وغيره والتى تنم عن موقف أكثر انفتاحا من جانب بعض قوى اليسار إزاء بعض قوى الإسلام السياسى ، ومن إعادة نظر فى بعض الكتابات الإسلامية من موقفهم العدائى لليسار العربى .

ويبقى أن أذكر أن الذين وقعوا على هذا النداء (نحو مائتين من الشخصيات العامة كدفعة أولى) يمثلون كما ذكرت قطاعا واسعا جدا من شعب مصر ، فإلى جانب الشخصيات التى تمثل قطاعا واسعا من النشاط الحزبى الحالى فى مصر يأتى رؤساء احزاب التجمع والناصرى والعمل والامناء العامون ، ثم عشرات من أساتذة الجامعات بينهم عديدون مستقلون ، ثم عشرات الفنانين **سميحة أيوب كرم مطاوع ، انعام محمد على ، جميل راتب، احمد نبيل، نبيل الحلفاوى ، محسنة توفيق ..)** ثم عشرات من المؤلفين والكتاب والشعراء، **(أسامة أنور عكاشة، محفوظ عبد الرحمن، عبد الرحمن الابنودي فايز حالى ...)** وقادة الجيش السابقون(**الفريق فوزى، الفريق الشاذلى، اللواء صلاح سعدة...)** وعدد كبير من السفراء السابقين وممثلى النقابات المهنية.

لكن ما أثلج صدرى بوجه خاص ، وورود أسماء العديد من الشخصيات النسائية المرموقة والشخصيات القبطية المعروفة ضمن الموقعين على هذا النداء.

دين راسك

فى شهر ديسمبر الماضى مات دين راسك -وزير خارجية أمريكا الأسبق- عن عمر يناهز الخامسة والثمانين، وقد عمل وزيرا للخارجية فى إدارتين ديمقراطيتين متتاليتين : إدارة الرئيس **كيندى** ثم إدارة الرئيس جونسون والحقيقة أن الرئيس كيندى الذى عينه لأول مرة وزيرا للخارجية لم يكن مستريحا فى تعاونه معه، وكان ينوى تغييره بماكنمارا اذا أعيد انتخابه . لكن مصرع كيندى المفاجئ فى دالاس عام ١٩٦٣ حال دون ذلك، وتوثقت علاقات **دين راسك** بالرئيس الجديد **جونسون** ، فهما من الجنوب أحدهما من دالاس (جونسون) والآخر من جورجيا ، وكلاهما من التيار المحافظ داخل الحزب الديمقراطى.

ولسوف يتذكر العالم دين راسك فى أزمتين عالميتين كان فيهما وزيرا للخارجية : الأولى أزمة الصواريخ فى كوبا عام ١٩٦٢ إبان رئاسة كيندى والثانية أزمة حرب فيتنام إبان رئاسة جونسون وفى كلا الأزمتين كان دين راسك متشددا فى موقفه ، فهو صاحب الكلمة المشهورة فى تصوير أزمة الصواريخ **«نحن مقلة عين فى مواجهة مقلة عين وأظن أن الطرف الآخر قد طرفت عينه»** أما أزمة فيتنام فإن الغريب أن تعرف أنه- وهو الذى كان يرأس وزارة الدبلوماسية -كان مصمماً على استمرار الحرب فى فيتنام مهما كانت النتائج ، وكان يبرر موقفه هذا- وهو موقف رئيسه جونسون إلى آخر لحظة- بأن مهادنة هتلر فى الثلاثينات قد أدت إلى أسوأ النتائج ، أى أنه فى حقيقة الأمر كان يشبه نضال شعب فقير من شعوب العالم الثالث (وهو شعب فيتنام) من أجل الاستقلال والوحدة باستعداد هتلر لفتح بلدان أوروبا بقوة السلاح انتقاماً للإذلال الذى شهدته ألمانيا بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الأولى.

وعلى عكس **دين راسك** كان وزير الدفاع **ماكنمارا** قد وصل بالتدريج إلى قناعة بأن حرب فيتنام لا يمكن تحقيق نصر فيها ، وأن سياسة الرعد المتوالى Rolling Thunder عن طريق قاذفات القنابل الأمريكية قد اثبتت أنها مؤذية لسمعة أمريكا ولا تؤدى الى النتائج المطلوبة من الناحية الحربية ، ولذا انتهز ماكنمارا أول فرصة فى عهد جونسون ، واستقال من منصبه.

ونحن فى الوطن العربى .. بماذا نتذكر دين راسك؟

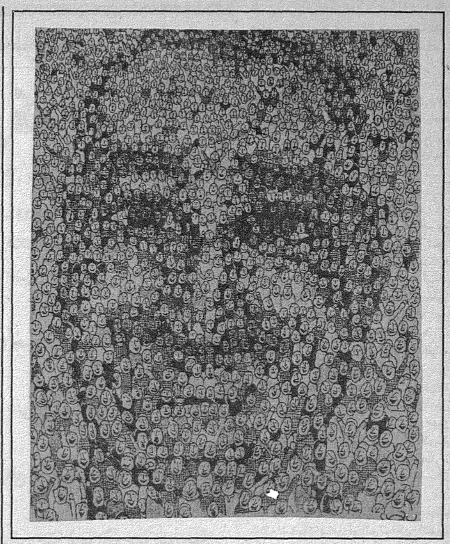
ربما يكون أهم واقعتين تتذكره بهما هو ما أسمى آنذاك معركة القمح بين مصر وأمريكا فى عهد الرئيس جونسون ، ثم حرب يونيو ١٩٦٧ مع اسرائيل ، وكان فى الحالتين وزيراً لخارجية الولايات المتحدة ومن المؤكد أن دين راسك هو واضع سياسة استخدام القمح خصوصا - والمواد الغذائية عموما- فائض الحاصلات الزراعية الامريكية باعتبارها سياسة «العصا والجزرة».

وفى اجتماع جرى فى وزارة الخارجية بمكتبه فى مايو ١٩٦٥ حضره رؤساء المجموعات البرلمانية لمجلس النواب والشيوخ ، شرح دين راسك سياسته فيما يتعلق بالمساعدات الغذائية على النحو التالى:

(١) إن المساعدات الغذائية تتم و

عبد الكريم قاسم





جمال عبد الناصر

أهدافها خلق حالة «اعتياد» تتحول بالتدريج الى حالة «اعتماد»

(٢) عندما تظهر بوادر حالة «الاعتماد» تقوم السياسة الأمريكية عن طريق الإيحاء بالاشارة إلى رغبات لها يزداد تكرار الحديث عنها فى كل مناسبة.

(٣) اذا لم يتحقق شئ باسلوب الإيحاء يتكرر الإلحاح ،وبالطلب الصريح سيتحول الى«ضغط»

(٤) واذا لم يحقق «الضغط» مقاصده يتحول الى«شرط» مسبق من حقه إملاء إرادته ، وإلا حل«العقاب» ابتداء من التوقف عن التوريد الى التوقف عن التوقيع!.

ومنذ أن وضع دين راسك قواعد هذه اللعبة طبقها وزراء الخارجية اللاحقون بأمانة معنا حتى اضطر الرئيس مبارك أن يقول يوما ما «من لا يملك قوته لا يملك إرادته».

وكانت مصر فى عهد عبد الناصر ، وفى ظروف صراعه مع قاسم فى العراق ، قد حصلت على كميات غير صغيرة من القمح بمقتضى القانون ٤٨٠ (قانون فائض الحاصلات الزراعية ، فى أعوام ١٩٥٩، ١٩٦٠، ١٩٦١) ثم مدت الاتفاقية إلى سنوات ١٩٦٢، ١٩٦٣، ١٩٦٤، وعندئذ تقدمت أمريكا بطلباتها من مصر : التفتيش على مفاعل إنشاص ، طرد الخبراء الألمان ، تخفيض حجم الجيش المصرى. القضية المعروفة لكن عبد الناصر كان يملك الرفض بقوة ودون تردد ، إذ كان يملك بدائل لقمح أمريكا وكان أن انتهز فرصة زيارة وزير الكهرباء السوفيتى نوفيكوف ، وطلب منه أن يبلغ رسالة إلى رئيس الوزراء كوسيجين مفادها أن مصر فى حاجة الى جزء بسيط مما يستورده السوفيت من القمح من الخارج وكان الرد بين أيام بتحويل السفن السوفيتية فى البحر الابيض المتجهة إلى ميناء أوديسا إلى ميناء الاسكندرية لتفريغ حمولتها هناك.

وعندما لجأت أمريكا إلى منح اسرائيل صفقة أسلحة واسعة النطاق متصورة أن مصر سوف تصمت بسبب احتياجاتها للقمح ، استدعى عبد الناصر السفير الأمريكى ، وأبلغه أن مستقبل العلاقات العربية الامريكية قد أصبح بهذه الصفقة معبأ بالديناميت ، وأن مصر لم تعد تريد قمحاً أمريكياً.

لكن دين راسك كان أيضا وزيرا لخارجية أمريكا عندما تم الاتفاق بين جونسون واسرائيل على الاعتداء على مصر فى يونيو ١٩٦٧ ، وهو الاتفاق الذى وصفه رئيس البنك الدولى عند اجتماع بعبد الناصر بسياسة إطلاق اسرائيل كما تطلق الكلاب على الفريسة ، وهى العملية التى سميت بعملية «الديك الرومى».

ومن المؤكد أن أجهزة المخابرات الأمريكية كانت فى مقدمة الأجهزة التى تحمست لهذه العملية فضلا عن أجهزة وزارة الدفاع ، وكان هناك دبلوماسيون أمريكيون متخوفين من نتائج هذه العملية عربياً ، وكانوا مقتنعين أن إسرائيل فى سياساتها التوسعية سوف تضم الضفة الغربية إليها من دون شك ، الأمر الذى حدث فعلا.. وكان الكثيرون يتذكرون ما حدث فى المؤتمر الصهيونى المنعقد فى اسرائيل عام ١٩٦٤ برئاسة ناحوم جولدمان والذى عبر فى المؤتمر عن رأى مفاده أن اسرائيل فى حدودها القائمة لا تستطيع استيعاب مهاجرين جدد . فرد ممثلو الحكومة قائلين:«هذه قضية لا شأن لكم بها . عليكم زيادة معدلات الهجرة وعلينا تدبير الأرض اللازمة» وتساءل جولدمان : هل معنى هذا أن اسرائيل تنوى غزو أراض جديدة؟ فرد عليه بنحاس سابير قائلا:« إنه يستهول أن يسمع من يهودى فى مكانة جولدمان تعبير «الغزو» فى وصف حق الشعب اليهودى فى العودة إلى وطنه التاريخى»!!

ومن المؤكد أن دين راسك كان على علم بمؤامرة الإعداد لضرب مصر واحتلال الضفة الغربية وكان مؤيدا لها.

من خط النار فى ملوى:

أوهام المعركة الأخيرة

الفقراء ضحايا الصراع : العمد يسلمون أبناء العائلات الفقيرة بوعد بالافراج وقرض ووظيفة!!.

خطة الأمن: تقطيع زراعات القصب لكشف الشبح.

حظر التجول * تجريدة القرى * احتجاز الرهائن * العقاب الجماعى

خطة الجماعات: فتح جبهة قنا لتخفيف الضغط على أسيوط.

نقل الصراع من الجنوب على الحدود مع أسيوط إلى الشمال على الحدود مع بنى سويف.

هجمات قاطعة على المواقع الضعيفة .. وتفادى الاشتباك مع المواقع القوية.

أزمة الحكم مع الجماعات فى حالة التهدئة وحالة المواجهة.

مدحت الزاهد

اشتعال الموقف فى محافظة المنيا ، وعلى الأخص مركزى ملوى و أبو قرقاص خلال الأسابيع والشهور الأخيرة ، يؤكد أول ما يؤكد خطأ الظن بتحقيق انتصار نهائى على الإرهاب ، كلما انحسرت إحدى موجاته ، ومع هذا فإن الانطباع الذى خرجنا به من زيارة للمواقع الملتهبة على خط النار فى المنيا ، ومن لقاءات مع المحافظ وقيادات الأمن، إن هذه المعركة من وجهة نظرهم هى الفاصلة والحاسمة والأخيرة.

«عليكم ، وعلى المواطنين ، أن تصبروا قليلا لصالح الوطن ، فساعت الحسم أزفت ، و الإرهاب الآن فى وضع المطاردة ، وغدا يلفظ انفاسه الأخيرة»!

حسن الألفى .. وزير الداخلية



هذا ما قاله لنا المسئولون ونحن ننقل شكوى الأهالى من تجريدة القرى وسياسة حظر التجول واجراءات العقاب الجماعى والاعتقالات العشوائية.

رغم ذلك اختتمت أنا وزملائى فى الأهالى عبد الرحيم على وصبرى عبد العزيز التحقيقات الميدانية عن وضع مدينة تحت الحصار بتوقع فتح بؤرة جديدة للصراع فى مراكز شمال المنيا وإمكانية فتح جبهة جديدة فى محافظات أخرى غير المنيا!

كمين فى قنا

بعدها بأيام ظهرت فى الصحف أنباء الهجوم على قطار قادم من أسوان فى كمين بمحافظة قنا ، قرب مدينة قوص ، أصيب فيه العقيدان عادل عباس ومحمد كمال الملازم أول محمد عبد الرحمن والمخبر السرى صبرى ابو المجد ، فضلا عن سائحتين من الارجنتين وعامل بوفيه القطار.

ولا شك ان اختيار هذه العربة من القطار بكل صيدها «الثمين» لم يتم مصادفة ، بل كان هناك نوعان من الترشيد لقناصة الثمين ، إما عبر عيون ركبت من أسوان واتفقت على الهدف فى الاقصر ، أو عبر اختراق فى جهاز الشرطة أو شباك التذاكر ! وتم تأكيد معلوماته فى المسافة بين أسوان والاقصر ، قبل فتح النار على الهدف فى المسافة بين الاقصر وقنا .

وبعدها بأيام قليلة ايضا تناقلت الصحف انباء اشتباكات فى مراكز لم تكن ملتهبة بأحداث العنف فى المنيا ، كسمالوط وبنى مزار.

ودلالة الحادث الأول ، حادث قنا ، انه اعاد وضع السياحة كهدف للضربات ، من خلال أساليب الهجوم على القطارات ، كما أعاد فتح جبهة قنا كمحور للصراع بهدف تخفيف الضغط على المنيا .

وكانت العمليات الإرهابية ضد السياحة قد بدأت اول ما بدأت فى محافظة قنا ، وحكمت المحاكم العسكرية باعدام ١٣ من قريتين فقط هما الحميدات والحجيرات.

من أسيوط لبنى سويف

ودلالة حوادث الاشتباكات فى سمالوط وبنى مزار انها ايضا محاولة لتخفيف الضغط على ملوى وقراها بنقل الصراع من جنوب المنيا على الحدود مع أسيوط إلى شمالها على الحدود مع بنى سويف ، وتوسيع جبهة الاشتباك.

ومعنى هذا ان **جماعات الإرهاب لا زالت تتمتع بدرجة من التماسك والتنظيم ومركزية القيادة ، والقدرة على تنويع اتجاهات الضربات ، ومعاودة فتح جبهات كفنا، او ضرب أهداف** كالسياحة ، كوسائل ضغط للتحكم فى مسار الصراع.

وكنا قد أعربنا عن مخاوف من انقلاب الصراع فى المنيا إلى فتنة طائفية كوسيلة تعبئة ، تلجأ اليها الجماعات لإشعال الموقف كما حدث فى أبو قرقاص عام ١٩٩٠ ، غير ان مصادر وثيقة الصلة بالأمن والجماعات استبعدت هذا التطور الان ، وكانت حجتها ان كعب الجماعات الان عالى ، وهى لن تلجأ لهذا الاسلوب الا عندما يصبح ظهرها للحائط!

وعلى العموم فإنه يمكن تلخيص ملامح الوضع الراهن للمواجهة فى محافظة المنيا ، وربما فى كل محافظات الصعيد ، فيما حدث فى احداث الاثنين الأسود ٢ يناير والأربعاء الاسود ٤ يناير ، فقد كانت افتتاحية هذا العام فى المنيا مُرة ، وكذلك مغرب العام الذى لفظ أنفاسه الأخيرة قبل منتصف ليلة ٣١ ديسمبر عام ١٩٩٤.

الاثنين الاسود

فى ٢ يناير نصبت الجماعات الإرهابية ثلاثة كمائن ، على طريق مصر- أسوان وعلى طريق فرعى قرب قرية الروضة ، وقامت بأربع عمليات ، فى أوقات متقاربة ، هاجمت فيها اتوبيسات وسيارات نقل وميكروباصات ، وقامت بعملية فرز بين الركاب لاصطياد افراد الشرطة ، **وبعد إلقاء خطبة عن الثأر بين الأمن والجماعات ، وتنصيب نفسها كنيابة تملك حق الادعاء ، وقاض يملك اصدار الاحكام ، قامت باعدام ٨ من أفراد الشرطة وثلاثة مواطنين غير ٤ اصابات** ، كان ذنبهم أن الأقدار ساقتهم إلى طريق- مصر - أسوان!!

حرق الأرض

وفى يوم الأربعاء الاسود قامت قوات الأمن بغارة انتقامية على القرى القريبة من موقع الكمائن ، وعلى الأخص قرية المحرص التى ينتمى إليها ١٣ من القيادات الهاربة ، وقرية الروضة ، وخلال تجريدة القرى تم هدم منازل المتهمين الهاربين ، وحرق أثاث المساكن التى لم تنجح اللودارات فى اختراق الحوارى الضيقة إليها ، وقطع الإثارة عن القرى ، واعتقال مئات الشباب وجرهم مسلسلين إلى معسكرات الأمن المركزى ، وتحديد ساعات حظر التجول حتى شملت ساعات الليل والنهار .. وعلى الطريق إلى قريتى الروضة والمحرص، شاهدنا المدرعات وجنود القوات الخاصة منتشرة على الطرقات ، باختصار فقد رد الأمن على إرهاب الجماعات بإرهاب الأهالى!

حدث غداً

وتلخص مشاهد الاثنين والأربعاء كل ملامح الصراع الدائر فى محافظة المنيا الآن او باقى محافظات الصعيد امس او غداً ، فالجماعات تهاجم الأمن بطريقة حرب العصابات «اضرب واهرب» وتختفى كالشبح فى القرى والنجوع او فى زراعات القصب أو المقابر والاماكن المجهولة ، والأمن يهاجم الاهالى مستخدما سياسة العصا الغليظة والعقاب الجماعى حتى يقدم المواطنون لأجهزة الأمن «الشبح» ، كما يقوم بتقطيع زراعات القصب التى تمثل باغصانها الطويلة الكثيفة قاعدة عمليات وخط هروب ، وهذه المواجهة مشتعلة منذ شهر يونيو الماضى الذى انتهت فيه الهدنة بين الأمن والجماعات الإرهابية.

أهداف الضربات

وقد شملت عمليات الجماعات:

***الهجوم على سيارات الشرطة** : واشهر الهجمات الهجوم فى ٢٧ يوليو على سيارتى شرطة بملوى والذى إنتهى بمصرع النقيب **عصام موسى** والملازم أول **شريف محمد حافظ**. وهجوم ٣ أكتوبر والذى أسفر عن إصابة ضابط ومساعديه. وفى ١٥ ديسمبر والذى إنتهى بمصرع الضابطين ياسر الجعلى وتوفيق ختاته.

*الهجوم على الكمائن الثابتة : واشهرها الهجوم على كمين قرب محطة سكة حديد ملوى وقتل فيه جنديان ومواطنان فى ٢٨ أغسطس.

*الهجوم على نقاط الشرطة: اشهرها فى ٢٦ أكتوبر الهجوم على نقطتى شرطة فى مركز ملوى.

***الهجوم على نقاط المرور**: ومن ذلك الهجوم على نقطة مرور المحرص فى ١٤ سبتمبر ، والذى ادى إلى الغاء ٣٠ نقطة مرور فى ١٧ سبتمبر.

***مناطق تمركز للقوات**: وأخرها هجوم فى ١٣ سبتمبر على منطقة تمركز للقوات فى ملوى اسفر عن مصرع جنديين.

***استراحة الضباط**: تعرضت للهجوم فى ٢٣ أكتوبر اسفر عن اصابة ٧ من المواطنين.

***وسائل مواصلات عامة**: أخرها نصب ٣ كمائن لاتوبيسات وباصات وسيارات نقل فى ٢ يناير ، اسفرت عن مصرع ٨ من أفراد الشرطة.

***اغتيال افراد شرطة**: وتقدر بعض المصادر عدد من تم اغتيالهم عام ١٩٩٤ من المخبرين السريين ، والمرشدين بـ ٢٨ مخبراً ومرشداً.

* **أهداف سياحية** : حادث واحد، بإطلاق النار على باخرة سياحية فى ١١ أكتوبر فى دير مواس.

وهذه نماذج شاملة لكل أنماط الصراع من قبل الجماعات ، ولكنها ليست حصراً لعدد العمليات.

العقاب الجماعى

وقد لجأت أجهزة الأمن ، فى مواجهة جماعات الإرهاب ، إلى استراتيجية حرق الأرض ، بهدف حرمانهم من الوجود فى شروط مواتية ، وإجبارهم وذويهم على التسليم ، من خلال تقطيع زراعات القصب ، وتوسيع دائرة الاشتباه والاعتقال الجماعى ، (وتقدر بعض المصادر ارتفاع أعداد المعتقلين من محافظة المنيا وحدها ، مع احتدام المواجهة إلى ١٧ ألف) ، واحتجاز الرهائن ، وهدم منازل القيادات الهاربة وقد بلغ عدد المنازل المهدمة ٢٢ منزلا، وفرض سياسة حظر التجول من الخامسة مساء فى مدينة ملوى ، ومعظم ساعات النهار فى ١١ قرية أخرى ، واتباع سياسة الضرب فى المليان فى سويداء القلب.

كما يشكو بعض الأهالى من أن أجهزة الأمن -رداً على بعض العمليات الإرهابية -تقوم بقتل بعض المحتجزين والقاء جثثهم فى مزارع القصب ، وقد نسبت لهم صفة**قائد الجناح العسكرى**، حتى تبدو الضربات سجالا، ووفقاً لهذه الروايات فإن معظم القتلى فى مزارع القصب من الأبرياء ممن ليس لهم ناقة ولا جمل فى أحداث الإرهاب.

وكان ٣٦ مستشاراً فى محكمة النقض قد وقعوا فى عهد زكى بدر على مذكرة استنكرت انتزاع الشرطة لدور القضاء ، بإصدار وتنفيذ أحكام الإعدام فى الميدان ، ثم التباهى بصلب جثث القتلى على صفحات الجرائد!

خسارة الوسط

وتؤدى سياسات العقاب الجماعى التى

ينتهجها الأمن إلى خسارة «الوسط» أي كتلة السكان الذين تحولت قراهم ومدنهم إلى مسرح عمليات لهذه المواجهات .فمدينة ملوى وهى من أنشط المراكز التجارية فى الصعيد تعانى من سياسة حظر التجول التى تضر وفقا لشهادات عديدة بمصالح الحرفيين والمهنيين والتجار والطلاب . كما أن زراعات الفلاحين فى قرى حظر التجول مهددة ، وعمليات تقطيع زراعات القصب تصيب المواطنين فى مورد رزقهم الأساسى المرتبط بوجود مصنع سكر أبو قرقاص ، وعصارات العسل الأسود فى ملوى ، ووفقاً لشهادات عديدة فإن **الطلاب والعمال والموظفين لا يستطيعون الخروج من هذه القرى لمباشرة اعمالهم** ، وفى أقل التقديرات التى سمعناها من التجار فإن مدينة **ملوى** تخسر يوميا ما لا يقل عن مليون جنيه حتى عجز التجار عن دفع كمبيالات مستحقة السداد نتيجة حالة الكساد.

تسليم الفقراء

ولا تدل عمليات تسليم عمد بعض القرى لشباب مشتبه فيه لاجهزة الأمن على ظاهرة معاكسة لهذا المناخ ، فقد أخبرنا محافظ المنيا ان عدد الذين تم تسليمهم بلغ ٢١٦ ، بينما أكد لنا بعض «العمد» ان سياسة التسليم جرى الاتفاق عليها مع قيادات الأمن فى اجتماع عقد بجمعية الشبان المسلمين وباتفاق علي احتجاز عدد محدود واطلاق سراح الباقى ، غير أن مصير هؤلاء جميعاً اصبح مجهولا. والأدهى من ذلك أن عملية التسليم على وجه العموم تتم مع ابناء العائلات الفقيرة ، وبوعود بإفراج قريب ووظيفة أو قرض من الصندوق الاجتماعى ، وهكذا فإن صراع الطبقات فى صعيد مصر ، يشمل تسليم الفقراء كضحايا وقربانا ، حتى تفلت القرية من العقاب الجماعى ، ولا تمتد يد الأمن إلى أبناء العائلات (والمقصود بالطبع الأثرياء) ليصبح تسليم ابناء العائلات الفقيرة مثل تسليم قطع السلاح ، ضرورة لنجاح التجريدة ،واعطاء«التمام»!

هدنة

ومن الأصل فإن المنيا كانت من المحافظات الهادئة ، لم تحتدم فيها المواجهة بين الأمن والجماعة الاسلامية المسلحة فى ذروة اشتعال المواجهة فى محافظة أسيوط . فقد عقد الأمن هدنة مع الجماعات فى محافظتى المنيا وسوهاج وصدرت تعليمات عليا بالتهدئة وعدم الاحتكاك حتى يتم حسم معركة ديروط.

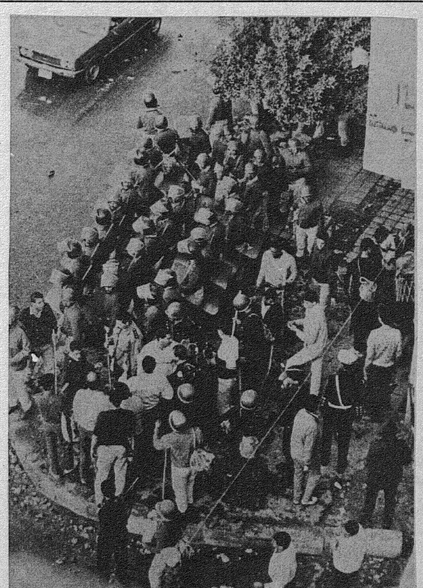
وكانت شروط الهدنة حرية النشاط العلنى للجماعات سواء من خلال جهاز الدعوة ، أى مساجد الجماعة وندوة الثلاثاء ، أو النشاطات الخدمية التى تقوم بها الجماعة - نيابة عن الدولة - فى مجال المستوصفات (الخدمات الطبية) والتعليمية(طبع المذكرات) والتموينية (ضبط الأسعار فى الأسواق) ، بشرط عدم القيام بعمليات عنف فى المنيا.

وقد استغلت الجماعة الهدنة فى تنمية قواها وتوسيع ضغوطها واستخدام المنيا كاستراحة وملجأ للهاربين من المحافظات الأخرى ، ومصدر إمداد بالذخيرة والسلاح ، عبر دروب الطريق الشرقى (الجبل الشرقى) وبعض قراه التى تحولت **لأسواق لتجارة السلاح والذخيرة والمخدرات فى حماية بعض النواب وبعض كبار الضباط السابقين** الذين اعادوا بيع الأسلحة المحرزة لتجار السلاح ومنهم للارهابيين!

خلافات

فى إطار هذا التوجه نشأت لدى بعض

الشرطة فى شوارع المدينة





اثار عملية الارهاب

الأطراف فى جهاز الأمن فى المنيا مصلحة فى استمرار استرخاء الوضع ، وإغلاق هذه الجبهة ، بما أن الجماعة ملتزمة بحصتها من اتفاق الهدنة : أى وقف أعمال العنف.

وقد أدت حالة الهدنة ، أو التهدئة إلى خلافات بين الأجهزة ظهرت واضحة فى حادث مصرع المخبر السرى ربيع محمد عبد الله فى ١٦ يوليو الماضى على ترعة المنصورية ، فقد حاولت اجهزة أمن الدولة التى بدأت تستشعر الخطر الصاق الحادث بالجماعات ، بينما الحت المباحث الجنائية على أنه حادث ثأرى ، وأنتهى الأمر بالإطاحة بمسئول مكتب أمن الدولة فى المنيا.

انفجار

وقد انفجر الموقف بعد ذلك نتيجة تقديرات الأمن، بحسم المعركة فى أسيوط. فصدرت اوامر المواجهة فى المنيا ، فتم منع ندوة الثلاثاء ، وضم بعض المساجد الخاضعة للجماعة لسيطرة الاوقاف، والقيام بحملة اعتقالات بدت ضرورية من وجهة نظر الأمن ، تحسبا للجوء الجماعات إلى العنف رداً على إلغاء الأمن للهدنة.

والمتابع للخط البيانى لتصاعد عمليات العنف سوف يلاحظ قفزة فى المعدلات ابتداءاً من شهر يوليو الماضى، الذى اتخذ فيه الأمن قرار المواجهة.

وكان من الواضح أن الجماعات قد استفادت من فترة الهدنة فى اعداد العدة لمواجهة محتملة ، بينما استرخى الأمن لسياسة التهدئة ودليل ذلك، انه خلال قرابة عام شغل منصب مدير أمن المنيا ٤ لواءات : اللواء صادق ثم اللواء محمد فريد بهنساوى ثم اللواء يسرى شاكر ثم اللواء محمد عبد الفتاح عمر.

أزمة التهدئة

والواقع أن كلاً من سياسة التهدئة وسياسة المواجهة تنطوى على أزمة المتهم الأصلى فيها ليس جهاز الأمن ، بل كامل الأوضاع الاجتماعية والسياسية التى تنتج وتعيد إنتاج الإرهاب ومع ذلك فإن الانتقادات توجه للأمن فى الحالتين فى حالة التهدئة وفى حالة المواجهة ، ومع أن دور الأمن ينحصر فى تحسين شروط المواجهة ، أو جعلها أكثر صعوبة ، وباختصار إعادة تدوير الأزمة ، لا حلها!

ففى ظل سياسة التهدئة ، ومع إطلاق حرية النشاط العلنى للجماعات، تملك الجماعات أكبر حزب سياسى فى مصر ، يذهب له الناس طواعية خمس

مرات فى اليوم ، من خلال المساجد والزوايا ، التى يشرح فيها خطباء الجماعة لشباب عاطل كيف تحولت دار البقاء (الدنيا) إلى دار الجحيم، واصبحت «الشهادة» واجبة للعبور «لدار النعيم» تلبية لنداء الفريضة الغائبة أى الجهاد ضد الدولة الكافرة والحاكم المبدل لشرع الله.

وتظهر هذه الفتاوى ويتلقفها الشباب فى سياق اجتماعى محدد . هو الفقر ، والجهل، والبطالة ، الذى يوفر لدعوة الجهاد جيش القتال.

وهناك روافد أخرى كثيرة لهذه الدعوة فى أجهزة الاعلام ومناهج التعليم حتى يمكن القول أن الصراع الدائر لسيطرة الأوقاف على مساجد الجماعة لا ينطوى على كل هذا المغزى ، فمعظم خطباء الأوقاف لا هم سوى الهجوم على المرأة أو المسيحيين أو فساد الأخلاق ودعارة جهاز التليفزيون وتفسير كوارث الطبيعة كعقاب إلهى لانحراف البشر وضياع الدين وتبشير المصلين بالدرك الأسفل من النار ، بينما يمارس الأزهر دوراً فى مصادرة الابداع ، والحاصل أن خطاب التكفير ، أى الاستنتاج الخاص بتحول مصر إلى«دار حرب كافرة» ، وهو ألف باء الإرهاب ، لا يقتصر على خطباء الجماعة، فهم أكثر استقامة فى ربط حروف الابجدية الف باء «التكفير» ، بجيم دال«الجهاد» ، فإذا انعقد الاجماع على أن الحاكم لا يحكم بما انزل الله وان شرع الله غائب ، أصبح الجهاد الفريضة الغائبة ، حتى لو أخفى دعوتها بعض المشايخ .

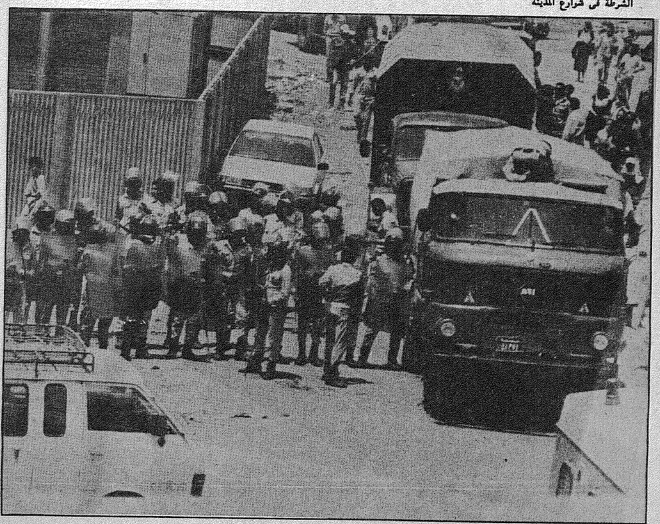
وفى المقابل ، وبينما تمتلك الجماعة أقوى حزب سياسى تكفيرى ، فإن الاحزاب الشرعية مقيدة ومحاصرة داخل المقرات ، ولا يسمح لها بنشاط علنى واسع ، ولو على سبيل تعويم «الجماعات» ، حتى لو كان نشاط الأحزاب موجها إلى معارضة الحكومة ، فبغير هذه المعارضة لا يمكن جذب حركة الاحتجاج لمسار ديمقراطى .

ومعنى هذا أن الهدنة أو التهدئة فى علاقتها بمجمل الأوضاع الأخرى تنطوى على إشكالية استئثار الجماعة بأكبر منبر للدعاية ، فضلا عن تحويل المحافظات الهادئة إلى مؤخرة لمسرح العمليات ، وقاعدة للإمداد والتموين ، ومركز تدريب لإعداد الاحتياطى ، (كما يدل على ذلك تدريبات ٦٠ من فرق الشواكيش والجناح العسكرى) على السلاح فى قرية حسن الشروق «ب أبو قرقاص» حيث صدرت الأوامر بعدم الاحتكاك.

وأزمة المواجهة

واذا ما انتقلنا من الهدنة إلى المواجهة ، فإن الأمن يواجه ظروفاً صعبة ، فهو لا يدخل فى هذه الحالة فى مطاردة مع مجرم هارب أو عصابة أو قطاع طرق يمكن عبر اجراءات معينة تصفية نشاطها ، بل يواجه تنظيماً ، منتشراً فى كل المحافظات هو أقوى تنظيم واجهه الأمن على مدى تاريخه ، يلجأ لأسلوب جديد هو حرب العصابات (اضرب واهرب) بالهجوم على المواقع الضعيفة ، وتنويع اتجاهات الضربات ، ونقل المواجهة من

الشرطة فى شوارع المدينة



قنبلة فى مدرسة أو دار سينما أسهل بكثير من الهجوم على استراحة للضباط أو نقطة شرطة أوكمين أمنى ، أو نقطة مرور.

مجالات النجاح

ومن الصحيح أن جهاز الأمن قد حقق نجاحات فى مواجهة الإرهاب على الأخص فى مجالات احباط التهديدات للمؤسسات الاستثمارية والبنوك وتوفير درجة أكبر من حماية السياحة وتأمين كبار المسئولين واضعاف نفوذ الجماعات فى أحياء الإسكان العشوائى بالعاصمة (امبابة وعين شمس) ، ولكن هذه النجاحات ارتبطت بتطوير اداء الأجهزة وبناء شبكة المعلومات وحسن استخدام التطور التكنولوجى فى تشفير الاتصالات والكشف عن المفرقعات وتأمين مناطق اقتراب المسئولين .. وتخفيف بعض مصادر التمويل والدعم.

غير أن هذه النجاحات ، كما هو واضح ، لا صلة لها بسياسة العقاب الجماعى أو احتجاز الرهائن ، أو حرق الأرض.

فالأمر فى محافظات الصعيد يختلف كل الاختلاف.

خبرة أسيوط

ولم تكن إجراءات العقاب الجماعى هى التى أدت لحسم المواجهة فى أسيوط ، بل التعليمات الخاصة بسحب قوات الأمن المركزى وتضييق دائرة الاشتباه وضرورة التيسير على المواطنين ، ومنع احتجاز الرهائن ، والتى أصدرها اللواء حسن الألفى فور توليه منصبه فبفضل سياسة استهدفت كسب الوسط هدأت ديروط.

ولا نعرف ماذا يحدث فى الداخلية حتى يتم استحضار خبرات الفشل بالذات ، وحتى ينتهى كل وزير جديد باتباع سياسة مخالفة عن التى بشر بها فى بداية عهده.

وعلى العموم فإن الوجه الرئيسى لوضع المواجهة فى المنيا ، كما عشناه من مقابلات عديدة مع مواطنين من كل الطوائف ، يتلخص فى معاناة المواطنين من سياسة القبضة الحديدية للأمن.

والأمن لا يمكن أن يكسب معركة ، يخسر فيها الوسط ، حتى لو كسب إحدى جولاتها.

ومن هذه الزاوية يمكن القول بأن كل المواقع التى اعتبرها الأمن محسومة قابلة للاشتعال ، أما الدعوة للاعتصام بالصبر لأن المنيا تشهد الان معركة فاصلة وحاسمة وأخيرة ضد الإرهاب ، فليس سوى وهم كبير.

و الإرهاب كموجات ، تصعد وتتكسر ، فى بحر متقلب لا حل لها إلا بإقامة مصدات الموج.



شوارع مساكن الضباط مغلقة

القانون، الذى يكفل للأمن حق الدفاع عن النفس فى حالة الاشتباك ، أو تعرضه للهجوم ، أما ربط «الهيبة» باحصاءات لعدد القتلى على الجانبين ، وتوسيع دوائر الاشتباه ، والاعتقال العشوائى فإنه يؤدى فعليا إلى النيل من هيبة الأمن.

وعموما فإن المجتمع المدنى لا يستلهم تشريعاته من أحط الغرائز أو الممارسات الإجرامية فى المجتمع، ولو كان الأمر غير ذلك لأباحت تشريعاته اغتصاب المغتصب، أو حرق منزل من يشعل حريقا فى مصنع ، أو سرقة السارق.

فجوهر فكرة المجتمع المدنى هو احترام القانون الذى يعلن هيبة الدولة ومؤسساتها ، والعكس يمثل مؤشراً على حالة ضعف وانحطاط للدولة ومؤسساتها.

وعموما فإن حاصل أسلوب المواجهة ، بالطريقة التى يتم بها، والتى تعتمد على استعراض القوة ، وترويع الأهالى ، هو خسارة جهاز الأمن لدعم كتلة السكان الذين تحولت مدنهم وقراهم إلى مسرح للعمليات ، حتى لو ملك الأمن زمام المبادرة مؤقتاً لأن المعالجة الأمنية فى هذه الحالة تكون قد اضافت للسياسات المنتجة للإرهاب وقوداً جديداً.

ومن الملفت للنظر فى هذا المجال إن الجماعات قد أبدت اهتماماً بكسب الوسط بأكثر مما فعلت أجهزة الأمن ، والدليل على ذلك انها ركزت عملياتها الإرهابية على أهداف أمنية أو أجنبية (السياحة) ، ورغم أن تفجير

موقع لموقع .

وقد أستهل الأمن مواجهة هذا النمط الجديد بالاساليب التقليدية التى جرى على أساسها اعداد وتدريب الضباط وأجهزة وزارة الداخلية من خلال تمركز القوات فى مسرح العمليات لتحقيق التفوق العددى ، وهو خبرة نسبية فى الحروب النظامية ، وليس فى مواجهة حرب العصابات، والقيام بحملات عقاب جماعى ، لإجبار المواطنين على تسليم أو تقديم المعلومات عن الجماعات ، مثلما كان يجرى اجبارهم على تسليم السلاح ، واحتجاز الرهائن ، والاعتقال العشوائى ، وغيرها من الاجراءات التى ادخلت بعداً ثأريا فى صراع أجهزة الأمن مع الجماعات ، وحاصل اسلوب المواجهة ، بالطريقة التى تتم بها ، والتى تعتمد على استعراض القوة وترويع الأهالى ، وهو خسارة جهاز الأمن لدعم الوسط ، حتى لو ملك زمام المبادرة مؤقتا لأن المعالجة الأمنية تكون فى هذه الحالة قد اضافت إلى السياسات المنتجة للإهاب وقوداً جديداً، وصراع الأمن مع الجماعات مثل أى صراع آخر يصنع فيه كل طرف قانون خصمه فاحتجاز زوجة أو شيخ مسن كرهينة أو اعتقال قريب ، لا ذنب له أو التباهى باعلان الضرب فى المليان ، فى سويداء القلب ، يواجه بعمليات انتقامية ضد افراد الشرطة.

ورغم الفكرة الشائعة والتى تلح على أن هيبة الأمن ترتبط بأن تكون له اليد العليا ، إلا أن ذلك ينبغى أن يتحقق فى نطاق

مصر

هل يدفع الاستبداد الحكومى الصحفيين لتسليم نقابتهم لتيار الإسلام السياسى؟

أمينة النقاش

بشكل مفاجئ تماما ، وفى الوقت الذى كان الصحفيون يظنون بأن معاركهم المتوالية ضد قانون مد سن المعاش لرؤساء مجالس إدارات وتحرير الصحف القومية ، قد كللت بالفوز ، فوجئ الجميع بأن المعركة ما زالت مستمرة ، وأن القانون يتحرك بسرعة داعية للدهشة ،فتم تقديمه وتمريره فى مجلس الشعب خلال أسبوع واحد فقط ، وقبل أن تتاح لأحد من الصحفيين الفرصة لابداء الرأى فيه ، أو تذكير الرأى العام والحكومة بأن صدوره يزيد من تفاقم مشاكل المؤسسات الصحفية الحكومية .

وفور صدور القانون برزت وسط الصحفيين فكرة، تدعو لتسليم النقابة لتيار الإسلام السياسى فى الانتخابات القادمة ، كيدا فى الحكومة ، وفى إصرارها على تفصيل قوانين لمصلحة أنصارها!

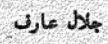
أهداف السادات

ويعود تاريخ هذا القانون منذ أدخل الرئيس الراحل أنور السادات «فقرة ثالثة» على المادة ٢٨ من القانون ١٤٨ لعام ١٩٨٠ بشأن سلطة الصحافة ، والتى تقضى بأنه لا يجوز أن يبقى فى منصب رئيس مجلس ادارة المؤسسة الصحفية ، أو عضويته ، أو فى منصب رؤساء تحرير الصحف القومية ، أو مجالس تحريرها من بلغ سن الستين.

وكانت الفقرتان الأولى والثانية من هذه المادة تقضيان بأن يكون سن التقاعد بالنسبة للعاملين فى المؤسسات الصحفية القومية من صحفيين وإداريين ستين عاما، ويجوز للمجلس الأعلى للصحافة بتوصية ، من مجلس ادارة المؤسسة مد السن سنة فسنة حتى سن الخامسة والستين.

وقد قيل آنذاك أن الرئيس السادات كان يهدف من إدخال الفقرة الثالثة، سد الباب أمام عودة كبار الصحفيين ، لتولى المناصب الادارية العليا فى المؤسسات الصحفية . وقد أثارت هذه المادة منذ تطبيقها بعض المشاكل، وتركزت وجهات النظر بشأنها ، فى أن الصحافة مهنة تقوم على الموهبة التى لا علاقة لها بالعمر ، وأن كثيرين من الصحفيين تجاوزوا سن الستين ، وما زالوا يمارسون المهنة.

كما أن النص فى القانون على جواز تمديد سن المعاش من ٦٠ حتى ٦٥ ، ورهن ذلك على موافقة مجلس ادارة المؤسسة الصحفية



جلال عارف



مجدى مهنا





لقطة من مجلس الشعب

ورئيس تحريرها ، يعرض الصحفيين الذين يبلغون سن المعاش لمعاملة غير لائقة، وأن زملاءهم الذين يتولون موقع القيادة العليا يستخدمون حقهم في الموافقة على التحديد ، لإذلال هؤلاء الصحفيين ، وإجبارهم على إبداء مظاهر الولاء لهم ، مما يفقد معظم الصحفيين العاملين في الصحف القومية ، في السنوات الخمس السابقة على بلوغهم سن المعاش أي قدرة على ابداء ارائهم في طرق إدارة المؤسسة الصحفية ، أو الاعتراض على قرارات روساء مجالس الادارات والتحرير بها.

نقض العهود

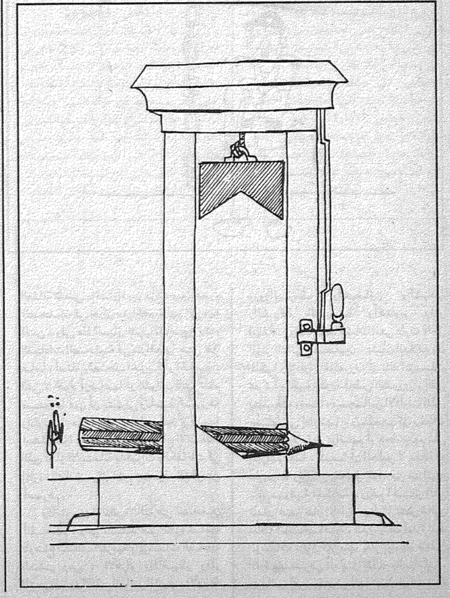
ظلت المناقشات بشأن تحكم القيادات الصحفية العليا في مصير الصحفيين حتى بلوغهم سن المعاش دائرة ، إلى أن حسمها **المؤتمر العام الثاني للصحفيين في يناير عام ١٩٩١،** بإصدار توصية تقضي بالعمل لمد سن المعاش وجوبيا لجميع الصحفيين إلى ٦٥ عاما ، مع بقاء النص الذي يقضي ، بعدم توليهم المناصب القيادية بعد سن الستين ، ويكمن الهدف من وراء ذلك في الحفاظ على كرامة كل الصحفيين ، بحيث يخيبوا أية محاولة للسيطرة عليهم ، أو التعامل معهم بشكل غير كريم ، خلال السنوات الخمس الأخيرة من حياتهم المهنية ، مع بقاء قيد عدم تولي المناصب القيادية بعد الستين ، لتجديد دماء المؤسسات الصحفية ، وفتح الباب أمام صعود القيادات الوسيطة بها.

واعتمدت الجمعية العمومية لنقابة الصحفيين توصيات المؤتمر ، بما فيها هذه التوصية، لكن التفكير في مد سن المعاش للقيادات الصحفية ، عاد للبروز مرة أخرى ، مع اقتراب «**ابراهيم نافع**» رئيس مجلس ادارة تحرير مؤسسة الاهرام ، ونقيب الصحفيين ، من سن المعاش ، وبالفعل أعد مشروع قانون في صيف عام ١٩٩٣ لتقديمه لمجلس الشعب، ولكن تأجل نظره، لتواكبه مع مشاكل فئات اجتماعية تطالب هي الأخرى ، بمد سن المعاش إلى ٦٥ عاما ، كالقضاة ورجال القوات المسلحة والشرطة، مما أدى إلى تأجيل اقتراح بمشروع قانون بهذا الشأن ، كان قد تقدم به أحد نواب الحزب الوطني ، وكان أحد أبرز الأسباب التي أرجأت التفكير في النظر في مشروع هذا القانون ، هو الانشغال بحملة الاستفتاء على الرئاسة الثالثة للرئيس «**حسني مبارك**» ، والرغبة في إتمامها دون استثارة فئة مهمة ومؤثرة من فئات المجتمع، كالصحفيين ، وهو نفس **السبب الذي دفع الرئيس مبارك إلى إعلان أن الدولة ليست لديها نية لتعديل قوانين الصحافة ، والتعهد بعرض أية قوانين بهذا الشأن على الصحفيين ونقابتهم.**

ثلاثة آراء

لكن المطالبة، بإصدار قانون ، بمد سن المعاش للقيادات الصحفية ، سرعان ما عادت للظهور مرة أخرى في صيف عام ١٩٩٤ ، وبدأت صحيفة الاهرام، ما يمكن اعتباره حملة صحفية للتمهيد لصدور هذا القانون.

وتميزت ثلاث وجهات نظر حول مشروع قانون بهذا الشأن ، الأولى هي وجهة نظر الحكومة ، **التي رفضت من حيث المبدأ فكرة أن يكون مد سن المعاش وجوبيا لجميع العاملين بالمؤسسات الصحفية القومية، من صحفيين واداريين وعمال** .واستندت في رفضها ، إلى أن اعداد هؤلاء، تصل إلى عشرات الآلاف من العاملين بتلك المؤسسات ، مما يكبد هياكلها المالية المختلة نفقات باهظة ، تعرضها لمزيد من الاختلال ، نظر لارتفاع ميزانية الأجور بها إلى مجمل تكاليفها الأخرى ، ولأن معظمها يعاني من خسائر متراكمة ، وديون أدت لتوقفها عن دفع أقساط التأمينات الاجتماعية ، وكثير من الجمارك والضرائب المفروضة عليها ، **مما اضطر الحكومة إلى دعم هياكلها التمويلية بمبالغ كثيرة وصلت إلى حوالي ٢٠٠ مائتي مليون جنيه ، بل أن بعضها كان يعجز عن دفع أجور العاملين بها ويضطر إلى الاقتراض من مجلس الشورى- وهو المالك النظري لها- أو**



السحب على المكشوف لدفع الأجور وغيرها من مستلزمات الانتاج.

وفى سياق السياسة الحكومية الرامية إلى تقليص الدعم ، رفعت الحكومة الدعم عن ورق الصحف وطالبتها منذ فترة بأن تسعى لموازنة مصروفاتها وايراداتها ، وهددتها أكثر من مرة بأن عليها أن تعتمد على نفسها ، وأن تكف عن الاعتماد على الحكومة ، وفى هذا السياق اعتبرت الحكومة المطالبة ، بمد سن المعاش لكل العاملين مطلب غير مقبول ، ورفضت النظر فيه من حيث المبدأ .

وفضلا عن ذلك فإن سياسة الحكومة ، ضمن اتفاقيات النوايا التى توقعها مع صندوق النقد الدولى ، تنحو إلى تقليص ما يوصف بالعمالة الزائدة فى المؤسسات الحكومية ، ووحدات القطاع العام المطروحة للبيع ، ومن الوسائل التى اعتمدتها فى ذلك، الالتزام بإحالة- كل من يبلغ الستين إلى المعاش وتقديم تيسيرات تشجع الراغبين فى إنهاء الخدمة قبل هذه السن على الخروج على المعاش ابتداء من سن٥٥ ، هذا بالاضافة إلى وجود فئات إجتماعية عديدة كالقضاة والشرطة ورجال الأزهر والقوات المسلحة ، وقد ترغب فى المعاملة بالمثل اذا ما تم مد سن المعاش للصحفيين ، مما يربك ما يسمى بسياسة (الاصلاح الاقتصادى).

ذرائع المؤيدين

أما وجهة النظر الثانية بشأن قانون مد سن المعاش ، فهى لرؤساء مجالس ادارات وتحرير الصحف الحكومية ، والذين يدافعون عنهم ، وهى تقوم على أن تلك القيادات **تشكل خبرات نادرة وكفاءات أكسبت تميزها من العمل لسنوات طويلة فى مواقعها ، وأن العثور على من يصلح لشغل المناصب التى يشغلونها ، أمر صعب** ، وأنه من الخطأ التفريط فى كفاءة نادرة لمجرد بلوغها سن المعاش ، على الرغم من أنها ما تزال قادرة على العمل والنشاط ، خاصة وان المؤسسات الصحفية القومية تكاد تخلو من صف ثان يستطيع أن يحل محل تلك القيادات ، كما أشار أصحاب هذا الرأى ان القانون بوضعه الحالى يفتقد إلى المساواة والعدالة ، إذ فى الوقت الذى يجيز لعموم الصحفيين ، أن يمدوا سن المعاش إلى ٦٥ عاما ، فإنه يحظر ذلك من يشغل منهم مناصب قيادية ، وان ضرورات العدالة تقضى بالمساواة بين هؤلاء ، وبين عموم الصحفيين فى جواز مد الخدمة لهم إلى هذه السن ، وفى هذا السياق ضرب المناصرون لبقاء القيادات الصحفية فى مواقعها حتى ٦٥ عاما ، أمثلة بالصحف الحزبية أو الخاصة ، التى لا تحول أوضاعها أو القوانين التى تنظم صدورها دون أن يتولى رئاسة تحريرها وإدارتها من تخطى سن الستين ، كما استشهدوا بما ورد فى قانون قطاع الاعمال ، الذى أجاز الاستعانة بالخبرات والكفاءات فى إدارة تلك الشركات ، بصرف النظر عن أعمارهم .

وكانت وجهة النظر الثالثة هى للصحفيين أنفسهم ، وهى تستند على نظرة شاملة لأوضاع الصحف القومية والمؤسسات الصحفية العشر وهى : **الأهرام والأخبار ودار التحرير ووكالة أنباء الشرق الأوسط وروزاليوسف والتعاون والشعب والشركة القومية وأكتوبر ودار الهلال.** ووفقا للمناقشات التى دارت داخل المؤتمر الثانى للصحفيين ، بشأن العلاقة بين الملكية والإدارة ، فالمعروف أن تلك المؤسسات مملوكة ملكية نظرية لمجلس الشورى ، الذى ينيب عنه رؤساء مجالس الادارات الذى يعينهم فى إداراتها ، ويسلمهم كل سلطاته كمالك ، ولا يقوم بمراقبتهم أو محاسبتهم على إدارتهم لها . كما أن المجلس لا سلطة له عليهم ،. وإن كان يتحمل سواء من ميزانيته ، أو ميزانية الحكومة ، ورغم الخسائر التى تسفر عنها تلك الادارة ، وطبقا لنص قانون سلطة الصحافة ، الذى ينظم ادارة تلك المؤسسات ، فإن كلا منها يدار بواسطة مجلس ادارة ، يفترض أنه يمثل المالك والعاملين ، ومجالس تحرير يفترض أنها تضم خبرات فنية

من المشتغلين بالمهنة ، وجمعية عمومية تمثل العاملين فى المؤسسات ، كما تمثل المالك.

وينيط القانون بمجالس الادارات وضع السياسات وتنفيذها ، وينيط الاشراف والتوجه الفنى والمهنى لمجالس التحرير ، بينما تمثل الجمعية العمومية ، ما يشبه دور البرلمان والرقابة على التنفيذ واعتماد الميزانيات ، ومناقشة تقارير الجهاز المركزى للمحاسبات ، ويعطيها القانون حق سحب الثقة من مجلس الادارة ، لكن تلك المؤسسات جميعها ، تعمل بالطريقة التى يعمل بها النظام السياسى ككل فى مصر.

استبداد إدارى

فقد أسفر التطبيق العملى لعمل تلك الهيئات ، عن قيام رئيس مجلس الادارة باختيار أغلبية جميع أعضاء المجلس المعينين الذين يمثلون المالك نفسه كما يتدخل بنفوذه الإدارى لإنجاح ممثلى العاملين ، من أنصاره ، وهو نفس ما يحدث فى الجمعيات العمومية وفى مجالس التحرير! وبذلك تفقد تلك **المجالس كل سلطة حقيقية لها ، وتتحول واقعيا إلى مؤسسات لتأييد رئيس مجلس الادارة ،تأكيد سلطته.** بل انه فى بعض المؤسسات الصحفية يصدر قرارات بحلها وتجميدها ، ونقل اختصاصاتها إليه تحت دعوى ، أنها تعوق العمل ، وتزايد على قرارات الادارة ، وتفتقد للرؤية الشاملة لمشاكل العمل ، وبذلك تنفى تماما سلطة الرقابة والمحاسبة فى المؤسسات الصحفية .

ويزيد من تفاقم هذه الأزمة ، أن **المالك وهو مجلس الشورى ، لا يلتزم بنصوص التنظيمات وتتمثل فى أربع سنوات لمجلس الادارة وثلاث سنوات لمجالس التحرير** ، فضلا عن أن القانون ينص على جواز التجديد لتلك المجالس إلى مدد متكررة ، وبلا حدود ، مما يؤدى إلى استمرار بقاء القيادات الصحفية العليا فى أماكنها لسنوات طويلة، بلا رقابة أو محاسبة أو تصويب لأخطائها ، أو مشاركة فى وضع سياساتها ، وهو ما أدى إلى التدهور فى مستوى ما تصدره تلك المؤسسات من مطبوعات ، وإلى شيوع ظواهر الفساد المالى والادارى بها ، وإلى توالى خسائرها.

الحل الجذرى

وفى هذا السياق ، يرى الصحفيون أن إحالة القيادات الصحفية إلى سن المعاش فى الستين ، هو المنفذ الوحيد لاحتمال حدوث تغييرات جزئية فى أوضاع تلك المؤسسات ، على نحو يسمح مع كل حركة تغيير ، بتلافى بعض الأخطاء وكان المؤتمر العام الثانى للصحفيين ، قد وضع حلا جذريا يضمن ديمقراطية الادارة فى المؤسسات الصحفية ، بتوصية تنص على رفع نسبة المنتخبين فى مجلس إدارة المؤسسة الصحفية إلى النصف ، ومشاركة المحررين فى اختيار رئيس التحرير والفصل بين رئاسة التحرير ورئاسة مجلس الادارة وإعادة منصب العضو المنتدب المتخصص ماليا واداريا ، ونشر ميزانيات الصحف وعقد الجمعيات العمومية بشكل ملزم ، ورفع نسبة المنتخبين فيها إلى النصف هذا فضلا عن مد سن المعاش لكل الصحفيين ، على ألا يتولى أحدهم منصبا قياديا بعد سن الستين لضمان تجديد الادارة ،وتوقى الاضرار الناجمة عن تركيز السلطة ، وإتاحة الفرصة لتداولها بين الأجيال المختلفة داخل المؤسسات الصحفية.

ويرد الصحفيون على القول بأنه لا يوجد صف ثان فى المؤسسات الصحفية ، يستطيع أن يحل محل القيادات القائمة ، كذريعة لمد سن المعاش لها ، بأن هذا معناه ان تلك القيادات قد تعمدت أو أخفقت فى تكوين قيادات وسيطة ، وأن المد لها لن يحل تلك المشكلة ، هذا فضلا عن أن استمرار القيادات الصحفية لسنوات طويلة فى مواقعها يخلق توترات فى العمل تظل تتفاقم نتيجة السلطات الواسعة التى تحوزها ، وأن حالات التغيير تخلق فترات من التهدئة قد تفضى إلى حل تلك التوترات.

كما أوضح الصحفيون أن المشابهة التى يعقدها المدافعون عن مد سن المعاش للقيادات الصحفية والقومية ، مع الصحف الحزبية، هى مشابهة مع الفارق ، لأن الصحف الحزبية والخاصة ليست ملكية عامة ، بل هى مملوكة لاحزاب او افراد ، تتولى بنفسها اختيار رؤساء التحرير ومحاسبتهم ، وتحديد سلطاتهم ، ومساءلتهم حول ادارتها ، فى حين ان **مالك الصحف القومية ، وهى الدولة غائبة تماما عنها ، ولا تمتلك أية وسيلة حقيقية لمحاسبة رؤساء مجالس وتحرير تلك الصحف ، الذين يتحكمون فى مئات الملايين من الجنيهات هى فى النهاية فى حكم الملكية العامة** . هذا فضلا عن أن التقاليد قد استقرت على أن يجمع أحد روساء مجالس إدارات الصحف القومية إلى مناصبه ، منصب نقيب الصحفيين ، بما يحدث خللا فى أوضاع الصحافة المصرية ، **إذ يحول النقابة إلى مؤسسة حكومية ، تدار بنفس الطريقة بما يفقد العمل النقابى جدواه وأهميته.**

كما يرى الصحفيون أن القياس على رؤساء شركات قطاع الأعمال ، هو قياس أيضا مع الفارق ، لأن هؤلاء يحاسبون بالأهداف ،



والمطلوب منهم هو أن يحققوا أرباحا ، لا خسائر ، ولو طبق المنهج الذى يتم تطبيقه على رؤساء شركات قطاع الأعمال -وهو الربح لا الخسارة- يتم إمضاء جميع رؤساء مجالس إدارات الصحف القومية.

المناورة

كان أخطر ما فى موافقة مجلس الشورى ، ثم مجلس الشعب على قانون مد الخدمة للقيادات الصحفية حتى ٦٥ عاما ، هو الطريقة التى تم بها تمرير القانون، والتى آثارت ضيقا واسعا فى أوساط الصحفيين ، لأن القانون لم يطرح فى ظروف عادية ، لكنه **طرح لأسباب شخصية عند بلوغ شخص أو اثنين من القيادات الصحفية لسن المعاش** وسخرت السلطة التشريعية بكاملها لخدمة أهداف شخصية ، وهو الأمر الذى يفقد المصريين عموما احترام القواعد الدستورية ، التى تقوم على أساس **أن القوانين تصدر لمعالجة ظواهر عامة ، وليس من أجل خدمة أهداف خاصة!**

كما شملت إجراءات تمرير القانون فى مجلس الشعب شكلا من أشكال المناورة ، إذ لم تتقدم الحكومة بمشروع القانون، وحاولت أن تدفع عدداً من المستقلين لتقديمه ، وعندما فشلت فى ذلك دفعت نائب الحزب الوطنى «**صلاح الطاروطى**» مقرر لجنة الثقافة والاعلام بمجلس الشعب لتقديمه.

وعلى عكس ما يحدث فى مشروعات قوانين كثيرة تظل مهملة فى لجان مجلس الشعب دون أن تتحرك ، فقد تم تمرير قانون مد سن المعاش للقيادات الصحفية ، بسرعة مذهلة ، ورغم تظاهر الحكومة بالبراءة ، وبأنها لا دخل لها بالقانون ، ولا مصلحة لها فى اصداره ، ولم تقدمه أصلا كما قال «**كمال الشاذلى**» أمين التنظيم فى الحزب الوطنى ، ووزير مجلس الشعب والشورى.

ولم يقتصر القانون- الذى قاد الدكتور **فتحى سرور** رئيس مجلس الشعب المعركة من أجل تمريره -على تحقيق المصلحة الشخصية فحسب ، بل أن الذين قادوا معركة تمريره ، لم يحاولوا ان يقوموا بموازنة ما بين خدمة القيادات الصحفية العليا ، وبين مطالب جموع الصحفيين ، بجعل المد لهم جميعا وجوبيا حتى سن ٦٥ عاما!

نية مبيتة

فضحت المعارضة الباسلة لصدور القانون ، التى قادها نائب التجمع«**لطفى واكد**» ونائب الحزب الناصرى«**ضياء الدين داود**» والنواب المستقلون«**كمال خالد**» و«**فكرى الجزار**» و«**محمد غانم**» نية الحكومة المبيتة على خرق كل القواعد البرلمانية ، من أجل تمرير هذا القانون. فقد ترك رئيس مجلس الشعب د. فتحى سرور رئاسة الجلسة ، ليقود من القاعة بكل ثقله حملة الدفاع عن القانون، كما رفض السماح للنائب «**كمال خالد**» بقراءة بيان من خمسة من أعضاء نقابة الصحفيين يشرحون فيه أسباب استقالتهم من مجلس النقابة احتجاجا على المناورات التى تسعى إلى تمرير القانون على عكس قرارات الجمعية العمومية للنقابة الصحفية التى سبق ان رفضت مبدأ بقاء القيادات الصحفية فى مناصبها بعد الستين. وكان خمسة من اعضاء مجلس النقابة هم **مجدى مهنا وجلال عارف ومحمد عبد القدوس وعلى هاشم ومحمد نجم** قد قدموا استقالاتهم بعد أن تم الاعلان عن أن مجلس الشعب يناقش القانون ، كما دعوا الصحفيين إلى اعتصام محدد المدة بمقر نقابتهم احتجاجا على ذلك ، وحين قال كمال خالد ان الصحفيين معتصمون ضد صدور القانون ، ردوا عليه بأنه اعتصام تضامنى مع عادل حسين ولا علاقة له بالقانون.

وأبدى **ضياء الدين داود** دهشته بأن يوكل لمقدم مشروع القانون «صلاح الطاروطى» رئاسة اللجنة التى تنظر فيه، وقال - وأيده رئيس المجلس فى ذلك- ان هذا خرق


ابراهيم نافع

للتقاليد البرلمانية.

وفند البرلمانى المحنك والصحفى العريق «**لطفى واكد**» القانون من كل جوانبه متبنياً كل الاعتراضات التى طرحها الصحفيون حول القانون وقال ان القانون يفتقد للمواءمة السياسية ، كما أحتج على تجاهل فئة تحظى باحترام الرأى العام القدرة على التأثيرفيه كالصحفيين عند مناقشة هذا القانون ، وأكد أن تجاهل نقابة الصحفيين سوف يكون له اثر سلبى على مهنة الصحافة التى لا يملك اصحابها سوى العلم والعقل يشيعون بها التنوير فى الوقت الذى يسعى دعاة الظلام للهجوم على عقل الشعب المصرى ، وأوضح لطفى واكد ان نقابة الصحفيين لا تزال واحدة من النقابات القليلة التى لم تقع بعد فى أيدى الأصوليين الاسلاميين ، وحذر من أن تجاهل أخذ رأيها سوف يسقط دورها كقلعة مدافعة عن الديمقراطية وعن الشرعية والقانون كما يسقط كل أمل فى توسيع رقعة الديمقراطية فى مصر.

ولأن رئيس مجلس الشعب ، قد اتخذ قرارا بأن القانون صادر لا محالة ، وكان لديه رد غير مقنع دائما على كل الاعتراضات التى ساقها النواب المعارضون لصدوره ، فلم يقبل طلب **لطفى واكد** - بإرجاء مناقشة القانون أو سماع رأى نقابة الصحفيين ، لأن اللجنة المختصة بتمرير القانون قررت -كما رد على لطفى واكد الا تستمتع لرأى النقابة وهى سيدة قرارها!

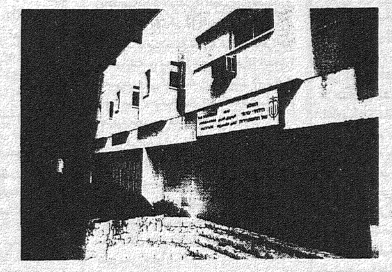
إنذار للحكومة

وبعد صدور القانون ، ساد اتجاه وسط الصحفيين ، انه طالما تصر الحكومة على تعديل قوانين الصحافة لمصلحة انصارها فليس هناك رد على ذلك سوى تسليم النقابة لتيار الاسلام السياسى ، لتتحقق بذلك نبوءة لطفى واكد التى حذر من حدوثها.

وتمارس الآن فى هذا السياق ، ضغوط كثيرة على«**عادل حسين**» أمين عام حزب العمل ، لدفعه لترشيح نفسه نقيبا للصحفيين ، مع وعد من الأغلبية الصامتة بمساندته وتأييد قائمة من الإسلاميين ليشكلوا محورا فى مجلس النقابة الذى تجرى انتخاباته الشهر الحالى ، وسواء تحققت هذه الفكرة ، أو لم تتحقق ، فهى مؤشر يدل على أن الفساد والاستبداد الحكومى هو وحده الذى يفتح الباب وينشئ جماهيرية كاسحة للأصوليين الإسلاميين!

تفريدة الشراء والبيع من والى اسرائيل
الشـــهداء والخنـــدقـــون





המכון היהודי ערבי
של ההסתדרות
المعهد اليهودي العربي

THE HISTADRUT
JEWISH – ARAB INSTITUTE
IN BEIT – BERL

قائمة المبادلات التجارية بين مصر وإسرائيل، تشير حفيظة الحليم، حتى ولو كان ممن يمسكون عصا التطبيع من المنتصف، «واليسار» إذ تنفرد بنشر تفاصيل القائمة، عن المدة من أول يناير ١٩٩٤ إلي ١٩٩٤/٧/١، فإننى أشير إلي أن الحظ، قد وفر لى أن أنشر شيئا مشابها عن مبادلات عام ١٩٨٧، فى «الأهالى» تحت عنوان «إنهم يبيعون الشهداء باللوف والصفيح وورق التواليت» على أساس ان تلك السلع تضمنتها التجارة بين البلدين بالفعل، ومن قائمة اليوم فاننا يمكن ان نعدل فى العنوان قليلا ليكون: «إنهم يبيعون الشهداء بالحنفيات والنفتالين والخندقون» وفى ١٩٨٧، مثلما هو اليوم، فإن ما يدعو إلى الأسى، إن الليبرالية المصرية

مصباح قطب

تدافع، عن مثل هذا التطبيع.. والسلام الذى أوجده، مما يضع الإنسان فى حيرة تراجيدية، بين حاجته للتسامح الثقافى والفكرى لليبرالية، وهى عندى هنا أحب من أى حزب استبدادى قومجى أو يسارى، مهما كان موقفه فى القضية الوطنية والقومية (رزقى على الله فى هذه الصراحة) وبين موقفها البراجماتى الرخو والمبتذل فى قضية السلام والتطبيع، ونحن هنا نتحدث عن الليبرالية، اما الطفيلية منها، وفيها، فلا رجاء فيها ولا حوار معها من أى نوع.

على كل دعونا نقرأ القائمة ونحكم، مع إشارة يقتضيها التدقيق، وهى أن القائمة لا تشمل تجارة المناطق الحرة بين البلدين، وهذه لا تزيد المبادلة فيها عن نصف مليون جنيه على كل حال، كما أنها لا تشمل الواردات من غزة، والمعروف أن واردات مصر منها، لا تزيد عن ١٠٠ ألف جنيه سنويا..

تطورها أولاً

فى عام ١٩٨٩ بلغت واردات مصر من اسرائيل ٥٠٫١ مليون جنيه زادت فى ١٩٩٠ إلى ١٠٩٫٢ مليون جنيه، وهبطت فى ١٩٩١ إلى ١٣٫٦ مليون جنيه، وبلغت ٤١٫١ مليون جنيه عام ١٩٩٢، أما فى ١٩٩٣ فقد بلغت ٦٤٫٢ مليون جنيه، وفى نفس السنوات على التوالى بلغت قيمة صادرات مصر الي اسرائيل ٦٣٤ مليون جنيه، و٤٥١٫٥ مليون جنيه، و١٫٢ مليار جنيه، و٩٦٧ مليون جنيه، و٧٧٤ مليون جنيه. وبديهى فى كل الحالات أن الدولار هو عملة الدفع.

ويبلغ متوسط قيمة واردات مصر من إسرائيل فى المدة من ٨٢-١٩٨٨، نحو ٥٠ مليون جنيه، والصادرات وفيها البترول بالطبع، كمتوسط نحو ٢٥٠ مليون جنيه فى ذات الفترة.

وثمة ملاحظتان ظاهرتان من قراءة ملف «التعاون الاقتصادى» المنصوص عليه فى البند الثالث من المادة الثالثة من الاتفاقية المصرية الاسرائيلية.

الأولى أن أعلى رقم للتبادل فى الثمانينات، حدث عام ١٩٨٢، والسبب بسيط، هو أن اسرائيل استوردت من مصر ٢٫٦ مليون طن بترول فى ذلك العام، مع ان الاتفاقية تنص على ٢٫١ مليون طن، وكان واضحاً ان الزيادة، طلبتها اسرائيل لمواجهة متطلبات حرب اجتياح بيروت!!

الثانية: أن أعلى رقم لمجمل التبادل فى التسعينات، تم فى عام ١٩٩١، عام حرب تحرير الكويت وتدمير العراق، وأيضا بسبب زيادة صادرات البترول المصرى. ولست ارى داعيا لشرح ما يمكن ان يفهم من ذلك.

وهناك ملاحظة ثالثة غير ظاهرة هنا ولكنها تتضح من قراءة مجمل حركة التجارة المصرية، وهى أن صادرات مصر لإسرائيل بلغت مرة ونصف صادراتها لدول الجامعة العربية مجتمعة عام ١٩٨٦(!!).

ورغم انخفاض اسعار البترول الرهيب، وهو المكون الرئيسى فى تلك الصادرات، كما أن صادرات مصر إلي الدولة الصهيونية الآن، تبلغ نصف صادراتها تقريبا الي الدول العربية، أما الدول الافريقية، فلا داعى للمقارنة معها، لان هناك دولا فى القارة لا زالت تجارة مصر معها صفراً!!

التبادل فى ظل الشرق أوسطية

نجئ إلى أحدث البيانات، أى تلك التى تغطى مبادلات النصف الأول من ١٩٩٤، لنجد أن مصر استوردت من اسرائيل مصارين ومثانات ومعد حيوانات بقيمة ١٦٫٢ الف جنيه، وفسائل دون جذور وطعوم بقيمة ١٣٫٢ الف جنيه، والمثير فى هذا البند، هو أن الرمز العربى الشهير النخيل، قد دخل هو الآخر تحت العباءة الاسرائيلية، ويذكرنا ذلك بالعلامة التى وضعها الاسرائيليون، لما يسمى بالمعهد العربى الإسرائيلى، وهى عبارة عن الشمعدان، رمز الدولة الصهيونية، وتتوسطه نخلة.

واستوردت مصر أيضا بذوراً وثماراً ونوى معداً للبذار بـ ٢٣٤ الف جنيه، وورق تبغ باضلاعه بـ٢٤٫٥ الف جنيه، ولاحظ ان إسرائيل لا تنتج التبغ، ومركزات خام التيتانيوم بـ ٣٫٨ الف جنيه، وحمض فوسفوريك وحمض أرثو بـ ٣٧٤ ألف جنيه وكلوريدات مغنسيوم بـ ٤٤٣ ألف جنيه وثالث فوسفات الصوديوم بـ ٢٨٣ ألف جنيه وبولى فوسفات بـ ٤٫٣ ألف جنيه، وكربونات البوتاسيوم غير دستورى(!!) بـ ١٨٦ ألف جنيه واستيالات وبارا فورمالدهير وانهيد ريدفثاليك بـ ٤١٨ الف جنيه، ومنتجات اخرى من مركبات بيرميدين بـ٤٢٦٫٦ الف جنيه، واسمدة معدنية أو كيماوية وأخرى بـ ١٫٨٨ مليون جنيه، وثلاثة أنواع من مواد التلوين بـ ١٤٣ ألف جنيه، ومطهرات لغير الاغراض الزراعية بالتجزئة (من الجائز ان منها نفثالين بلية) بـ ١٦٢٫٤ ألف جنيه، وعجن للنسخ أو للأسطوانات الطابعة وما يماثلها ١٠٢ ألف جنيه.

وقبل أن أكمل قائمة الواردات من الكيماويات، والتى أرجو أن يصبر القارئ على سردها، أشير الي أن مصر تملك المصنع الوحيد فى الشرق الأوسط للصباغة ومواد التجهيز الكيماويات، وهو مصنع كفر الدوار، وكان قد اقيم فى الاسماعيلية عام ١٩٦٧، الا انه تم نقله بعد وقوع العدوان، بل وتحت نيرانه والاخطر اننى علمت تواً ان اسرائيل سعت بكل الطرق لجمع المعلومات عن صناعة الكيماويات فى مصر، وحصلت علي دراسات بطرق ملتوية، فى هذا المجال، وقد عرضت شركة اسرائيلية، لها توكيل مع رجل اعمال مشهور فى الاسكندرية، لكنه يجبن عن اعلان ذلك، ان تقدم بعض المحضرات، على اساس ان يتم تكميلها هنا. لكن العرض تم رفضه.

إذن ما هو سر تلك الواردات من الكيماويات؟! على كل دعونا نكمل القائمة.

منتجات من محضرات ومخلفات الصناعات الكيماوية بـ ٣٫٦ الف جنيه، سوائل وعجن من البولى اثيلين والبروبلين، ومساحيق بـ ١٥٠ ألف جنيه، منتجات بوليمرات وراتنجات ميلامين وفينولية بـ٦٩٧ ألف جنيه، منتجات لدائن وانابيب بـ ١١٩ ألف جنيه، وتنتهى الكيماويات لندخل فى الورق حيث من الواردات ورق مقوى لغير الطباعة واخر للكتابة ٣٤٨ الف جنيه، والأخطر كتب ومطبوعات بـ ١٤٫٥ الف جنيه، ثم صحف ومجلات تصدر ٤ مرات اسبوعيا بـ ٢٤٫٥ الف جنيه. ومن الأكيد انها تستورد للمراكز السياسية والبحثية فقط (ولا إيه).

وتدخل الواردات حقل الالغام ، فنجد خيوط للخياطة، ٨٥٪ قطن بـ ٢٦٨ الف جنيه، وخيوط مفتولة ، واخرى مزوية من القطن أيضا، بـ٢٠٥ الف جنيه وخيوط قطن للبيع بالتجزئة بـ ٦٦ ألف جنيه وواضح انها مما يستخدم فى رتق الثياب ، وقد يتم التوسع فى استيراد هذا النوع، لاننا قد لا نجد مفراً من تقطيع الهدوم، اذا استمرت مثل هذه الواردات لبلد يصنع ويزرع القطن منذ ١٥٠ سنة ونستمر ، ولو بدون الارقام ، مع ذكرها فى البنود الأكثر استفزازاً: خيوط بوليستر، حشو لصناعة فلتر السجائر، حشو للملابس والموكيت، أقمشة غير منسوجة ، أزهار صناعية ، زجاج مسحوب ، وآخر مقسى، وزجاج للنظارات الطبية ، وكوالين وسلندر للأبواب والشبابيك بقيمة ١٧٫٤ ألف جنيه !! أنابيب ومواسير مرنة ، مشابك ومحاجن معدنية ، أقطاب وأسلاك لحام ، منظمات ورافعات سوائل، آلات ترشيح وتنقية المياه، وآلات ترشيح غازات، وأجزاء لأجهزة التنظيف ،مسدسات رش ، وأجهزة زراعة ورى ونقاطات، وآلات لتنظيف وتصنيف البيض والفواكه، وأخرى لفرز البذور والحبوب ، وآلات خياطة ذاتية الحركة ، وأصناف حنفيات بـ ٤٢٫٤ ألف جنيه ، وأجهزة كهربية للتنبيه ضد السرقة بـ ٢١٫٥ الف جنيه ، أجزاء للحمامات سخن وبارد بـ٣٤ ألف جنيه ، وأدوات واجهزة كهربائية للطب والجراحة بـ١٤٢٫٦ الف جنيه، مقاييس كثافة وادوات طافية مماثلة، اثاث من لدائن بـ ٦٣٫٢ ألف جنيه، مبانى سابقة التجهيز من حديد أو صلب بـ ٨٦٫١ ألف جنيه واجمالى قيمة الواردات فى الستة شهور ٨٫٤٥ مليون جنيه، وفى ضوء هذا الرقم يمكننا ان نخمن الأرقام التى لم نذكرها لكننا لا يمكن أبداً أن نفهم أين هو بالضبط التقدم التكنولوجى المستتر خلف تلك الواردات ، فى الدولة الصهيونية، والذى يصدعنا به الداعون للسوق الشرق أوسطية أياً كانت منطلقاتهم ، وسواء كانوا من المهللين ، من طائفة وطنك جيبك يا حلاوة ، أم من المراوغين باسم الوسطية ، أو ممن يعتنقونها صدقاً ، الذين شعارهم : ندخل لتحسين فوائدها وتقليل خسائرها؟

الصادرات

أما مصر ، التى بها ١٣ ألف مصدر ونحو ١٨ ألف مستورد ووكيل ، فقد صدرت إلى إسرائيل: ذبائح من أبقار طازجة وضأن طازجة، وبصيلات ودرنات ، وبصل طازج ومبرد، وبازلاء طازجة ومبردة، وخضروات أخرى، وبصل مجفف بـ ١٫١٤ مليون جنيه، وخضروات مجففة وبقولية، وبذور يانسون وكزبرة وشمر ، وبهارات، وأرز مقشور وأرز اسمر ومبيض بقيمة ٣٢٣٫٥ ألف جنيه لهذا البند ،وبرد قوش وورق نعناع ونباتات طبية ، ودهون وزيوت نباتية، ولبان بقيمة ١٢٫٧ ألف جنيه (هل من نوع «شمارة»؟!) وحلاوة طحينية ، وسكريات ومحضرات غذائية بكاكاو -وبدون، وبسكويت بـ ٥٠٫٥ ألف جنيه، وخبز وفطائر وكعك بـ ٤٠ ألف جنيه، ومربات ، وبنتونيت (حجر) ورخام وجرانيت واحجار اخرى للنحت وللبناء، وحصى وحصباء وحجارة مجروشة وحبيبات وشظايا أحجار بألوانها، وفحم و بترول خام بقيمة ٤٧٨٫٦ مليون جنيه، وأود لفت الانتباه هنا إلى مشروع تكرير البترول الذى سيقام فى العامرية برأسمال مصرى إسرائيلى، ويشارك فيه رجل الأعمال المصرى الغامض حسين سالم ، والذى قالت الصحافة الأمريكية انه رجل مخابرات، وكانت قد سألته عن علاقته باسرة الرئيس مبارك(علاء تحديداً) فقال :«أنه يعرف الأسرة منذ زمن، لكن لا تربطه بأى من أفرادها أى علاقة بزنس المهم ان قائمة الصادرات ستتضمن فيما هو قادم من اعوام ، بترولاً مكرراً أيضاً، وغازاً كذلك.

ثم :نفتالين بـ ١٤٨ ألف جنيه، وحشو وأربطة ، ومنتجات لدائن، وحقائب من جلد ولدائن ، وأخرى، وأطر من خشب للوحات والمرايا وعلب وصناديق للمجوهرات، وسلاسل ومصنوعات من مواد ضفر أخرى (مضفرة) بقيمة ٩٩٫٦ ألف جنيه . ومن المؤكد أن من صدر ذلك اشتراه من قرى أو مراكز معروفة بالصعيد ، لا يعرف أهلها أن مصير ما ينتجونه سيكون كذلك. ثم ورق سجائر وعلب ورق وصوانى وأطباق ورق، وعجائن ورق ، لمصانع الغزل، وكتب ومطبوعات بـ١٩٫٦ ألف جنيه، وصحف ومجلات بـ ٩٠٠ جنيه، وأخرى بـ ٢٨٠٠ جنيه، وخيوط قطن مختلفة بـ ١٧٫٣ مليون جنيه، ومنسوجات وكتان ، وسجاد قطن (هل من الحرانية؟) وكليم وبسط يدوية ، وأحذية، ومصنوعات زجاجية ، وشبابيك وأسيجة وتماثيل للزينة، وأدوات موسيقية تعمل بالقرع (طبْل يعنى) بـ ٩٨٫٨ ألف جنيه ، وأثاثات مختلفة ، ومكانس من حزم مجمعة ، أى بالعربى مكانس كتان وليف بقيمة ١١٫٣ ألف جنيه، وتنتهى إلى هنا قائمة الصادرات التى بلغت بالبترول ٥٠٣٫٩ مليون جنيه، وبدونه ٢٤٫٤ مليون جنيه، ونستطيع أيضا من الرقم الأخير ، وبمعرفتنا للصادرات من خيوط القطن، أن نخمن قيمة كل بند اهملنا ذكره.

التراجيديا والملاليم

إن المأساوى فى القائمة ، إن كثيرا من بنود المبادلات فيها، لا تزيد قيمة أى منها عن بضعة آلاف من الجنيهات (أحيانا ألفين) أى ان من يستورد او يصدر ، كما هو ظاهر ، من النوع «الواطى» أو «الدون» الذى يجرى وراء تعريفة «ولو جاءته من الشيطان» كما ان المأساوى أيضا أن الصادرات كلها تقريبا من المصنوعات اليدوية والبسيطة ، التى يصنعها هواتو فلاحون وحرفيون، يكدح كل منهم ليكسب ملاليم يقيم عليها حياته وبيته، لكنه لا يدرى المصير الأسود ، لما تعبت فيه يداه ومن المؤكد فى كل الحالات أن تلك المبادلات لا تعكس أى درجة من درجات التشابك العضوى التى تجعل فك الارتباط صعباً، وأسخف ما فيها، ان هناك من الواردات ، بل لنقل اغلبها، ما يتم استيراده لتوزيعه بالتجزئة، وهو لزوم استخدامات شعبية يومية، من المؤكد أيضا ان من يستعملونها لم يخطر فى بالهم انها واردة من إسرائيل، والقليل من تلك الواردات هو الذى يخص الطبقة المتوسطة (مثل المطبوعات والأجهزة ضد السرقة) والأقل ما يخص الطبقة الراقية التى لا تجد ما يغريها على استيراده فى إسرائيل، وتجلب كل احتياجاتها ، حتى الزراعية، من الدول الأوروبية، والولايات المتحدة.

والمؤسى أن تلك الطبقة هى قائدة الدعوة إلى التطبيع، لأنها تدرك أن تنفيذه ينطوى على تحولات سياسية، ستخدمها فى النهاية ، بصرف النظر عن «شويتين» الواردات أو الصادرات.

والمغزى الايجابى فى القائمة ، يكمن فى أن التطبيع لا زال ساداتيا قلبا وقالباً، بمعنى انه بدون البترول المنصوص عليه فى الاتفاقية ، لا يمكننا الحديث عن تطور ذى قيمة أو دلالة فى التبادل التجارى ،رغم ان ١٩٩٤ هو عام تنشيط التطبيع إلى حدوده القصوى ... وهو عام «التحرير» الكامل للتجارة ، والتحرر السياسى لدى كثيرين، فى السلطة و خارجها ، من القيم والحسابات الوطنية والعقلانية والتاريخية ، التى تشكل ، وشكلت معياراً فى الصراع مع إسرائيل.

مرة أخرى .. لا تغرزوا أدوات الجراحة المستوردة فى دمنا.. ولا تهيعوا الشهداء بالنفتالين والمقشات والبكر!!.

عن العاملين بالخارج.. وضرائبهم

أحمد صالح محمد

يحكى كتاب «وصف مصر» الذى وضعه علماء الحملة الفرنسية، كيف كانت القرى الواقعة على حافة الصحراء بمصر ، فى عهد المماليك ، تتعرض لهجمات العربان ، الذين يأتون للاستيلاء على جزء من أراضيها لزراعتها.

ويحدث عندما يأتى موعد سداد الضرائب ، أن يرفض العربان دفع هذه الضرائب ، وإذا لم يصل المماليك فى الموعد المناسب ليحملوهم على دفعها ، فإن الجزء من الضريبة الذى كان عليهم أن يدفعوه عن الاراضى التى اغتصبوها يقسم على الفلاحين.

ويبدو أن هذا القانون «المملوكى» لا يزال سارى المفعول بشكل أو بآخر، فإذا تطلعنا الى توجهات السياسة المالية فى مصر ، فاننا سرعان ما ندرك ان الحلقات الضعيفة فى المجتمع يتم تحميلها بأعباء تفوق بمراحل طاقتها على التحمل ، فى حين تنعم بعض الفئات الاخرى فى جنة من الاعفاءات بلا حدود. وليت الامر يقتصر على الاعفاء من النواحى الضريبية والجمركية ، وانما يتم اعفاءهم من كل قانون ، فالتزوير جريمة يعاقب عليها القانون ، ومع ذلك لا تسلم أى انتخابات من التزوير ، والرشوة جريمة كذلك ، ورغم ذلك تفشت كالوباء فى كثير من المواقع الهامة، والفساد ويستشرى فى أعماق الدولة من القاع إلى القمة ، ويتوقف تحريك العشرات من قضايا الفساد على القرار السياسى.

يسترعى الانتباه ، عند الحديث عن العاملين بالخارج ، انه ظهرت خلال الستينات هجرة لبعض المصريين من ذوى الخبرات والكفاءات النادرة وأصحاب الشهادات العليا إلى بعض البلدان الاجنبية ، مثل كندا واستراليا والولايات المتحدة الأمريكية .. أهم ما يميز هذه الهجرة انها كانت ظاهرة محدودة وأنها من نوع «الهجرة الدائمة» وبعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ بدأت موجة كبيرة من موجات الهجرة إلى البلاد العربية النفطية غير أنها كانت من النوع المؤقت. **فالاقتصاد المصرى لم يشهد ضغوطا اقتصادية كبيرة خلال السعينات، ومعدلات التضخم والبطالة كانت لا تزال منخفضة وحجم الديون المصرية للخارج لم يكن كبيرا ، لذا كانت عوامل الطرد للعمالة المصرية ضئيلة** ، ولكن مع بداية السبعينات بدأت معدلات التضخم والبطالة فى الارتفاع وتناقص معدل نمو الناتج المحلى وأدى ذلك مع التضخم السكانى وعدم وجود

د. محمد الرزاز



خطة تنمية واضحة إلى زيادة عوامل الطرد للعمالة المصرية . وكان أهم عوامل الجذب للعمالة المصرية إلى بلاد النفط، الارتفاع الكبير فى أسعار النفط بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، فقد ارتفع سعر برميل البترول من ٣ دولار عام ١٩٧٢ حتى ٤٠ دولاراً أوائل الثمانينات ،مما أدى إلى الارتفاع الكبير فى مستويات المعيشة بهذه الدول.

علي أنه ابتداء من منتصف الثمانينات بدأت بلاد النفط فى الاستغناء عن العمالة المصرية ، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب منها تدهور اسعار البترول (بلغ سعر البرميل منه ١٤ دولاراً سنة ١٩٨٦) ، والاتجاه إلي إحلال العمالة الوطنية محل العمالة غير الوطنية ، وسميت هذه الظاهرة فى السعودية ، «السعودة» وفى الكويت «التكويت» . كما أثرت فى هذا المجال المنافسة الشديدة التى تلقتها العمالة المصرية من العمالة الآسيوية والتى تتميز بقبولها لأدنى مستويات الأجور وتحمل ظروف العمل القاسية مع الطاعة التامة.

وكان الاستغناء عن العمالة المصرية يتم بصورة مفاجئة وتعسفية على نحو تضيع معه حقوقها المشروعة أو تنتقص منها. ولم **تثبت الحكومة المصرية بالخارج أنها كانت على مستوى المسئولية فى الدفاع عن مصالح العمالية المصرية يوماً**.فمثلا ليبيا قررت إنهاء خدمات جميع العاملين غير الليبيين من بعض فئات المهن عام ١٩٨٤ ، وقامت **السعودية وقطر والبحرين والكويت** فى نفس العام بالاستغناء عن ٢٠٪ من العمالة غير الوطنية ، وفى عام ١٩٨٦ قام **العراق** بتخفيض تحويلات المصريين إلى ٦٠٪ ، وانهت ليبيا فى عام ١٩٨٧ عقود عمل ما يزيد عن ألفى عامل مصرى ،تم ترحيلهم فى الحال. ولا يزال حتى الآن ، ومنذ سنوات يعرض علينا مسلسل النعوش الطائرة ، حيث تأتى المئات من جثث المصريين مقتولة ، والفاعل مجهول ، كل هذا وحكومتنا عاجزة عن مديد العون لمواطنيها فى الخارج. فهى لا تعرف عددهم ولو على وجه التقريب (تتفاوت التقديرات الرسمية بين ٢و٥ مليون مصرى بالخارج) ، هذا عن مجرد العدد ، فما بالنا إذن عن البيانات والمعلومات التى توضح خصائص وتقسيمات هؤلاء العاملين!

ويذهب المواطن إلى الخارج ، عندما لا يكفيه دخله وتضيق به ظروف المعيشة ،ولا يستطيع توفير متطلبات الحياة الكريمة من

مسكن وزواج.. وحين يعود إلى بلده فإن أول ما يفعله هو سداد ديونه المتعلقة بمصروفات سفر أو مسئوليات أسرته.. واذا كان من الطبيعي أن يشعر العاملون بالخارج بالغربة بعيدا عن أوطانهم فان الواقع المؤلم يثبت ان **الشعور بالغربة قد لازم العديد منهم بعد عودتهم إلى مصر**، حيث واجهوا الغلاء الفاحش وصعوبة الحصول على احتياجاتهم اليومية من عمل ومسكن ومواصلات «أى ان سفرهم للخارج لم ينتج عنه حل جوهرى لمشاكلهم».

ورغم ما سبق، يتعين القول بأن **فرض الضريبة على العاملين بالخارج هو مبدأ مقبول ومشروع** فى ترسيخ علاقة المواطن بالدولة وانتمائه اليها بصرف النظر عن وجوده الجغرافى داخلها أو خارجها، ويمكن اعتبار هذه الضريبة مساهمة من العاملين بالخارج فى التخفيف عن معاناة ابناء وطنهم ورد جزء من الدين الواجب عليهم مقابل تعليمهم واعدادهم للعمل، فضلا عن ان هذه الضريبة موجودة فى كثير من دول العالم وليست بدعة مصرية، وإنما يجب التأكيد على أهمية أن تكون نسبة الضريبة معقولة، وأن يتم فرضها على أساس الدخل الحقيقى للفرد وليس حكمياً وان تسرى على جميع العاملين بدون تمييز طائفة منهم وان لا يتم التركيز فقط على العاملين بل يتساوى معهم اصحاب الاعمال. ويجب فى هذا المقام، رغم الموافقة على مبدأ فرض هذه الضريبة، **الإشارة إلى التوقيت السيئ** الذي اختاره واضعو أول قانون لفرض الضريبة على العاملين بالخارج (عام ١٩٨٩). فقد تناقصت بشدة دخول العاملين بالخارج منذ منتصف الثمانينات لانخفاض اسعار النفط، وذلك بعد فترة رواج عاشتها العمالة المصرية بالخارج منذ منتصف السبعينات، وخصوصا فى بلاد النفط.

القانون المحكوم بعدم دستوريته

كان القانون رقم ٢٢٩ لسنة ١٩٨٩، والذى حكم بعدم دستوريته، يفرض الضريبة على الاجور والمرتبات التى يتقاضاها عن عملهم بالخارج العاملون بالدولة والقطاع العام والعاملون بنظم أو كادرات خاصة دون باقى العاملين بالقطاع الخاص(م١) وكان يحظر على الجهات الادارية التى يعمل بها المكلف تجديد الإعارة أو الإجازة إلا بعد تقديم ما يفيد سداد هذه الضريبة(م٥) على نحو تصبح معه الضريبة مجرد رسم لاحتفاظ العامل بوظيفته فى مصر. وحتى عندما فرض هذا القانون الضريبة فقط على العاملين بالدولة والقطاع العام ومن يعمل بنظم أو كادرات خاصة، قام بتخصيص هؤلاء بقوله «.. الحاصلون على اعادة أو إجازة خاصة بدون مرتب للعمل فى الخارج (م١)، أى أن من يسافر منهم للسياحة أو للحج أو العلاج، ثم يقوم ببعض الأعمال التى تحقق له دخلا لا يخضع لهذه الضريبة.

كما ينص القانون،سالف الذكر، على سريان الضريبة فى حق «الحاصل على إجازة خاصة لمرافقة الزوج الذى يعمل فى الخارج متى ثبت التحاقه بأى عمل فى الخارج خلال مدة الاجازة (م٤). ويثور التساؤل، هل يمكن لمصلحة الضرائب بامكانياتها المعروفة التأكد من التحاق المرافق بأى عمل فى الخارج، واذا كانت تملك القدرة على ذلك **فلماذا لم يتم فرض الضريبة من البداية**، على



الدخل الحقيقى للعامل فى الخارج ، بدلا من الاعتماد على الدرجة الوظيفية فى مصر كمعيار لتحديد ما يحصل عليه العاملون فى الخارج من دخول ، وهو معيار فكاهى يصلح مادة للتندر والسخرية ، فقد فرضت المادة الثانية من القانون المذكور ضريبة مقدارها ٢٠ جنيها شهريا على من يعمل بالخارج اذا كانت وظيفته فى مصر بالدرجة الثانية أو الثالثة ، و ٨٠ جنيها شهريا اذا كان بدرجة مدير عام أو الدرجة الأولى و ١٢٠ جنيها شهريا إذا كان فوق مدير عام.

وفى يوم الاثنين الموافق ١٩٩٣/١٢/٦ ، أصدرت المحكمة الدستورية العليا حكمها فى القضية رقم ٤٣ قضائية «دستورية» بعدم دستورية المواد او ٢و٤ و٥ من القانون رقم ٢٢٩ لسنة ١٩٨٩ بفرض ضريبة على مرتبات العاملين المصريين فى الخارج ، علي أساس أن هذه **المواد تتعارض مع ما قرره الدستور المصرى من قيام النظام الضريبى على العدالة الاجتماعية (م٣٨) كما يتعارض كذلك مع مبدأ المساواة بين المواطنين(م٤٠)** ، حيث ان هذا القانون اختص بأحكام طائفة معينة وهم العاملين بالدولة والقطاع العام والعاملون بنظم أو كادرات خاصة الحاصلين على إعارة أو إجازة خاصة بدون مرتب للعمل بالخارج ، حيث أخضع هؤلاء فقط للضريبة بعد تقسيمهم الي طبقات كل بحسب الطبقة التى تندرج تحتها درجته الوظيفية ، ودون اعتداد بالاجر الذى يتقاضونه بالخارج.

ورغم مرور أكثر من عام على صدور حكم المحكمة الدستورية العليا على النحو السابق ، فان مصلحة الضرائب ترفض حتى الآن رد مادفع من هذه الضريبة بدون وجه حق مما يضطر دافعى الضرائب ، المحكوم بعدم دستوريتها ، إلى رف دعاوى لاسترداد ما دفعوه من مبالغ وفقا للقانون ٢٢٩ لسنة ١٩٨٩ . وهذا الموقف من المصلحة فضلا عن أنه يرهق المحاكم بقضايا معروف نتيجتها مقدما ، فهو يخل بالحجية المطلقة لحكم المحكمة الدستورية العليا ، والذى لا يقتصر اثره على الخصوم فى الدعوة، وانما ينصرف إلى الكافة بما فيها جميع سلطات الدولة، والحق أن عدم المبادرة **برد هذه الأموال إلي اصحابها يضع الحكومة فى سلة واحدة مع الريان والسعد وغيرهم من كبار نصابى هذا العصر . كما يعلن هذا الموقف بوضوح عن طبيعة الدولة البولسية التى تحكمنا وعن سيادة القانون فى مصر المحروسة.**

القانون الجديد

الواقع ان القانون رقم ٢٠٨ لسنة ١٩٩٤ بفرض ضريبة على أجور ومرتبات العاملين المصريين فى الخارج ، قد حاول تلافى أوجه القصور فى القانون السابق (٢٢٩ لسنة ١٩٨٩) فأسس سريان الضريبة على الدخل الحقيقى الذى يحصل عليه العاملون فى الخارج ، وسعر الضريبة كما جاء بالمادة الثانية منه على الوجه الآتى:

الشريحة الأولى : حتى ما يعادل ٢٠ ألف جنيه مصرى سنويا (١٪)

الشريحة الثانية: أكثر مما يعادل ٢٠ ألف جنيه سنويا وحتى ما يعادل ٤٠ ألف جنيه سنويا(٢٪).

الشريحة الثالثة: أكثر مما يعادل ٤٠ ألف جنيه مصرى سنويا .... (٣٪)

وذلك مع خصم البدلات واشتراكات التأمين الاجتماعى وأقساط الادخار والأعباء العائلية على النحو الوارد بالقانون.

ويرى البعض أن القانون ٢٠٨ لسنة ١٩٩٤ غير دستورى ايضا ، لانه يخالف المادتين ٣٨، ٤٠ من الدستور ، فالنظام الضريبى يتعين ان يقوم على**العدالة الاجتماعية** وان يراعى فيه المساواة بين المواطنين ، وهذا غير متوافر فى القانون الجديد، حيث فرض الضريبة على أجور ومرتبات العاملين بالخارج ممن يزاولون عملا لدى الغير يتوافر فيه عنصر التبعية ، دون غيرهم **بينما لن يخضع لهذه الضريبة بعض أصحاب المهن الحرة من المصريين العاملين بالخارج والذين يمتلكون مؤسسات هناك، ولن يخضعوا فى نفس الوقت للضريبة الموحدة عن نشاطاتهم فى الخارج . فالمهندس** والمحامى والمصور والمستخلص الجمركى .. عندما يفتتح مكتبا لحسابه ويعمل فى دولة أجنبية لن يدفع هذه الضريبة، بينما زميله من نفس المهنة الذى يعمل لدى الغير وبأجر محدود هو الذى يخضع للضريبة.

ومن الناحية العملية ، فان ربط الضريبة فى ظل القانون الجديد لا يتم حاليا الا بطريق واحد هو موافقة الممول. فالشهادة التى يحتاجها لتقديمها إلى الجهات المختصة ، وتفيد سداد الضريبة ، لا يأخذها إلا بعد الإقرار كتابة بأنه موافق على الضريبة ولا يحق القول بان القانون ينص فى المادة الرابعة منه علي ان الممول اذا قام بايداع تأمين مناسب ، يمكنه الاعتراض والطعن فى تقديرات المصلحة وفقا لاحكام القانون ١٥٧ لسنة ١٩٨١ . وذلك لأن المادة الرابعة تشترط فى إيداع التأمين المناسب أن يكون وفقا للقواعد التى تحددها اللائحة التنفيذية لهذا القانون ، ولم تصدر هذه الأخيرة حتى الآن.

وفى ظل القانون الجديد تتم محاسبة العاملين فى الخارج ابتداء من ١٩٩٤/٦/١٩ .(باعتباره اليوم الذى بدأ فيه العمل بالقانون) حتى تاريخ انتهاء الاجازة او الاعارة أو اذن العمل ، مما يعنى سداد الممول للضريبة قبل حصوله على دخله من عمله بالخارج بل قيامه بالسفر . وتثور مشكلة ، فيما يتعلق بتقدير الدخل الحقيقى للمول ، حيث يتم الاعتماد كلية على ما يقدمه الممول من اقرار او عقد عمل ، فكيف يمكن الاطمئنان إلى صحة ما جاء بالعقود غير الرسمية وهل تمتلك مصلحة الضرائب من الوسائل ما يمكنها من معرفة صحة بيانات هذه العقود أم أن الباب سيفتح لكل انواع التحايل والتهرب الضريبى؟! ثم ما هو العمل ازاء من يعملون بالخارج بدون اي عقود.

ومن ناحية أخرى **نص القانون على خضوع مكافأة نهاية الخدمة التى تصرف للعاملين بالخارج للضريبة (م٥).** وهذا الحكم يخالف المنطق والأصول المتعارف عليها فى التشريعات الضريبية لدول العالم ، **فهذه المكافأة تعد من قبيل رأس المال وليست دخلا حتى يمكن فرض هذه الضريبة عليها** والتى تسمى «الضريبة على أجور ومرتبات العاملين المصريين فى الخارج».

****

إن مشكلة القوانين فى مصر وانحيازها إلي بعض الفئات دون البعض الآخر ترجع إلى الطبيعة الاجتماعية والسياسية للدولة ، فالطبقة الحاكمة والتى تخلت عن القيام بأى دور إنتاجى فى المجتمع ، أصبحت لا تنشغل الا بكل ما يضمن استمرار سيطرتها علي مقاليد الأمور، ومن ثم فهى تأتى بمجموعة من الأفراد ، بالتزوير العلنى الفاضح ، لتشكل بهم المجلس التشريعى، ويصبح القانون فى أيديهم أداة من أدوات القهر ووسيلة هامة للدفاع عن المصالح الخاصة لهذه الطبقة دون أي اعتبار لصالح السواد الأعظم من الشعب . ولذا فمن السهل علينا ، فى مجال التشريعات الضريبية ، معرفة أن الجزء من الضريبة الذى كان على الطبقة المسيطرة أن تدفعه ، يتم تقسيمه على فئات المجتمع الأضعف ، وهو نفس القانون «المملوكى» سالف الذكر.



يجرى تهويد القدس؟

نظير مجلى

رسالة حيفا

في منتصف الشهر ، سنحت لنا الفرصة أن نشارك في جولة مع رئيس حكومة إسرائيل ، اسحق.رابين ، في مدينة القدس . وبطبيعة الحال، لم تكن هذه جولة عادية . وما رأيناه خلالها لم يكن بذلك الأمر الذى يتاح للسائح أو للمواطن العادى ولا حتى لابن القدس، ان يراه . فقد كانت تلك جولة من تنظيم رئيس بلديتها، الذى هو أحد زعماء الليكود اليمينى المعارض عضو الكنيست «اهود أو لمرت» (كان وزير الصحة فى حكومة شمير) والهدف منها كان صريحا : إقناع رئيس الحكومة بضرورة القيام بحملة بناء مكثفة فى المناطق الخالية فى ضواحى المدينة حتى يخلق أمرا واقعا وثابتاً بتهويد المدينة ومنع أى احتمال فى المستقبل لإعادة تقسيمها إلى قدس يهودية وقدس عربية.

كان ذلك فى الفترة التى كانت لجنة القدس المنبثقة عن المؤتمر الإسلامى ، تستعد فيه لاجتماعها فى المغرب على مستوى وزراء الخارجية ، وقد شارك فى الاجتماع الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات ، حتى يعطى للموضوع زخما ويقنع العرب والمسلمين بأن قضية القدس باتت ملحة وخطيرة وبالفعل ، اقتنعوا واتخذوا القرارات الملتهبة غضبا وحماسا ، وعاد عرفات الي غزة متمنيا ان لا تكون القرارات، هذه المرة، حبرا على ورق وإن يضع العرب والمسلمون كل قوتهم مع الغرب والأمريكان فى سبيل وقف مشاريع البحث فى مشاريع حلول جدية تأخذ بالاعتبار أن هناك شعبا آخر ، غير الإسرائيلى له حقوق سياسية ووطنية فى القدس وأن القضية ليست قضية دينية فقط، وأن من حق الفلسطينيين ان يتولوا أمر السيادة على القدس الشرقية ويديرون هم وليس غيرهم الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية فيها.

وكما هو معروف ، فإن عرفات وشعبنا الفلسطينى كله يطرح هذه الأمنيات من عشرات السنين ويستغيث للعالم الاسلامى وللعالم العربى ان يسانده ولكن ، فى هذه

الاثناء ، تدور معركة أخرى حول القدس جدية أكثر وفعالة أكثر وأكثر ، وهذه المعركة تدور فى إسرائيل بالذات.

واذا كانت معارك العرب والمسلمين حول القدس هى كلام فى كلام ، **فان المعركة فى إسرائيل تجرى على الأرض** . وتتقدم فى الاتجاه الذى يريده المتصارعون عليها هنا .. وفى معركة من جبهتين:

الأولى : إسرائيلية- فلسطينية فعلى الرغم من أن اتفاق اعلان المبادئ بين حكومة إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية يقضى بتأجيل بحث قضية القدس إلى المرحلة النهائية من المفاوضات أى عند البحث فى الحل الدائم ، فان الفلسطينيين، **وهم يرون بأعينهم عمليات التهويد الواسعة ، لا يستطيعون السكوت. القيادة تطالب إسرائيل بالانتقال إلى التفاوض حول الحل النهائى ، بما فيه القدس أو وقف كل اعمال ومشاريع البناء الاستيطانى فيها ، والشعب يتحرك بامكاناته المحدودة .. وجهده البطئ** . وقد خفتت حدة النضال الفلسطينى لأجل القدس منذ ان خبت الانتفاضة ، إلا أنه يتجدد فى الآونة الأخيرة فى مواجهة الاستيطان بكل اشكاله وفى كل المناطق المحتلة ، وقد بدأ التصعيد الأخير للمعركة فى منطقة أراضى قرية الخضر العربية التى صادرتها الحكومة السابقة ومنحتها لمستوطنة أفراتا اليهودية حتى تتوسع وتقيم حيا جديدا عليها.

أما المعركة الثانية فهى داخل إسرائيل وتشتبك فيها عناصر عديدة وتيارات متضاربة.

المستوطنون واليمين الإسرائيلى ، من الليكود وحتى الفاشيين يريدون ما يسمونه بالقدس الكبرى ، وهذه تساوى مساحتها ثلث مساحة الضفة الغربية ، اذ انها تضم عشرات الوف الدونمات من الأراضى العربية، وقراها العديدة والمستوطنات اليهودية المزروعة فيها ، وعندما كان اليمين فى الحكم منذ سنة ١٩٧٧ وحتى ١٩٩٢) ، اقام مشاريع ضخمة لتحقيق هدفه هذا . لكنه لم يقدم على ضم تلك الاراضى إلى حدود دولة إسرائيل الرسمية ، وبقت القدس رسميا بدون القرى والمستوطنات البعيدة .

حزب العمل وحزب ميرتس ، شريكان فى الائتلاف الحكومى الحالى بزعامة رابين ، يتفقان مع الليكود بأن القدس يجب أن تكون تحت السيادة الإسرائيلية فقط ، يؤيدون مشاريع تهويدها يعتبرانها العاصمة الأبدية الموحدة لدولة إسرائيل ، لكنهما يخالفان اليمين ، على الأقل فى العلن ، حول توسيعها ، ونقول فى العلن لأن أمورا أخرى تكشفت فيما بعد حول دور هذه الحكومة فى توسيع الاستيطان أيضا فى ضواحى القدس ، وعندما تكشفت هذه الأمور ثارت ضجة بين صفوف الائتلاف الحكومى، ما بين مؤيدى الاستيطان ، وعلى رأسهم وزير البناء والاسكان بنيامين بن اليعزر وبين معارضيه ، من ميرتس وبعض حمائم حزب العمل.

اليسار الإسرائيلى وحركات السلام المتعاونة معه وقفت ضد كل هذا التوجه واعلنت رفضها لتهويد القدس طول الوقت مؤكدة ضرورة اعادة تقسيمها إلى قدسين ، غربية يهودية تكون عاصمة لدولة إسرائيل ، وشرقية عربية تكون عاصمة للدولة الفلسطينية العتيدة هذه المعركة حركت حركات السلام من جديد ، وهى التى كانت قد سكتت وشل نشاطها عند إقامة حكومة رابين واليوم ، ينظم هؤلاء ، نشاطات احتجاج مشتركة. مع الفلسطينيين فى مواقع المصادرة ومع ان نشاطها لم يصبح جماهيريا بعد، إلا أنه بداية محمودة يمكن البناء عليها مستقبلا.

من السابق لأوانه طبعا ، ان نرى من آلان إلى أين ستؤدى خيوط هذه المعركة ، ولكن الأمر الأساسى هو المشاريع التى تنفذ ، والمشاريع المخططة لمدينة القدس خلال السنوات القريبة القادمة ، فهذه لا تتوقف وهى موضوعنا وموضوع جولتنا فى القدس.

المدينة الكبرى

بدأت جولتنا فى نقطة عالية عند جبل الزيتون فى الشمال الشرقى للمدينة ، من هناك نطل على ارض شاسعة تبدو بلا نهاية فى الأفق عدد من القرى العربية ومستوطنتان وبيننا وبينها جميعا تمتد أرض جرداء ، تتماوج ما بين سهول وتلال.

هذه أول نقطة يريد رئيس البلدية تطويرها . فيحتضن رئيس حكومته ويشرح له بشاعرية عن المنطقة الجميلة الخلابة ، ثم يدعو مهندس البلدية ليشرح له المشاريع المخططة ، وهكذا فى كل منطقة زرناها ، وكلها فى الجزء الشرقى أى العربى المحتل من المدينة من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ، والأمور الاساسية هى:

أربعة شوارع جديدة ضخمة (أحدها يصل طوله داخل القدس خمسة كيلو مترات) الهدف منها احاطة القدس بشارع دائرى ، كما فى باريس ، بحيث يستطيع القادم اليها الوصول إلى هدفه دونما حاجة للدخول فى اختناقات المرور فى شوارعها الداخلية ، هذا من جهة ، واقامة شوارع أخرى تعفى المستوطن اليهودى القادم من المستوطنات البعيدة أو القريبة ، من دخول اية قرية عربية فى المكان.

إقامة أحياء سكنية جديدة أو تكثيف الأحياء القائمة بألوف المساكن الجديدة ، وقد خطط الأمر بهدف تمزيق التواصل السكانى العربى من جهة وزيادة المستوطنين اليهود علماً بأن القدس التى كانت ثانى مدينة فى إسرائيل من حيث عدد السكان فى السبعينات تضاعف عدد سكانها مرتين ، وأصبحت المدينة الأولى من حيث عدد السكان(٤٧٠ ألف نسمة) أو من حيث المساحة (٥٧ ألف) دونم.

تطوير مناطق سياحية جديدة ،خصوصا تلك التى تجمع الديانات الثلاث، وبالطبع مناطق سياحية لليهود خصيصا على سبيل المثال هناك منطقة الكنيسة الجثمانية عند باب الساهرة للقدس ، تعتبر مقدسة لجميع الديانات اليهود يقولون ان النبى داود (هل تذكرون بصبصاته من فوق السطوح) دخل القدس من هذه الطريق ، المسلمون يقولون ان النبى محمد (صلم) دخل إلى القدس ، عند الاسراء والمعراج ،من هذا الطريق وانه فى كل ليلة اسراء ومعراج فى السنة ، تنبع مياه زمزم فى هذا المكان.

والمسيحيون ، لديهم كنيسة الجثمانية التى مر من قربها السيد المسيح ، المخطط هنا ، والذى بدء بتنفيذ مرحلة اولية فيه ، هو بناء رصيف عملاق ، يكون مدرجا ، من باب الساهرة فى قمة الجبل إلى كنيسة الجثمانية فى الوادى وفتح المقاهى والنوادى الشبابية وغيرها.

تطوير القدس العربية وتحسين حياة سكانها ، المعروف ان حوالى ثلث السكان فى القدس عرب (١٥٨ ألفا) يعيشون بالأساس فى احياء فقيرة ومهملة ، لم يبق لهم أى مشروع سكن منذ سنة ١٩٦٧ ولم تبن مدرسة جديدة ، البنية التحتية لاحيائهم محطمة :، المجارى ، المياه، تصريف مياة المطر، الشوارع .. الخ حياتهم التجارية مشوهة ، وهم واقعون فى هذا المجال ايضا تحت رحمة الاحتلال ، فعندما يفرض حصاراً على الضفة الغربية تصاب الحركة التجارية فى القدس بالشلل التام ، والحصار هو أكبر موسم من مواسم حياة الناس فى هذا الوطن ، اطول من موسم الشتاء ،، واطول من الخريف.

رئيس بلدية القدس، الليكودى اليمينى

إهود اولمرت ، يعتقد ان تحسين ظروف الحياة في القدس العربية سيساهم في تخفيف التوتر والعداء و بالتالي يخلق نوعا من التطبيع بن سلطة الاحتلال وبين المواطنين العرب ، ولذلك يضمن العرب واحياءهم في بعض مشاريعه ، ويعاونه في ذلك وزير البناء والاسكان الذي يخطط لاقامة بعض الأحياء السكنية العربية ، ووزير السياحة الذي بدأ في مشروع تطوير السوق القديم الشهير داخل الاسوار ووزير التعليم الذي قرر بناء ثلاث مدارس عربية خلال السنوات الثلاث القادمة.

حائط المبكى

وكانت احدى المحطات البارزة في جولتنا في حائط المبكى ، الذي يعتبره المتدينون اليهود جزءا من جدار الهيكل ، اقدس اقداس الديانة اليهودية حاليا والهيكل ، حسب الرواية الدينية ، هدمه الصليبيون قبل الفي عام ، ولذلك ، يتوجه اليهود إلى الحائط ويبكون ويصلون ويكتبون امنياتهم على الورق ويدخلونها في شقوقه.

كان الحائط ، بالنسبة للسلطة الإسرائيلية حكومية و بلدية لم يعد للبكاء فحسب بل قضية سياسية بالدرجة الأولى ، فيجعلونه رمزاً للوطنية الإسرائيلية ولعودة الشعب اليهودي إلى أرض إسرائيل.

وقد وقف رابين العلماني ، أمامه خاشعا ثم دلف ، ودلفنا معه ، الي دهليز جانبي يقود إلى مغائر عميقة تمتد مئات الامتار تحت البيوت العربية في القدس الشرقية وتحت قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى . البيوت المطلة على حائط المبكى صودرت من أصحابها العرب او تم شراؤها ، وتخضع حاليا لسيطرة أجهزة الأمن.

وفي الداخل ، وجدنا حفريات جذرية عميقة وباحة رحبة ومدرج حديدي وضع خصيصا لجلوس وفود الزوار من اليهود والضيوف الرسميين .المهندس المتدين الذي يحمل عصا الارشاد يعلن لرئيس الحكومة وحاشيته أن كل من دخل إلى هنا واستمع إلى شرحه ، خرج متأثراً ، اليهود بشكل خاص قال شعروا بأنهم يعودون إلى الجذور والكثيرون منهم سالت دموعهم بعد هذا المشهد .

واما المشهد الذي يتحدث عنه فهو عبارة عن مجسم فني ضخم ، مساحته تزيد عن ٢٥ مترا مربعاً هو بمثابة اعادة تصور الهيكل القديم ، عندما قارنا المساحات ، بدا لنا ان الهيكل كما يتصورونه يمتد إلى ثلاثة او اربعة اضعاف مساحة باحة الاقصى ، ونفهم من الشرح ان ما يعرف حائط المبكى ليس سوى مقطع بسيط من احد جدران الهيكل الأربعة الخارجية وأن الهيكل نفسه كان عبارة عن مجموعة قصور جبارة داخل الأسوار العملاقة.

ثم يضغط المهندس المرشد على زر جهاز اليكتروني فتتحرك اجزاء من المجسم لتدل على المراحل التي مرت حتى وصلنا إلى الوضع الحالي ، ويختتم شرحه بالتمني على رئيس الحكومة أن يفلح في اعادة بناء الهيكل كما يتصورونه .. ونعود إلى المقارنة ، فنجد ان اعادة بنائه لا يمكن أن تتم الا بعد هدم الاقصى ومسجد الصخرة ومئات البيوت والحوانيت العربية المحيطة بهما.

وأما رابين فيكتفي بالقول. ان هذه الزيارة اثرت فيه كثيرا واعادته إلى الجذور ، لبزداد قناعة بان القدس هي مبهجة الروح بالنسبة للشعب اليهودي في كل مكان و أن القدس لا يمكن اعادة تقسيمها أو السماح بأية سيادة أخرى عليها سوى سيادة إسرائيل».

من التخطيط إلى العمل

رئيس البلدية الليكودي ، اولمرت ، بدا في نهاية الجولة سعيدا جدا ، لقد سعى إلى هذا اللقاء مع رابين منذ سنة ، وحاول طيلة هذه الفترة أن لا يطلق تصريحات ليكودية استفزازية ضده ، على عكس زملائه في الليكود واليوم اقام له استقبالا ملوكيا ولم يبخل في كلمات المديح له: على الرغم من اختلافات الرأي بيننا في بعض المواضيع ، اعلم اننا نكن لك هنا في القدس كل الاحترام والتقدير ، نحن لا ننسى أنك ولدت فيها ، وانك احد كبار المدافعين عنها ، وعندما تحررت عام ١٩٦٧ كنت انت قائد اركان جيشنا الذي فتحها» وأخذه إلى مدرسة ثانوية معروفة بأنها متخصصة في دراسة موضوع السلام ، وخلال اللقاء مع الطلاب وجهت لرابين ثلاثة أسئلة معدة سلفا ، وكلها بروح تشجيعية في سياسته وكان خلال كل وقت الجولة يرافقه في سيارة واحدة واختتماها بجلسة عمل مغلقة.

وتبين أن مشاريع أولمرت للسنوات الثلاث القادمة تكلف مبلغ مليار دولار.

ومع أن رابين لم يحضر معه دفتر الشيكات ، إلا انه وعد بدراسة كل المطالب وباتجاه إيجابي، «وفقا لقرارات الحكومة» ولكن وزير البناء، بنيامين بن اليعزر ، فقد كشف عن خطة وزارته لبناء ثلاثين الف وحدة سكنية جديدة في القدس خلال السنوات الخمس القادمة ، وأعلن أن ألفي وحدة بدئ البناء فيها ، وان خمسة آلاف وحدة جاهز كل شئ للبدء بتنفيذها وأكد كلاهما على أن «الغالبية الساحقة من الشعب تريد القدس واحدة موحدة وعاصمة أبدية لدولة إسرائيل» وأنهما سيعملان كل ما في وسعهما لتحقيق ذلك.

ورد اولمرت بالتلميح إلى ان المطلوب هو تطبيق ذلك عمليا ، معربا عن ثقته بأن رابين جاد في عمله لانقاذ القدس ودعاه إلى البدء بتجريد السلطة الوطنية الفلسطينية من كل المسئوليات السيادية لها في القدس والى اغلاق مقرها في القدس المعروف ببيت المشرق.

ولم يمر على هذا سوى اسبوع ، حتى كانت فضيحة استيطانية شاملة قد كشفت ، مفادها ان هذه الحكومة لم تجمد الاستيطان اليهودي في الضفة الغربية ، على الرغم من تعهدها بذلك .. لا بل انها استمرت فيه بوتيرة عالية وخلال الفترة منذ التوقيع على اتفاق اوسلو في واشنطن زاد عدد المستوطنين فيها بنسبة(٥٪) دخلوا بيوتا جاهزة أو تم البناء خصيصا لهم.

لقد ادعى رابين ، خلال لقائه الأخير مع عرفات وبيرس ، ان الحكومة لم تدفع ثمن هذه الشقق وان كل المبالغ دفعها ممولون خصوصيون لا سيطرة للحكومة عليهم ولا تستطيع ان تمنعهم ، وتجاهل أن القضية الأساسية هي في مبدأ السماح لهم بالبناء أو عدم السماح.

القدس صوت العربية

امر واحد في هذه الزيارة لم نذكره حتى الآن وابقيناه للنهاية ، بشكل متعمق الا وهو ذلك المقطع المتعلق بالقدس العربية.

لقد كان هناك من نصح السيد رابين بأن عليه ان يزور المنطقة العربية حتى لا يظهر وكأنه هرب من مقابلة المواطنين العرب في القدس ، فنظموا له دخول السوق القديم .

لم تكن تلك زيارة حقيقية لم تكن زيارة رئيس حكومة في دولة إلى مواطني دولته ، فالزيارة تمت بشكل مفاجئ مئات رجال الشرطة اغلقوا كل الممرات والشوارع في الطريق سرنا بخطوات سريعة المحاولات التي بذلها رابين للكلام مع المواطنين لم تثمر، صاحب الحانوت الأول لم يفهم ما اراده الثاني قال له : الحمد لله ، فتركه ،الثالث قال له : انت رجل سلام احبيك ، ولكن لماذا هذا التباطؤ؟

لكن الصحفيين المرافقين سألوا الناس ، احدهم قال :«يتجول رابين مثل ما بدو . الله يفرجها ».

سألناه : ماذا يقصد؟ فأجاب : الله يفرجها وخلاص.

لا أدرى اذا كان هذا القول جاء للتخلص او للتهديد او تسليما لله وحسب ، لكن بلاغته في ان كل ما يجرى تخطيطه للقدس بعيد عن رأى اهلها ، وهم ثلث السكان ، لا يريدون لانفسهم السيادة الإسرائيلية.

هذا هو حال القدس ، اليوم.

الجماهير المدافعة عن الأرض:

لا مفاوضات مع نشاط الجرافات وعلى السلطة الفلسطينية تحمل مسئوليتها!

حنا عميرة

رسالة القدس

هبة الجماهير الفلسطينية في المناطق المحتلة، دفاعا عن الأرض ، ضد الاستيطان والمصادرات ، وضعت السلطة والمفاوض الفلسطيني ، أمام الواقع الذي حاولت تجاوزه العملية التفاوضية الحالية، عندما غرقت في نهج المراحل ومراحل المراحل ، وتفتيت المراحل ، وأجلت ما هو أساسي للشعب الفلسطيني ، وقدمت ما هو اساسي للجانب الاسرائيلي ، واستبدلت تحت وطأة الضغوط والابتزاز الاسرائيلي ، والحياء المزعوم للراعي الأمريكي ، مرجعيتها الأساسية ممثلة بقرارات الشرعية الدولية ، بمرجعية أخرى تحدها متطلبات اسرائيل الأمنية.

وعندما تتسع هذه المتطلبات ، وتشمل كل المستوطنات والمستوطنين في المناطق المحتلة والحدود الأمنية مع الدول العربية المجاورة ، والقدس ، والسيادة على الأراضي ، ورفض اطلاق سراح آلاف المعتقلين الفلسطينيين ، فإن ذلك يعني أن حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره على أرضه ، وانجاز استقلاله الوطني، واقامة دولته المستقلة ، اصبحت في خطر داهم ومهددة يوميا بسياسة فرض الأمر الواقع ،. وهذا ما ارادت التحذير منه عشرات المسيرات والاعتصامات التي انطلقت من قرية الخضر الفلسطينية، قرب بيت لحم، وعمت مختلف أرجاء الريف الفلسطيني، تحت شعار موحد «الاستيطان يدمر السلام» ، وتحت قيادة مبادرة وشجاعة انبثقت من صميم الحركة الجماهيرية ، ممثلة بلجان الدفاع عن الأراضي.

لقد اعادت هذه الهبة الجماهيرية الى الذاكرة الفلسطينية ، المتهمة دائما بالنسيان السريع ، تلك الأسس والمبادئ، التي انطلقت منها المفاوضات منذ مؤتمر مدريد ، وبالتحديد الخطة التفاوضية الأولى للمفاوض الفلسطيني ، والتي اعتمدت على ثلاثة مطالب هي:-

١- وقف جميع النشاطات الاستيطانية .
٢- تطبيق اتفاقيات جنيف.
٣- الحماية الدولية.

واعتبرت هذه المطالب مقدمة ضرورية للبدء بتنفيذ قراري مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨، حيث أن المفاوضات كان يجب أن تناقش الإجراءات والوسائل لتطبيق هذين القرارين، وليس التفاوض عليهما ، كما حصل بالفعل، وعندما قرر المفاوض الفلسطيني عدم التمترس وراء هذه المطالب وتجاوزها للبحث في التفاصيل، وتفاصيل التفاصيل ، على أمل العودة إليها في وقت لاحق!.

وهكذا انتقل المفاوض الفلسطيني من المدخل الرئيسي والأساسي، أي مدخل وقف جميع النشاطات الاستيطانية ، إلى مدخل فرعي اطلق عليه في ذلك الحين «اجراءات بناء الثقة بين الجانبين» . وكان ذلك بناء على النصائح الأمريكية التي فضلت البدء بما هو سهل، وتأجيل البحث بما هو صعب . وبالمناسبة فان الموضوعات التي صنفت في خانة التأجيل كانت تلك التي تحتل أهمية وأولوية لدى الجانب الفلسطيني. وهذا الطريق السهل ادى الى التوقيع على إتفاقية القاهرة، أو اعتماد التفسير الاسرائيلي الكامل لاتفاق اوسلو.

وبعد التوقيع على اتفاقية القاهرة ، التي قدمت كل الضمانات الأمنية المطلوبة للاستيطان والمستوطنين ، تحولت الخطة التفاوضية الأولى للمفاوض الفلسطيني من الناحية العملية ، إلى هدف بعيد المدى ، وازدادت المسافة بين ما بات يعرف بمضمون المفاوضات القديم وبين مضمونها الجديد . وأصبح الاستمرار فيها ، وفق نهجها الحالي ، يعني المزيد من الابتعاد عن أصولها ومنطلقاتها ، ووضع المزيد من الحواجز والعقبات والقيود التي تحول دون تصويب المسار ، أو تقويم الاعوجاج ، أو العودة للاهداف والمنطلقات.

إن هذا بالتحديد ما نراه ونلمسه الآن ، فالمفاوضات لا تزال غارقة في النقاش حول الممر الآمن بين غزة وأريحا ، وجواز السفر وطابع البريد ، وإعادة الانتشار وما قبل إعادة الانتشار وإعادة الانتشار التدريجي ، وأما الواقع فيشهد كل يوم المزيد من المصادرات والتطويق والحصار وحملات الاعتقال ،وحسب الارقام الاسرائيلية نفسها فإن مساحة الأراضي التي تمت مصادرتها في الضفة منذ بدء العملية التفاوضية تقدر بحوالي ٢٠ الف دونم والبقية تأتي!.

من هنا كان من المنطقي ألا تكتفي الهبة الجماهيرية في الضفة بالشعارات المباشرة ضد الاستيطان والمستوطنين، وان تبلور شعاراتها السياسية المطالبة بوقف المفاوضات ، إذا لم يتوقف الاستيطان ويتراجع ، والإصرار على أن يكون إذا ما استؤنفت هذه المفاوضات موضوع القدس، والاستيطان على رأس قائمة مواضيع التفاوض.

أن أخذ خطوة عملية في هذا الاتجاه ، وانتهاز الفرصة السانحة التي وفرتها الجماهير للخلاص من بعض قيود اتفاقية القاهرة على الأقل ، من شأنه أن يشكل اسنادا ودعما كبيرين للحركة الجماهيرية ، وأن يسهم في تطويرها الى انتفاضة ، بمضمون جديد وأهداف سياسية واقعية وتعزيز حركة انتفاضية شاملة في الريف الفلسطيني، تستقطب باقي القطاعات والفئات الشعبية ، وتخلص الجماهير الفلسطينية من حالة الانتظار والمرواحة القائمة وتفتح افاقاً جديدة للنضال من أجل تحقيق الأهداف الوطنية.

إن تنفيذ مثل هذه الخطوة من شأنه أن يشكل قاعدة هامة لموقف وطني موحد، على الساحة الفلسطينية ، يعزز وحدتها الوطنية بمضمونها الشعبي الواسع، ويعيد اللحمة اليها كما أن من شأنها أن تشكل مدخلا لإعادة تحسين الأجواء مع الدول العربية ، وخاصة الاطراف العربية التفاوضية ، ونزع فتيل التوتر والبرود السائدة في الوضع العربي ، باعتبارها مظاهر مؤقتة وطارئة ، ولا يمكن أن تدوم.

لقد فتحت الهبة الجماهيرية من أجل الأرض آفاقاً جديدة يجب الإمساك بها وتطويرها والبناء عليها في الإتجاه الذي يخدم مصلحة هذه الجماهير .. وبالتأكيد فان مواصلة المفاوضات وفق منهجها الحالي لا يخدم هذه المصلحة ، وبالمقابل فان وقف المفاوضات والبدء بحملة واسعة لتعزيز الوحدة الداخلية ، وتنقية الاجواء مع الأشقاء ، والتوجه إلى الأمم المتحدة ومجلس الأمن ، وإلى الرأى العام العربي والدولي ، لفضح مزاعم اسرائيل حول السلام، وتجنيد الضغوط عليها لوقف سياسة الاستيطان والمصادرات ، هي الطريق التي يتوجب سلوكها إذا ما أردنا عدم الخضوع لسياسة الابتزاز.

كتاب جديد

ما بعد الملك فهد:

ولاية العرش في السعودية (٣)

تأليف: سيمون هندرسون

ترجمة: مصطفى الجمال

فى العددين الماضيين ، قدمت «اليسار» ترجمة للفصول الخمس من هذا الكتاب الخطير الذى تعرض فيه المؤلف لتأسيس الدولة السعودية، وفروع الأسرة الملكية الحاكمة ، والسيناريوهات المختلفة المحتملة لولاية العرش فى السعودية، والصراعات بين الأمراء .

وتختم اليسار هذا الكتاب بفصله السادس والأخير.



الملك فهد بن عبد العزيز

(٦) ولاية العرش والعلاقات الأمريكية السعودية

من بين كل علاقات المملكة بالخارج تعد علاقاتها بالولايات المتحدة الأمريكية هي الأكثر أهمية . وتخضع هذه العلاقات لمحددات ثلاثة هي: **النفط والأمن والإسلام** . فقد قربت بين البلدين حاجة الولايات المتحدة إلى مصدر للنفط يعتمد عليه وكذلك حاجة السعوديين إلى الأمن. أما الإسلام- وبالأحرى المذهب الوهابى المحلى- فهو عامل يتغلغل فى مجمل نسيج المجتمع السعودى ، ويعزز جذوره التقليدية بما يضمن وجود مسافة فى هذه العلاقات.

وفوق ذلك .. بدأ المسئولون الأمريكيون يدركون أهمية العربية السعودية بالنسبة للاقتصاد الأمريكى ، وخير دليل على ذلك العقد الحالى لصفقة شراء السعودية طائرات تجارية من أمريكا . وعلى مدى سنين طويلة كانت الولايات المتحدة هى أكبر مصدر لواردات المملكة من السلع ، وعلى الأخص **العتاد العسكرى الذى تقدر طلبات الشراء الحالية منه بإجمالى ٣٠ مليار دولار**(رغم وجود شكوك قوية حول قدرة المملكة على تدبير الموارد لهذه الصفقات) .وقد أخذت شركات النفط تتراجع إلى الوراء لتحتل مكانها من حيث الأهمية الشركات التى تورد المعدات والخدمات للجيش السعودى ، وغيره من مشترى التكنولوجيا والخبرة الأمريكية.

حماية بيت سعود

إذا كان الجانب الاقتصادى فى العلاقات بين البلدين يتمتع بالأهمية الكبرى بالنسبة للولايات المتحدة ، فإن **الأمن هو العنصر الحاسم بالنسبة للعربية السعودية** .وقد وصّف السعوديون أمنهم بطرق مختلفة على مر السنين ،وإن كان قد تمحور دائماً **على الخوف من الحصار والتطويق كما عبر عنه عبد العزيز آل سعود مبكراً عام ١٩٤٨**.

وربما كان يقصد فى هذا الوقت : **الخطر الشيوعى**، ثم أصبح فيما بعد القلق الذى تسبب فيه **الأنظمة العربية الجمهورية الراديكالية**. وحتى اليوم لا تزال المملكة على قلقها حيال أمنها، رغم ما تتمتع به من ثراء عريض وقدرة عسكرية.

ومن بين جيران السعودية هناك ثلاث قوى تمثل تهديداً من نوع خاص: **العراق وإيران واليمن** .(وقد لا يذكر السعوديون فى العلن سوى الخطر الإسرائيلى ، إذ أنهم لا

يحبون أن ينتقدوا جيرانهم العرب في اليمن والعراق علناً، أو يؤلبوا المشاعر الإسلامية بالإشارة إلى خطر إيراني .ورغم عدم واقعية التهديد العسكري الإسرائيلي المباشر للنظام السعودي، فإن المسئولين السعوديين ينظرون إلى عدم حل الصراع العربي الإسرائيلي على أنه بمثابة جرح مفتوح) وإن فكرة الحصار والتطويق لتظل صحيحة ، على الأقل من الناحية الجغرافية.

وقد أصبح من المسلمات لدى السعوديين الاقتناع بأن الولايات المتحدة هي البلد الوحيد الذي يستطيع أن يوفر ضمانات أمن كافية فضلاً عن رغبتها الأكيدة في القيام بهذا الدور وقد حرص كل الرؤساء الأمريكيين-بدءاً من ترومان وانتهاء ببوش -على إعطاء تعهد أمني شفوي بضمان السيادة الإقليمية للعربية السعودية.

وقد قنعت المملكة العربية السعودية بهذا التعهد واعتبرته كافياً في حد ذاته، وأن الأمر لا يتطلب نشر قوات أمريكية على أساس دائم . كذلك استقدم القادة السعوديون واستوعبوا جالية أمريكية كبيرة العدد في المملكة- تتضمن بعثات متضخمة من المستشارين العسكريين-لتكون بمثابة «نافذة زجاجية لضمانات الأمن الأمريكية).

التزمت السعودي

لا تزال العربية السعودية ملكية تقليدية شبه إقطاعية ومتخلفة صناعياً الي حد بعيد. ولولا الإعانات الحكومية والانفاق الهائل علي البنية الاساسية، لاعتمدت الدخول فيها بدرجة خطيرة علي التجارة المحلية والانشطة الزراعية الصحراوية وشبه الجافة ،وفي الوقت نفسه فإن انتشار الفساد وسط الأسر المالكة هو أمر مقبول حتي يصل الأمر الي حد اضفاء الطابع المؤسسي عليه.

ويهيمن الإسلام كلية علي البلد ويحظر ممارسة أي شعائر دينية أخرى، وتطبق عقوبات الجلد والرجم وقطع الأطراف والرؤوس . وعلي الرغم من تفاوت التزام الافراد بالمعايير الدينية الإسلامية الصارمة، فإن من واجب المتعصبين الذين يستخدمهم الحكم للتحقق من الالتزام الكامل بهذه المعايير ، في العلن على الأقل.

ومن الجوانب الخاصة لهذه الطبيعة النفسية الاجتماعية : العزمت في كل من المواقف والاتصالات . فالكثير من أوجه الثقافة الأمريكية وغيرها من الثقافات الغربية- ليست غير مرغوب فيها فحسب ، وإنما محظورة أيضا . وحتى السعوديون الذين يسافرون إلى الخارج للتمتع بنمط الحياة في البلدان الغربية ، فيقال أن سعادتهم لا تكتمل في الغالب إلا بالعودة إلى الوطن وحياته الثقافية المتزمتة.

ويرى شهود عيان للمجتمع السعودي أن عدداً كبيراً من الأمراء الشبان الذين تلقوا تعليمهم في الخارج(خاصة في الولايات المتحدة) أخذوا يتفهمون ويستوعبون القيم الغربية ، وأن قيامهم بقضاء المزيد من العطلات في أوروبا والولايات المتحدة سوف يجعلهم يتماشون أكثر مع الغرب . ومن الأصعب إدراك نظرة الأمراء الآخرين للعالم، وخاصة أبناء عبد العزيز آل سعود الذين تلقوا تعليمهم داخل المملكة وحدها. وعلى سبيل المثال فإن ولي العهد الأمير عبد الله يفضل أن يقضي إجازته في المغرب (البلد العربي المسلم) عن أن يذهب إلى أوروبا .

ويرى المراقبون أنه لا شك -إلاقليلاً -في قوة الرابطة التي تجمع الأمراء ببلدهم ، فالواحد منهم- وهم الذين يتولون مناصب حكومية- ينظر إلى نفسه «كشريك» في اتخاذ القرارات «لبلده» هو . وإن هذه الاقتناع المشترك بدور الأسرة. يتسع بلا شك

الملك فهد وحوله الأمير عبد الله ولي العهد وعدد من الأفراد خلال وضع حجر أساس مشروع هام



إلى حد الاستعداد للتسامي فوق الخلافات الأسرية الداخلية من أجل تحقيق الإجماع فى أوقات الأزمات ، ولكن **لا شئ يضمن أن يظل الجدال سراً أو أن الإجماع سيتحقق دائماً.**

ومن المحظور كلية ممارسة أى نوع من النشاط السياسى، ويعاقب على ذلك بعقوبات فظيعة فى أغلب الأحوال ، حتى بالنسبة لأنشطة ينظر إليها فى الغرب كحقوق سياسية لا يجوز مصادرتها ، مثل عضوية الحزب أو نقابة أو جمعية تطوعية . بيد أن الخشية من الاعتقال لا تكفى لتبرير حرص السعوديين على عدم التعبير عن آرائهم فى التطورات السياسية . ويعتقد مراقبون كثيرون أنه ربما كان وراء ذلك شعور بدرجة ما بأن هذه القضايا ليست من شأن الأجانب.

وعلى الرغم من أن السعوديين كأفراد قد ينتقدون الأسرة الحاكمة (وهناك من الأسباب التاريخية ما يكفى للاعتقاد بأن الكثيرين يشتركون فى هذا الرأى) فإن الاحترام التقليدى للسلطة والنظام القائمين يجعل المملكة مجتمعاً أكثر صلابة بكثير مما يتصور معلقون كثيرون.

وبالنسبة لأفراد الأسرة المالكة فهم الآخرون لا يبدون اهتماماً لمناقشة الأمور السياسية مع الأجانب . ويعنى الحذر السعودى الملكى تجاه الأجانب ، أن الأجنبى لا يستطيع اللقاء بأكثر من بضعة أمراء إلا نادراً ، ولا يمكنه أن يتبادل حديثاً صريحاً مع أكثر من أمير أو اثنين . وهكذا فإن ندرة وسرية اللقاءات بين الغربيين والأفراد الرئيسيين فى الأسرة المالكة تتسبب فى كون الصلات الأجنبية بالنخبة السعودية مغلفة بالغموض . وحتى الأجانب الذين لديهم صلات ومعرفة فإنهم نادراً ما يعترفون بذلك مباشرة حتى لا يخاطرون بأى صلات يتمتعون بها.

النظرة الامريكية للمملكة

إن الولايات المتحدة تتحمل كل الاختلافات السابقة انطلاقا من مصلحتها فى التدفق الحر للنفط بأسعار معقولة ، وكذلك الدور الهام الذى تلعبه العربية السعودية فى الاقتصاد الأمريكى المحلى .. ويتجنب المسئولون الأمريكيون إصدار أى أحكام قيمية بحق المملكة السعودية ، ويكتفون بإظهار الموافقة على الاتجاه العام بتوسيع المشاركة السياسية فى المملكة بدلاً من التعليق مباشرة على مدى تقدم العربية السعودية فى هذا المجال ومقارنته بالبلدان الاخرى ، وعادة ما يكون الضغط الدبلوماسى وراء أى تحسن طفيف هناك ، ففى مسألة حقوق الإنسان مثلاً قد يستلزم الأمر ممارسة الضغط لضمان الاكتفاء بطرد مواطن أمريكى متهم بشرب الخمر بدلاً من توقيع عقوبة الجلد عليه . ولكن لا شئ يمثل تنازلا ثابتاً من جانب السلطات السعودية.

وهكذا فإن الرئيس كلينتون بعث بتهانيه عندما أعلن الملك فهد فى أغسطس ١٩٩٣ أسماء أعضاء مجلس الشورى على الرغم من **الاقتناع واسع الانتشار بأن المملكة لا تزال بلداً غير ديمقراطى وبصورة غير مقبولة** . ويمتد هذا الرأى إلى داخل المجتمع السعودى ذاته ، على الأقل وسط التكنوقراط ورجال الأعمال من الطبقة المتوسطة والأكثر ولاء للغرب ، وإن كان من المحتمل أن تكون حدة. هذا الرأى قد خفتت بعض الشئ بعد الاجتماعات الأولى التى عقدها مجلس الشورى فى مستهل عام ١٩٩٤.

أما الانتقادات والمزاعم الأكثر صراحة فقد جاءت -فى حقيقة الأمر- من جانب الدوائر الدينية المحافظة التى تدعو إلى مراعاة أكثر لحرفيات الإسلام ، وإلى مساءلة أكبر للأسرة المالكة . وقد أربك هذا النقد المزدوج مسئولى الولايات المتحدة الذين يجدون صعوبة فى تفهم الأفكار والاهتمامات الأصولية . بل إن الحواجز الثقافية تحول حتى دون الفهم الأمريكى للقطاع الموالى للغرب فى المجتمع السعودى.

وإلى جانب القلق من القيود على الديمقراطية ، هناك أيضا جوانب أخرى للقلق تتعلق **بتفشى الفساد الرسمى وأوضاع المرأة فى المجتمع السعودى ، وبعدم التسامح ازاء الديانات الاخرى ، وعمليات الإعدام العلنية** ،وجاء التقرير السنوى لوزارة الخارجية الأمريكية عن أوضاع حقوق الإنسان فى العالم عام ١٩٩٣ متضمناً اتهاماً مريراً للمملكة بانتهاكات عديدة لحقوق الإنسان .

ولا يعتد المسئولون السعوديون بمثل هذه الانتقادات ، فما ينظر إليه فى الغرب على أنه فساد -مثل الإصرار على دفع العمولات مقابل إتمام صفقة ما- ينظر إليه الحكام السعوديون ببساطة على أنه حق ووسيلة لتوزيع الأموال من خلال منظومة الوفاء بالتعهدات.

ويؤكد السعوديون على الدور المحورى للإسلام فى المملكة لتبرير التفرقة الدينية والاعدامات العلنية التى يقال أنها من صلب الشرع الاسلامى، وكثيرا ما يقدم تبرير آخر فحواه أن الشعب هو الذى يطالب بالحفاظ على هذه العادات بينما أعضاء الأسرة المالكة لا يوافقون على مثل هذه العقوبات القاسية ولا يقرون عدم التسامح الدينى.



الأمير نايف

التعاون الدولى الأمريكى -السعودى

تنظر السياسة الامريكية فى الشرق الأوسط إلى المملكة السعودية بوصفها إحدى حليفاتها الاقليمية- إلى جوار بقية دول مجلس التعاون الخليجى ومصر واسرائيل وتركيا . وتهدف الاستراتيجية الأمريكية إلى احتواء الراديكالية والنزعة المغامرة لدى كل من العراق وإيران (وهو ما يسمى سياسة«الاحتواء المزدوج») ، وتعزيز السلام بين العرب واسرائيل والحد من انتشار أسلحة الدمار الشامل ووسائل إطلاقها ، وتطوير رؤية إقليمية أكثر ديمقراطية وأكثر رفاهية «لكل شعوب الشرق الأوسط».

أما كيف تنظر الأسرة السعودية إلى دور المملكة فى الشؤون الدولية فيظل أمراً غامضاً إلى حد بعيد ، وهى نظرة تختلف بالتأكيد حسب المسألة المطروحة ، وهى غالباً ما تكون كبيرة، فبالنسبة لقضية أسعار النفط ينظر الأمراء إلى بلدهم كبلد نام يحتاج إلى رفع الأسعار وهم مستعدون فى سبيل ذلك للمخاطرة بإغضاب الغرب. وعلى العكس من ذلك تماماً فيما يتعلق بمسألة العرض فى سوق

النفط العالمية -على الأقل فى عهد الملك فهد- يتم التشديد على ضرورة وجود صلات مسئولة مع الغرب.

إن ميل الأسرة الحاكمة نحو التعقل (ويفضل البعض استخدام تعبير «تهوس» بدلاً من «ميل» قد جعل من الرياض شريكاً مفيداً فى بعض الأحيان لتحقيق أهداف السياسة الخارجية الأمريكية. غير أنه فى الموضوعات المتعلقة بالعالم الإسلامى يشدد الأمراء على دورهم القيادى بوصفهم حماة الحرمين الشريفين فى مكة والمدينة.

فقد أعطى السعوديون تأييدهم الكامل لحكومة البوسنة التى يسيطر عليها المسلمون ، ومارسوا الضغوط على الغرب للاضطلاع بعمل أكثر حزماً ضد الصرب، كما دعوا الدول الأخرى إلى تجاهل الحظر الذى فرضته الأمم المتحدة على إمداد مسلمى البوسنة بالسلاح وربما فعلوا ذلك بأنفسهم.

أما النظرة السعودية إلى حل الصراع العربى الاسرائيلى فهى مطالبة باستيعاب عوامل متعددة ومتناقضة جزئياً ، ومنها دور المملكة كدولة عربية ، ووضع القدس كحرم إسلامى ، وخيانة ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية أثناء غزو العراق للكويت عام ١٩٩٠ ، والرغبة فى معاونة الولايات المتحدة على إنجاز التسوية ولا يثير الدهشة أن يبدو اهتمام السعوديين بمساعدة التسوية أقل من اهتمامهم بالتوفيق بين بعض تناقضاتهم الخاصة.

وقد شددت البيانات السعودية الرسمية حول الاتفاق بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية فى سبتمبر ١٩٩٣، شددت على حقوق الفلسطينيين وعودة القدس، وذلك الي جانب البيانات التى تدعو إلى عمل أمريكى وغربى لدعم مسلمى البوسنة. وعلى رغم التأييد الذى تبديه السعودية للجهود الأمريكية لتحقيق السلام بين العرب واسرائيل ، فما زالت السعودية مستمرة فى فرض المقاطعة من الدرجتين الأولى والثانية ضد إسرائيل .

ومن السهل فهم الموقف السعودى من إسرائيل على ضوء الحذر التقليدى للمملكة إزاء تغيير السياسة ، ولكن لا يبدو أن هناك أى مسعى للتأثير على الإعلام المحلى للتقليل من نغمة العداء لإسرائيل على الرغم من أن الصحف تتبع الخط الرسمى صاغرة فى المسائل الأخرى ، ويعد الموقف السعودى العلنى مخيباً إلى حد ما لآمال المسئولين الأمريكيين الذين طالما استمعوا إلى مناشدات سعودية بضرورة حل النزاع العربى الاسرائيلى ، **ويبدو أن هناك فرقاً واضحاً بين ما يقوله الملك فهد لواشنطن سراً- غالباً ما يتم ذلك عبر سفيره الأمير بندر- وبين ما يقال ويفعل داخل المملكة.**

الرؤية الأمريكية لعملية ولاية العرش.

يبدو أن الولايات المتحدة لم تهتم اهتماماً جدياً فى الماضى بمسألة ولاية العرش ، إذ لم تنشأ هناك حاجة ملحة لذلك، وساد الاعتقاد لدى صناع السياسة الأمريكية -رجال النفط والدبلوماسيين على نحو خاص -بأنهم لا يملكون القيام بشئ فيما يتعلق بالتأثير على النتيجة والاختيار ، بل أنه لا ينبغى محاولة ذلك من الأصل.-

فقد عرف السعوديون كيف يجتازون تلك الأزمات واحدة وراء الأخرى ، ولم يكن هناك لدى الولايات المتحدة قليل أو كثير لتفعله سوى مراقبة ما يحدث ولم تظهر حاجة ماسة للتدخل حيث لم يتوقف النفط عن التدفق.

لقد أدى صعود نجم فهد -الذى أصبح رئيس الوزراء الفعلى منذ عام ١٩٧٥ بعد وفاة الملك فيصل فى مارس من ذلك العام-إلى إعادة تقوية وشائج العلاقات السعودية الأمريكية ورغم وقوع بعض مظاهر الاستقلال العارضة فقد تواصلت هذه العلاقة وتدعمت ووصلت إلى ذروتها بالدعم الأمريكى للملكة وهزيمة العراق عسكرياً بعد غزو صدام حسين للكويت فى أغسطس ١٩٩٠ .

الأمير سعود الفيصل



وليس من المرجح أن يسير المستقبل بنفس الدرجة من السلاسة ، على الرغم من التغيير الجوهرى للفكرة السابقة المأخوذة عن ولى العهد الأمير عبد الله -وهو الملك القادم على أرجح الاحتمالات- بأنه معادٍ لأمريكا. غير أن المشكلة ليست بمثل هذه البساطة ، فلا يوجد يقين بأن الأمير سلطان -وهو لا يقل فى ولائه لأمريكا عن أخيه الشقيق الملك فهد- سوف يتولى العرش بعد عبد الله ،وعلى العموم فإن السعودية ليست استثناء من بلدان كثيرة يصعب أو يستحيل التنبوء بالقائد القادم فيها ، ومن ثم فحقيقة وجود معرفة عملية الاستخلاف ونقل السلطة أكثر أهمية من معرفة شخصية الحاكم القادم.

والمشكلة أنه على الرغم من جهود الملك فهد لإرساء نظام حكم أكثر اتساقاً ،فإن ولاية العرش ستظل محل صراعات صريحة على السلطة مع النوع الذى خبروه فى الماضى ، حتى وإن كان خارج أسوار القصر . وهذا سيربك بالتأكيد وعلى نحو خاص الدور المركزى الذى تلعبه السعودية فى المعالجة الأمريكية لأمن الخليج ، وكذلك الدور **الذى تريد إدارة كلينتون أن تلعبه السعودية من أجل تحقيق المصالح الاقتصادية الأمريكية، إن الولايات المتحدة تواجه المعضلة الآتية:** فأى تصرف يقترب من التدخل فى عملية ولاية العرش سيكون محل إدانة ، ولكن الولايات المتحدة سيكون عليها أن تجنى الثمار المريرة لأى خلل فى الاقتصاد العالمى ينجم عن أضطراب أو اقتتال داخل الأسرة الملكية السعودية.

إن الفكرة التقليدية السائدة وسط الخبراء فى الشئون السعودية ووسط المسئولين السعوديين الذين يرغبون فى الحديث عن ولاية العرش (فى السر طبعا) هى أن هناك مخاطر كبيرة جدا بالنسبة لعضو الأسرة الذى طالب بحقه فى الاستخلاف لأن ذلك سيؤدى إلى انشقاقات علنية أو دائمة . وتركز هذه الرؤية على صفات بنية الإجماع فى اتخاذ القرار السعودى ، ومدى الولاء الذى يبديه الأمراء لكبارهم ، وهى أيضا تمثل نظرة وردية لتاريخ الأسرة السعودية الملكية ، مثل تصور أن مخاطر الخلاف واضحة للجميع ولن يسمح

مرة أخرى بتكرار أحداث من قبيل الحرج العلنى الذى تسبب فيه «الأمراء الأحرار» خلال الستينات ، أو ضياع السلطة من الأسرة السعودية خلال القرن التاسع عشر .

وهناك الرؤية المعاكسة .. والتى ترى أن عملية ولاية العرش تظل ابداً صراعاً غير مبدئى على السلطة المجردة بما يتسبب فى منازعات سياسية داخل الاسرة .. وهي رؤية أقرب إلى التماسك من الرؤية السابقة .. وطبقا لمراقبين عديدين فإن «سياسة ولاية العرش تبدو اليوم في بؤرة الاهتمام في الرياض» وخاصة وسط أحفاد عبد العزيز آل سعود ..

توصيات للسياسة الأمريكية

إن الإدارة الديمقراطية فى البيت الأبيض قد تكون هى الفترة الأخيرة فى حكم الملك فهد، الأمر الذى يؤكد أهمية وضرورة إعادة فحص العلاقات الأمريكية السعودية ، وكما قال **جيمس شليزنجر** وزير الطاقة الأمريكي السابق أمام المؤتمر الذى عقد فى مدريد فى سبتمبر ١٩٩٢-أى قبل هزيمة بوش انتخابيا مباشرة- «ان **سياستنا الحالية تبدو-من الناحية الفعلية- معتمدة على بقاء الملك فهد حياً إلى الأبد ، وأن يظل قابضاً بحزم على سياسة النفط السعودى ، وأن يظل متعاوناً ، وأن يستمر التوازن السياسى -العسكرى القائم الآن فى الخليج الفارسى فى غير المحدود**. وقد ورثت السياسة الأمريكية الحالية -فى حقيقة الأمر -عن الإدارات السابقة الحذر إزاء إزعاج الأسرة الملكية السعودية ، وهو ما تمخض عنه الصمت الأمريكي الرسمى تجاه مسائل قد تهدد استقرار النظام ، وبالتالى تعرض العلاقات الأمريكية السعودية للخطر.

ويفترض الجدل السعودى الداخلى حول مسألة وراثة العرش أن **الولايات المتحدة ستبقى فى كل الأحوال على التحالف النفطى/ الأمنى** بغض النظر عن اسم الملك القديم . ،ولا يبدو أن السعوديين يدركون أنه على الرغم من الرأى السائد وسط الخبراء الغربيين فى الشؤون السعودية بأنه «ليس باستطاعة الغرب ولا ينبغى له أن يؤثر فى عملية ولاية عرش المملكة» فإن هذا القول يتبع غالباً بالتأكيد على ضرورة «أن يستمر هذا البلد فى ضخ النفط حتى لو انهار بيت آل سعود».



الأمير سلطان

إن العلاقات الحالية والتى تطورت فى ولاية الملك فهد هى علاقات استثنائية فى دفئها ووثاقتها ولا يرجح أن تتكرر وسيكون هذا صحيحاً على وجه الخصوص إزاء المزيد من نمو النزعات التى تتحدى ذلك الموروث الإسلامى وطابعه المؤسسى فى المملكة ، والذى بنى آل سعود سلطتهم على أساسه.

وفيما يتعلق بهذه التحديات، ولتقليل خطرها على العلاقات الثنائية مع المملكة فى الفترة الحالية حتى يأتى الملك الجديد فإن على الولايات المتحدة أن تنظر فى الخطوات المتواضعة التالية:

***العمل على إرساء صلات أوثق مع ولى العهد الأمير عبد الله** (دون أن يؤثر ذلك على سلطة الملك فهد) من أجل تشجيع تحول عواطفه نحو الولايات المتحدة ، ومعرفة اهتماماته الخاصة ، ويجب دعوته لزيارة واشنطون اذا أظهر رغبة فى قبول الدعوة.

***إعادة التوازن الدبلوماسى للعلاقات برفع وضع الممثل الأمريكى فى الرياض** . إذ كان معنى نقص التمثيل على مستوى السفراء منذ ١٩٩٢ أن أصبح الأمير بندر بن سلطان سفير السعودية إلى واشنطون (ولديه مصالح فى عملية وراثة العرش القادمة) .. أصبح الاتصال الرئيسي والوحيد على مستوى القمة. ومن المهم أن ينظر إلى رأى مابيوس (حاكم ولاية ميسيسبى السابق الذى اختاره كلينتون مبعوثاً خاصاً له) كلاعب رئيسى فى العلاقات الأمريكية السعودية ، رغم افتقاره إلى أى خبرة سابقة بالشرق الأوسط.

***البحث عن سبل لتشجيع تطوير مجلس الشورى الحالى** ، والذى ينطوى على تمثيل- وإن يكن متواضعاً -للطبقة التكنوقراطية التى قد يتوقف عليها مصير العلاقات الأمريكية السعودية.

***تشجيع الإصلاح المالى فى السعودية بما يضمن عدم تفاقم الأزمة المالية**- بسبب انخفاض عائدات النفط والإنفاق السفيه- وتحولها إلى أزمة سياسية داخلية.

***تشجيع المملكة العربية السعودية على التصرف بعلانية أكثر كواحدة من شركاء السياسة الأمريكية الرئيسيين فى الشرق الأوسط** ، خصوصاً فى مرحلة إقامة العلاقات الإسرائيلية الفلسطينية . إن الافتقار إلى التأييد السعودى العلنى لأهداف السياسة الأمريكية ، وكذلك ضعف المساهمة المالية لدعم تجربة الحكم الذاتي- يمكن أن يكون لهما أثر بعيد المدى على قبول الرأى العام الأمريكي للإقحام مستقبلا فى أى أزمات جديدة تقع بالشرق الأوسط بما فيه المملكة خاصة اذا استدعى الأمر إرسال أعداد كبيرة من القوات الأمريكية.

***بذل المساعي الطيبة- سواء بشكل مباشر أو من خلال طرف ثالث(عمان)- للمساعدة فى حل نزاع الحدود القديم مع اليمن** خاصة وأن الاتفاقية المعمول بها ينتهى أجلها خلال هذه السنة، ونظراً لتدهور صحة الملك فهد فإن هذا النزاع قد يتطور إلى مشكلة رئيسية ويصبح من العوامل المؤثرة على سياسة ولاية العرش.

.. إن أياً من المبادرات السابقة لا يشكل محاولة للتأثير على سياسة ولاية العرش ، ويجب تقديمها فى صورة أنها على سبيل مساعدة صديق وحليف ، وتستهدف حل المشكلات أو تقليل حدتها قبل أن تتحول إلى أزمات مستحكمة ، وذلك فى مرحلة تبدو فيها المملكة أبطأ من المعتاد فى حل مشكلاتها بنفسها.

ليست هناك وصفة سحرية للحفاظ على العلاقات التى أفادت كلا البلدين بصورة معقولة ،ولكن إذا سارت هذه العلاقات فى وجهة خاطئة فسوف ينشأ الكثير من المخاطر على استقرار الشرق الأوسط والاقتصاديات الصناعية فى الغرب واليابان.

وجوه في الأنباء

جوسلوفو
الأبيض الذى قاد جيش المؤتمر الوطنى الإفريقى ضد العنصرية

نبيل يعقوب

الرئيس مانديلا جوسلوفو وطنى أفريقى عظيم، وهب حياته للنضال من أجل العدالة الديمقراطية والحرية

***

ودع شعب جنوب أفريقيا يوم الأحد ١٥ يناير جوسلوفو المحامى البارع، وأحد أبرز قادة النضال ضد العنصرية فى جنوب أفريقيا ، والمفكر الاستراتيجى للمؤتمر الوطنى الأفريقى .A.N.C الرئيس مانديلا وصف رفيق نضاله بأنه« وطنى افريقى عظيم .. وهب حياته للنضال من أجل العدالة والديمقراطية والحرية.. » والمؤتمر الوطنى الأفريقى وصف سلوفو بأنه «الرائد الفكرى لجنوب افريقيا الجديدة».

جوسلوفو إبن الأسرة الليتوانية اليهودية التى هاجرت لجنوب أفريقيا ، انضم إلى الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا عام ١٩٤٠ . ولعب دوراً هاما فى توطيد وحدة القوى الديمقراطية المعادية للابارتهايد وللعنصرية . ونظم مع المؤتمر الوطنى الافريقى حركة المقاومة الجماهيرية ضد العنصرية فى الخمسينات ، وتعامل معه النظام العنصرى بحقد خاص فهو الأبيض الذى تخلى عن أبناء جلدته البيض العنصريين وتزعم النضال ضد نظامهم اللاإنسانى ، وهو المحامى البارز الذى خصص حياته لتنظيم العمال الافارقة وتنويرهم وقام سلوفو بدور إعادة تأسيس الحزب الشيوعى فى جنوب افريقيا، ولم يتأخر كثيراً اتهامه بالخيانة العظمى ، خيانة العنصر الأبيض المتسلط وخيانة الطبقات المستفيدة التى أرادت بالعنصرية تأييد نظامها الاستغلالى. وعرف سلوفو المطاردة والسجن ، وعندما اضطر النظام تحت ضغط المقاومة الشعبية والعالمية لإجراء إصلاحات فى مطلع التسعينات حاول أن يعزل عن العملية التفاوضية أعرق الأحزاب المناضلة ضد العنصرية فى جنوب افريقيا وتحديداً جوسلوفو قائد الحزب الذى مثل فى نفس الوقت العقل الاستراتيجى للمؤتمر الوطنى الأفريقى.

توفى سلوفو عن ٦٨ عاما. الرجل الذى حقق جانبا هاماً من حلمه فى القضاء على النظام العنصرى هزم فى المعركة ضد السرطان ، والآن أخلى سلوفو مواقعه المسئولة، وكان حتى موته رئيسا للحزب الشيوعى فى جنوب افريقيا ووزيراً للبناء فى حكومة الوحدة الوطنية ، وعضوا فى قيادة المؤتمر الوطنى الافريقى.

وكان الرجل الأبيض الديناميكى الذى كلل الشيب رأسه ، والذى وهب حياته للنضال ضد العنصرية ، وهو المبادر بالدعوة للنضال المسلح ضد النظام العنصرى ، ومع نيلسون مانديلا ، وكانا قد درسا الحقوق سويا فى نفس الجامعة فى الأربعينات ، شكل جوسلوفو عام ١٩٦١ «حرية الأمة» Umk-honto We Sizwe—جيش المقاتلين ضد نظام الابارتهايد الذى ضم ١٠٠٠٠ مقاتل تحت قيادة جوسلوفو . اضطر جوسلوفو عام ١٩٦٣ للهروب من جنوب افريقيا وللحياة ٢٧ سنة فى المهجر وكان العدو رقم واحد للنظام العنصرى بعد أن حجبت قضبان السجن المناضل مانديلا خلفها . وطوال وجوده فى المهجر واصلت السلطة العنصرية محاولات تصفيته بوسائلها الإجرامية ، وبينما فشلت هذه المحاولات فى أن تصيبه مباشرة قتل العنصريون رفيقة حياته ، زوجته روث فيرست ، بقنبلة بريدية فى عاصمة موزمبيق مابوتو عام ١٩٨٢ . فى فيلم «A World ApartA » سجلت ابنته «شون» محطات من الحياة المثيرة لجو سلوفو وزوجته.

فى أواسط الثمانينات انتخب سلوفو

أمينا عاما للحزب الشيوعى الأفريقى وكان أول «أبيض» ينتخب عضوا فى قيادة المؤتمر الوطنى الافريقى.

عندما جلس سلوفو فى بداية التسعينات إلى مائدة المفاوضات فى مواجهة ممثلى النظام العنصرى تأمل وجوههم وتساءل من منهم الذى أصدر قبل ثمانى سنوات الامر بقتل زوجته ؟؟. فيما بعد قال جو عن هذه اللحظات .. **ولكن أفكار الانتقام لن تجعلنا نخطو للأمام .. ان لم نتخل عن الماضى ومراراته لن نتوصل إلي جنوب أفريقيا سلمية».**

الصحافة العنصرية والبرجوازية واصلت لعشرات السنين وصفه بأنه **«الرجل الصعب .. الرجل الستالينى»** وعندما فتح نضال الشعب الفصل الجديد فى تاريخ جنوب افريقيا تبين انه أكثر الساسة ابتعاداً عن فكرة الثأر وعن المطالبة بعقاب المجرمين العنصريين الذين سببوا آلاما لا حصر لها طوال عشرات السنين لملايين السود والملونين .. كانت عيناه على المستقبل ، وهنا تبين أنه أكثر قادة المؤتمر الوطنى الأفريقى مرونة واجتهادا فى الوصول لحلول تدفع مسيرة التطور السلمى نحو جنوب افريقيا بلا عنصرية.

كان هو صاحب اقتراح تخلى المؤتمر الوطنى الافريقى رسميا عن الكفاح المسلح عام ١٩٩٠ والذى اعتبره الراديكاليون تعبيرا عن الضعف والمهادنة . عن هذا كتب مانديلا فى سيرته الذاتية **«الطريق الطويل نحو الحرية»***.

«فى أواسط يوليو ، وقبل فترة قصيرة من اجتماع معد للجنة التنفيذية الوطنية أتى جوسلوفو فى زيارة خاصة لى باقتراح أن نتخلى باختيارنا الحر عن الكفاح المسلح لنخلق بذلك الجو الصحى لدفع المفاوضات للأمام . لأن السيد دى كلارك ينبغى أن يبرهن لأنصاره أن سياسته أتت للبلد بفوائد . وكان رد فعلى الأول هو الرفض ظنا أن الوقت لم ينضج بعد.

ولكني كلما امعنت التفكير فى الأمر اتضح لى أننا ينبغى أن نأخذ المبادرة وأن هذا هو أفضل الطرق ، وكنت اعرف أن جو الذى لايشك أحد فى مصداقيته كراديكالى هو بالضبط الرجل المناسب لتقديم مثل هذا الاقتراح ، فلا يمكن اتهامه بانه وقع فى حبائل الحكومة أو أنه أصبح مستأنساً، فى اليوم التالى قلت لجو أنه إذا قدم الاقتراح للجنة التنفيذية الوطنية سأقوم بتأييده.

وعندما قدم جو الاقتراح أمام اللجنة التنفيذية الوطنية فى اليوم التالى رفضه البعض بحسم ، وزعموا اننا نقدم بذلك مكافئة لأنصار دى كلارك وليس لأنصارنا نحن ،



جوسلوفو

وقمت بالدفاع عن الاقتراح ، واشرت الى أن هدف نضالنا المسلح كان دائما اجبار الحكومة على الجلوس إلي مائدة المفاوضات ، وقد تحقق هذا الآن ، وشرحت أن قرار وقف القتال يمكن الغاؤه فى أى لحظة ، ولكن الوقت قد حان الآن لنعلن نيتنا الحسنة ، وبعد ساعات عديدة فازت فكرتنا ص٧٨٢» .

وفى عام ١٩٩٢ اقترح سلوفو تشكيل حكومة للوحدة الوطنية بعد الانتخابات ، حكومة تضم كافة القوى السياسية الهامة بما فيها الأعداء السابقين ، ويتذكر مانديلا فى كتابه :

«تماما كما أخذ جوسلوفو المبادرة فيما يخص مهمة الكفاح المسلح كان الآن أول من يقدم اقتراحا معاكسا : حكومة وحدة وطنية ص.٨١».

وعن العلاقة مع رفاق جوسلوفو نشر مانديلا فى سيرته الذاتية التى صدرت فى أواخر العام الماضى الكلمات التى قالها فى دفاعه أمام المحكمة سنة ١٩٦٤، وكان نلسون مانديلا هو المتهم الأول فى قضية الجناح العسكرى للمؤتمر الوطنى الأفريقى «حرية الأمة»:

قد يكون من الصعب على الجنوب أفريقيين البيض والذين يتملك نفوسهم حكم مسبق ضد الشيوعية، أن يفهموا ترحيب الساسة الأفارقة المجربين بصداقة الشيوعيين ، ولكن السبب واضح بالنسبة لنا. إن الخلافات النظرية بين المناضلين ضد الاضطهاد هى ترف لا نملك أن نتحمله فى هذه الفترة ، وخلافا لذلك فإن الشيوعيين وعبر عشرات السنين كانوا المجموعة السياسية الوحيدة فى جنوب افريقيا التى تعاملت مع الافريقيين كبشر وكأنداد ، كانوا يأكلون معنا ويتحدثون معنا ويعيشون ويعملون معنا. ولذلك يميل كثير من الأفارقة اليوم لاعتبار الحرية والشيوعية شيئا واحدا.

كان موت جوسلوفو صدمة لشعب جنوب افريقيا .. أصدقاؤه من المؤتمر الوطنى الأفريقى وصفوه بالرائد الفكرى لجنوب أفريقيا ،ومجلس الكنائس فى جنوب أفريقيا نعاه قائلا أنه «رجل يملك صمودا عظيما وإيمانا قويا» حتى لو لم يكن مسيحيا. وحتى وزير الشرطة السابق أدريان فلوك عبر عن احترامه لهذا الرجل على الرغم من الخصومة الجذرية معه.

جوسلوفو لم يفقد قناعته بالاشتراكية رغم انهيار الاتحاد السوفيتى وبقية الدول الاشتراكية أو تشوه محتواها فيما تبقى من دول ، وله تعليق معروف وهو «إذا **استخدمت أداة من أدوات العمل استخداما سيئا يكون العامل هو المذنب وليس الأداة».**

فى ضاحية اليكساندرا المتاخمة لمدينة جوهانيسبورج ، وهى أحد المعازل العنصرية لإسكان السود (المسماة تاونشيب) فى العهد البائد ، ستوضع لوحة تذكارية على جدار أول بيت أقيم بناء لبرنامج الاسكان الشعبى الذى وضعه جوسلوفو وزير البناء فى أول حكومة ديمقراطية فى تاريخ جنوب أفريقيا ، ويقضى البرنامج باقامة مليون بيت للشعب الأفريقى حتى عام ٢٠٠٠ ، وكان سلوفو وضع حجر الأساس لأول منزل .

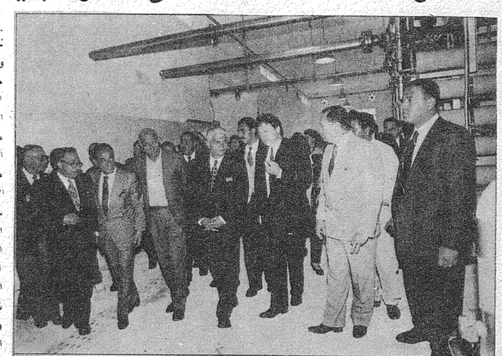
(*) نلسون مانديلا: الطريق الطويل نحو الحرية -السيرة الذاتية ١٩٩٤م، الطبعة الألمانية -الأصل بالأمريكية.

Long Waik To Freedom: The Autobiography of Nelson Mandela.

موضوع تسجيلى

إنجاز عملاق لشركة مياه جنوب سيناء باستثمارات ٥٠ مليون جنيه

وزير السياحة ومحافظ جنوب سيناء يفتتحان أول مشروع اقتصادى وحضارى فى مجال البنية الأساسية



الدكتور ممدوح البلتاجى وزير السياحة واللواء ممدوح الزهيري محافظ جنوب سيناء والضيوف أثناء تفقدهم لمحطة مياه جنوب سيناء أول مشروع رائد وحضارى يقيمه القطاع الخاص المصرى فى مشروعات البنية الأساسية

إعداد : علاء غنيم

- ٣ آلاف متر مكعب يومياً من مياه الشرب النقية ترتفع إلى ٦ آلاف متر مكعب يومياً فى المرحلة الثانية من المشروع .
- دور هام للبنوك المصرية وخاصة بنك قناة السويس فى تمويل المشروع
- كمبيوتر مركزى لتوزيع المياه إلى المنشآت السياحية بشرم الشيخ مزود بشبكة ضخمة من المواسير العملاقة .

●● فى ظل الدور المتنامى للقطاع الخاص فى مصر وبتشجيع من الرئيس محمد حسنى مبارك وتأكيد سيادته المستمر على دعم وتنشيط القطاع الخاص قامت شركة مياه جنوب سيناء والمستثمر المصرى حسين سالم بتنفيذ اكبر مشروع عملاق فى مجال البنية الأساسية فى محافظة جنوب سيناء .. فقد شهدت مدينة شرم الشيخ ميلاد أول مشروع استثمارى ينفذه القطاع الخاص المصرى فى مجال البنية الأساسية فى مصر بأسرها وتم تمويله بالكامل برأس مال وطنى واستغرق العمل فى مرحلته الأولى ثمانية أشهر فقط وهو مبادرة جادة وشجاعة من أحد رجال المال والأعمال الوطنيين المصريين وهو الأستاذ حسين سالم استشعاراً وإدراكاً منه بأهمية المبادرة فى الاستثمارات على تلك الأرض الطيبة خاصة فى مجال البنية الأساسية .. وهذا المشروع سينقل منطقة شرم الشيخ بأكملها إلى افاق سياحية وتنموية جديدة تشغل حيزاً من الاهتمام السياحى العالمى ●●

إنجاز عملاق لشركة مياه جنوب سيناء



الدكتور ممدوح البلتاجى وزير السياحة: مشروع مياه جنوب سيناء يمثل نقطة انطلاق استراتيجية لتحقيق التنمية الاقتصادية والسياحية بشرم الشيخ.



اللواء ممدوح الزهيرى محافظ جنوب سيناء: المشروع يمثل الدعامة الأساسية لدفع مسيرة التنمية الشاملة لمنطقة شرم الشيخ ويعتبر نموذجا متميزا للقطاع الخاص المصرى.

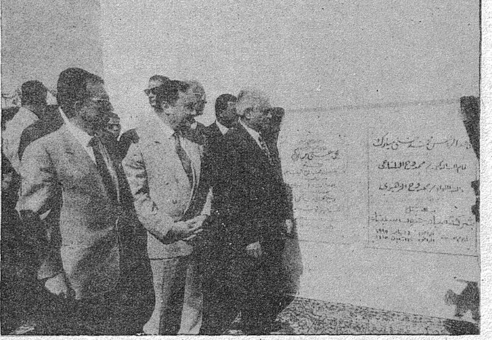


الخبير السياحى محمد نسيم: مشروع عملاق نفخر به جميعا ويؤكد إصرارنا على النهوض الاقتصادى والسياحى فى سيناء.

وفى هذا الأسبوع احتفلت محافظة جنوب سيناء بافتتاح أول مشروع استثمارى يتم فى مجال البنية الأساسية أقامته «شركة مياه جنوب سيناء» شهد حفل الإفتتاح الدكتور ممدوح البلتاجى وزير السياحة واللواء ممدوح الزهيرى محافظ جنوب سيناء ومحمد نسيم الخبير السياحى المصرى العالمى وعضو مجلس إدارة الشركة حيث كان فى إستقبالهم جميعاً رجل الأعمال والمستثمر المصرى المحاسب حسين سالم والأستاذ خالد سالم رئيس مجلس إدارة شركة مياه جنوب سيناء والأستاذ محمد فتوح العضو المنتدب للشركة .. كما شهد الاحتفال لفيف كبير من القيادات الشعبية والتنفيذية بالمحافظة وصفوة من رجال الإعلام والفكر والصحافة وقيادات قطاع الأعمال العام.

وفى بداية هذا الإحتفال ألقى المحاسب حسين سالم رئيس مجلس إدارة شركة فيكتوريا المتحدة للفنادق كلمة تناول فيها القدرات الانتاجية والتكنولوجية للمشروع كما ألقى كل من الدكتور ممدوح البلتاجى وزير السياحة واللواء ممدوح الزهيرى محافظ جنوب سيناء ومحمد نسيم كلمات تتناول الدور الحيوى للتنمية السياحية فى قيادة الاقتصاد الوطنى وأيضا المناخ الإستثمارى فى محافظة جنوب سيناء والتحديات الوطنية التى قادها القطاع الخاص المصرى بنجاح فى الاستثمار على أرض الوطن .

أعقبها بعد ذلك جولات تفقدية لأقسام هذا المشروع الذى نفذته «شركة مياه جنوب سيناء» ، تضمنت مراحل التشغيل المختلفة وغرفة التحكم والتوزيع والتى يتم من خلالها ضخ المياه فى مواسير إلى القرى السياحية والفنادق . كما أعقبها أيضا جولات أخرى شملت غرفة الضغط المنخفض والمحولات والمولدات الكهربائية الاحتياطية التى تعمل عند أى طارىء خلال ٧ ثوان فقط من انقطاع التيار الأصلى . كما تفقد وزير السياحة ومحافظ جنوب سيناء غُرابْ المياه المجهز على



وزير السياحة ومحافظ جنوب سيناءوالمحاسب حسين سالم أثناء إزاحة الستار عن إفتتاح المشروع العملاق لشركة مياه جنوب سيناء

أحدث مستوى تخطيطى لدخول السيارات للتعبئة ونقل المياه إلى المواقع الأخرى التى لا تصل إليها المياه من خلال المواسير الموصلة من المشروع إلى المشروعات السياحية . وقد أشاد وزير السياحة ومحافظ جنوب سيناء والضيوف بروعة التخطيط الهندسى للمشروع والذى يشمل عمارتين سكنيتين للعاملين ملحق بهما كافتيريا على مساحة هائلة وتغطى الحدائق المزروعة مساحة كبيرة من أرض المشروع وأيضاً الدقة التكنولوجية فى التشغيل والمواصفات العالمية المطبقة فى المياه التى يتم إنتاجها داخل الشركة وأيضاً غرفة الكمبيوتر التى يتم من خلالها توزيع المياه فى المواسير إلى المشروعات السياحية ومعرفة الكميات التى تم توزيعها من خلال قراءات الكمبيوتر دون أى تدخل من العنصر البشرى وبمواصفات المياه العذبة التى استمدت عناصرها من المواصفات المتعاقد عليها مع المنظمة العالمية وقواعد



رجل الاعمال المحاسب حسين سالم: نهدى هذا المشروع القومى إلى الرئيس حسنى مبارك راعى الاستثمار ومسيرة التنمية الاقتصادية الحديثة فى مصر.

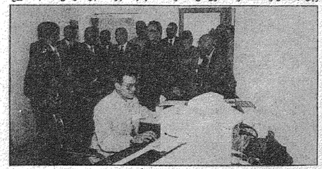


خالد سالم رئيس مجلس الإدارة ثلاثة محاور علمية تكنولوجية ضمنها المشروع للحفاظ على البيئة بالتنسيق مع ممثل المجموعة الأوربية لشئون البيئة والمشرف على محمية رأس محمد



محمد فتوح العضو المنتدب للشركة : المشروع مزود بمحطة معالجة بطاقة ٣٠٠٠ متر مكعب يومياً على أحدث الطرق العلمية تضخ فى شبكة جديدة لإستخدامها فى رى الحدائق .

الدكتور ممدوح البلتاجى وزير السياحة والضيوف يستمعون لشرح المحاسب حسين سالم رجل الأعمال والمستثمر المصرى عن الخطوات التنفيذية غير المسبوقة والتى تمت بالمشروع



حرصت الشركة على تزويد المشروع بأحدث كمبيوتر مركزى لتوزيع المياه النقية إلى المنشآت السياحية بالمنطقة التشغيل المتطور.

أولويات العمل الاقتصادى

وفي الكلمة التي ألقاها الرمز الإستثمارى حسين سالم أمام المشاركين في الاحتفال والتى تعكس الأولويات التي يحرص الرجل على إرسائها فى نوعية الإستثمار الهادف فى مجال البنية الأساسية التى تدفع عجلة التنمية السياحية فى كل دوراتها وأهم أركانها والتى لا يألو جهداً ولا يدخر وسعاً فى تحقيق كل مايدعمها أكد حسين سالم أنه خلال فترة السبع سنوات الأخيرة ومع تلاحق وقائع مسيرة التنمية فى مجال الإستثمار السياحى وعلى وجه الخصوص فى مدينة شرم الشيخ حتى أصبحت هذه المنطقة أحد العناصر الهامة فى قاطرة السياحة والتنمية التى تشارك فى نمو إقتصادنا الوطنى وتواكبه فى مسيرته البناءة نحو النهضة المصرية . ثم تطرق المحاسب حسين سالم فى كلمته إلى تاريخ القطاع الخاص المصرى من خلال النصف الأول من القرن الحالى وقيادته للإقتصاد الوطنى ممثلا فى طلعت حرب وأحمد عبود وغيرهما حيث شهدت مصر فى تلك الفترة وضع اللبنات الأولى لأهم المشروعات الإقتصادية حيث قامت شركات كلها قطاع خاص منها بنك مصر وقلاع صناعة الغزل والنسيج بالمحلة الكبرى وكفر الدوار وحلوان وغيرها وأيضاً تأسيس شركات مصر للطيران وصناعات الأسمدة والسكر وشركات التأمين المصرية وشركات النقل البحرى والبرى وصاحب ذلك كله إنشاء بورصات الأوراق المالية والقطن وعملها بنشاط وكثافة لتصبح مصر أحد المراكز العالمية الهامة فى هذا المجال وكل ذلك بقيادة وإدارة القطاع الخاص المصرى الملتزم ثم جاء الرئيس مبارك ليحيى الوجه المشرق للقطاع الخاص ورجالاته وأصبحت النظرة لمشاركتهم فى التنمية هى النظرة الفاعلة لإحدى القوى الوطنية والمؤثرة فى مسيرة الإقتصاد القومى وتطويره ليساير أحدث أنماط العصر ويسعد لتلبية متطلبات المستقبل .

المشروع .. والمؤشرات الإيجابية للإقتصاد الوطنى

وعن الإرتباط والإنعكاسات التى تتواصل بإفتتاح هذا الكيان الاقتصادى الحضارى ذات المردود الإستثمارى لأهداف تعمير سيناء أشار المحاسب حسين سالم أحد النماذج المصرية التى تفيض ولاء وأداء اقتصاديا بارعاً لوطنه مصر إلى أن هذا المشروع الذى يتم افتتاحه اليوم يبرز ثلاثة مؤشرات هامة أولها سماح الدولة بالإستثمار فى قطاع الخدمات والبنية الأساسية وذلك لأول مرة ومنذ أكثر من خمسين عاماً .

وأيضاً أن مشروعات البنية الأساسية لم تعد مشروعات يتحتم على الدولة القيام بها ودعمها بل ثبت أنها مشروعات اقتصادية ناجحة يمكن توسيع قاعدة الإستثمار فيها للقطاع الخاص بما يخفف عن كاهل الدولة مالياً وإدارياً .

وأضاف المحاسب حسين سالم أن القطاع الخاص المصرى الوطنى لم يدخر وسعاً فى اقتحام هذا المجال الجديد باستثماراته العالية بل يتوافر لديه الإستعداد للإستمرار فى تعزيز هذه التجربة الناجحة خاصة إذا ما تعاونت معه الوزارات والأجهزة الإدارية والمحلية وليكون مشروع شركة مياه جنوب سيناء خير نموذج عملى على صدق هذه التوجهات والتعاون والرعاية التى لمسناها من جميع الأجهزة التنفيذية والمحلية بداية من لحظة إستلام أرض المشروع **فى عهد اللواء عبد المنعم سعيد محافظ جنوب سيناء السابق** والرعاية الكاملة لكل جوانب التنفيذ منذ أن تم وضع حجر الأساس له فى أول يناير ١٩٩٤ وإنتهاء الأعمال بمرحلته الأولى فى ٢٢ ديسمبر ١٩٩٤ بعد اكتمال وإتمام تجارب التشغيل بنجاح حتى وصلنا إلى يوم الإفتتاح **وذلك فى عهد اللواء ممدوح الزهيرى محافظ جنوب سيناء الحالى .**

الطاقة الانتاجية للمشروع والتكنولوجيا المتطورة

وعن الطاقة الانتاجية التى يتيحه المشروع فى مرحلته الأولى أوضح الأستاذ خالد سالم رئيس مجلس إدارة شركة

إنجاز عملاق لشركة مياه جنوب سيناء



تذوق أول انتاج لمحطة مياه جنوب سيناء من المياه النقية والفرحة تعلو وجوه وزير السياحة ومحافظ جنوب سيناء ورجل الأعمال المصرى حسين سالم والضيوف

مياه جنوب سيناء ان هذا المشروع الذى تم افتتاحه ينتج ٣٠٠٠ متر مكعب يومياً من مياه الشرب النقية المطابقة للمواصفات والاشتراطات الصحية المصرية وكذلك مواصفات واشتراطات منظمة الصحة العالمية W.H.O ، حيث يتم الإنتاج بنظام R.O. الذى يستند إلى التكنولوچيا الأمريكية العالية وقامت بتنفيذ المشروع إحدى الشركات الألمانية المتخصصة والتى حرصت فى تخطيطها التنفيذى والتصميمى وذلك رجوعاً إلى الدراسات الأولية والتى أتممناها على إرتباط المشروع بشبكة توزيع منفصلة عن شبكة المحافظة ومزودة بكافة طلمبات الرفع والعدادات الالكترونية وغرف التفتيش على أحدث الأنظمة المعمول بها عالمياً .

ميلاد منتج جديد

وعن مدى الإفرازات الاستثمارية والوفورات التى أحدثها افتتاح شركة مياه جنوب سيناء كنتاج طبيعى للاستثمار الهادف الذى جاء ميلاده على أساس تطبيق أحدث مستويات التكنولوچيا العالمية المطبقة فى هذا المجال ودراسة مصادر التوريد للمعدات والأنظمة المطبقة فى هذه الصناعة وبما يؤدى فى النهاية إلى ميلاد منتج ذا سعر مناسب خاصة فى مجال الاستثمار فى مجال البنية الأساسية للمشروعات أكد الأستاذ خالد سالم رئيس مجلس إدارة الشركة أن سعر بيع المتر المكعب من مياه الشرب المنقول فى شبكة مواسير الشركة وحتى نقطة الاستلام لدى المستهلكين يبلغ ٩٫٧٥٠ جنيه فى حين أن المياه التى تشترى حاليا من مدينة الطور بالسيارات يبلغ سعرها فى الأوقات العادية ١١٫٥ جنيها للمتر المكعب ويزيد سعرها فى أوقات الضغط إلى حوالى ٢٠ جنيه للمتر المكعب فضلاً عن عدم الإطمئنان لاستمرار التوريد لبعد المسافة من مدينة الطور إلى شرم الشيخ وأيضاً للاعتبارات الصحية .

المحافظة على البيئة

وتناسباً مع الثروات السياحية التى تتمتع بها منطقة ومدينة شرم الشيخ كمدينة سياحية عالمية ومدينة غطس يفد إليها السائح من كل دول العالم وضرورة الحفاظ على المقومات البيئية فى هذا المشروع **أكد المهندس محمد فتوح العضو المنتدب لشركة مياه جنوب سيناء** أن المشروع قد راعى المحافظة على البيئة من خلال ثلاث إتجاهات أولها أن المياه المحلاه المنتجة يتم استخلاصها من مياه الآبار التى تتلقى مياه البحر بعد عمل فلترات طبيعية لها ، فضلاً عن معالجتها معالجة صحية علمية واجراء اختبارات مستمرة عليها على مستوى عالٍ جداً من الجودة والنقاء لا يتوفر إلا للمياه المعبأة فى زجاجات .

وثانى هذه الاعتبارات أن المياه المالحة المتبقية بعد عمليات التنقية يتم التخلص منها بأسلوب لا يضر البيئة تم الاتفاق عليه مع ممثل المجموعة الأوروبية لشئون البيئة والمشرف على محمية رأس محمد وذلك عن طريق كوبرى عائم يمتد عليه خط طرد المياه المالحة إلى عرض البحر ثم توزيع مياه الطرد بأسلوب علمى لا يؤثر على الكورال والبيئة فى هذه المنطقة الهامة .

أما ثالث هذه الاعتبارات والتى أشار إليها الأستاذ/ محمد فتوح هى أن المشروع يحتوى على محطة لتلقى مياه المجارى الناتجة عن مياه الشرب بطاقة ٣٠٠٠م٣ يوميا ومعالجتها على أحدث الطرق العلمية ثم ضخها فى شبكة جديدة تم إنشاء معظمها وهى مملوكة لشركة مياه جنوب سيناء لاستخدامها فى رى الحدائق وملاعب الجولف التى تقرر إقامتها للإستفادة من هذه المياه مما سيساهم فى زيادة الجذب السياحى للمنطقة خاصة من اليابان والولايات المتحدة الأمريكية وعشاق لعبة الجولف من مختلف انحاء العالم.



على أحدث مستويات تكنولوچيا العالم المتطورة لانتاج مياه عذبة نقية أقيمت محطة مياه جنوب سيناء .. على أرض شرم الشيخ

متطلبات التنمية السياحية

وعن الابعاد الاقتصادية والاستثمارية التى تترتب على ميلاد شركة مياه جنوب سيناء ودورها فى سد حاجة المنشآت السياحية فى المرحلة الحالية **أكد محمد فتوح العضو المنتدب للشركة** أن الطاقة الإنتاجية للمشروع فى مرحلته الأولى وهى ٣٠٠٠ متر مكعب يومياً من المياه النقية تكفى تماماً المنشآت السياحية الحالية فى مدينة شرم الشيخ وسيتم مضاعفتها إلى ٦٠٠٠ متر مكعب يومياً لمياه الشرب والرى خلال عام ١٩٩٥ إن شاء الله تعالى لتغطية المشروعات الجديدة وليحقق هذا المشروع العملاق بذلك تغطية كاملة لكافة إحتياجات المياه العذبة للشرب ومياه رى الحدائق للمناطق الممتدة من مشروع المنتزه شمال مطار شرم الشيخ بطول شرم الشيخ وضواحيها المتمثلة فى مناطق خليج القرش والكورال وهضبة وخليج نعمة وهضبة أم السعد ومدينة شرم الشيخ وشرم المَيَّة ومنطقة الميناء والمنطقة التجارية وحتى الحدود الجنوبية لمدينة شرم الشيخ.

اسلام لا كهانة

مؤتمر جامعة "القلعة" الأسبانية وتعريفه لـ"أهــل الكتـــاب"

خليل عبد الكريم

عجبى للجهابذة البهاليل الذين كتبوا بعد عودتهم من مؤتمر جامعة «القلعة» بأسبانيا وموضوعه (أهل الكتاب فى خدمة السلام) أنهم دهشوا للحضور الكثيف لليهود فيه مع أن هؤلاء لهم تاريخ عتيق فى هذا البلد سبق الفتح العربى، وفى عصور الحكام المسلمين المتفتحين نالوا حرياتهم وظهر فيهم فلاسفة وشعراء كتبوا باللغة العربية منهم سليمان بن جبرول وياهيان باقودا ، هذا عن الماضى . أما عن الحاضر فان لدى مراكز الدراسات المنتشرة فى أوروبا وأمريكا إحصائيات دقيقة عن كل الطوائف والملل والنحل فى سائر بقاع العالم وهى منشورة والإطلاع عليها ميسور ، وثلاثة من المدعوين لذلك المؤتمر والذين كتبوا عنه بعد رجوعهم يعملون فى أكبر مؤسسة إعلامية فى مصر بل ربما فى العالم العربى وفيها مركز دراسات المفترض أن مثل هذه المعلومات تكون متوافرة لديها أى كان في استطاعة الثلاثة المدعوين أو المدعوين الثلاثة هؤلاء أن يحيطوا بها.

إذن فما هو وجه العجب فى أمر بديهى!!!!

وتغيظ أحدهم أن المؤتمرين أدخلوا المسلمين ضمن «أهل الكتاب» مع أنه خريت فى علوم القرآن (فى المعجم الوسيط الخريت: الحاذق الماهر) ولا أدرى كيف فاته أن شطراً كبيراً من أئمة السلف رضوان الله تعالى عليهم يذهب إلى أن (كل من أوتى الكتاب من أهل الأديان هم أهل كتاب، فعلى هذا يكون المسلمون منهم) -نظام الدين الحسن النيسابورى فى«غرائب القرآن ورغائب الفرقان» فى تفسير سورة آل عمران.

أما عن السنة فـ : عن إبن مسعود قال : أخر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلاة فبشر عليه السلام أنه لا يصلى هذه الصلاة أحد من أهل الكتاب غيرهم فأنزل الله تعالى (ليسوا سواءً أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) ١٣/٣.

أورده السيوطى فى«اللباب» والقرطبى وابن كثير كل فى تفسيره . فهذان شاهدان من القرآن الكريم والسنة المطهرة على أن المسلمين من أهل الكتاب.

والأدلة الأخرى متضافرة على إثبات ذلك فهيكل الديانات الإبراهيمية الثلاثة (التى يشكل أتباعها أهل الكتاب) واحد إله ينزل كتاباً يحمله« ملاك الرب» أو «روح القدس» إلى رسول يتحلق حوله أنصار مخلصون يسمون مرة بـ «الشيوخ» وأخرى بـ «الحواريين أو التلاميذ» وثالثة بـ «الصحابة» وتتحد نظرتها إلى سائر الناس فهم إما «خراف ضالة» أو «رعية» أو «أكثر من فى الأرض» وكذلك إلى المرأة وخطابها إياها ونسبتها إلى الرجل فهو «السيد» أو «القيم» صاحب القوامة عليها أو «البعل» وهو اسم إله قديم.

كما تؤمن الديانات السامية الثلاث بذات الخوارق : الطوفان والدمار الشامل للعالم والسفينة التى ركبها أجداد كل الكائنات الحية على الأرض، وهى جميعها تهزأ بالدراسات الجيولوجية والآركيولوجية التى تؤكد أنه لم يثبت لديها علمياً حدوث طوفان كونى وتسخر من علماء الميثولوجيا عندما يذكرون أن لكل شعب أو منطقة طوفانها الخاص مثل بلاد ما بين النهرين وسوريا والإغريق وأن هناك تطابقاً مذهلاً بين نصوص الطوفان السومرى والبابلى من جانب وطوفان نوح من جانب آخر ، وان اليهود أصحاب التوراة أول الكتب التى ذكرت الطوفان الأخير عاشوا ردحاً من الزمن فى مرحلة الشتات فى بلاد ما بين النهرين وأنه من المؤكد أنهم علموا بالأساطير السومرية والبابلية.

لمزيد من التفصيلات عليك بكتاب «مغامرة العقل الأولى -دراسة فى الأسطورة» تأليف فراس السواح دار الكلمة بيروت).

وتتفق أيضا على حكاية خروج بنى اسرائيل من مصر وإنشقاق البحر والضربات التى أنزلها ربهم عقابا للمصريين بداية بالطاعون وموت أبكار الأبناء، من بكر فرعون إلى بكر الأسير المسجون مروراً بنفوق المواشى وخراب الحقول وإنتهاء « بالضفادع والدم والقمل «على الرغم من إندهاش علماء المصرولوجيا وسؤالهم الحائر: لماذا لم يدون قدماء المصريين تلك الوقائع الدامية أو جزءاً منها مع أنهم كانوا يسجلون الصغيرة قبل الكبيرة؟!

«د/ سيد القمنى فى «التوراة .. التاريخ .. التضليل» مؤسسة عيبال للدراسات والنشر -نيقوسيا- قبرص».

هذا غيض من فيض مما تتوافق عليه الديانات الثلاثة فلماذا أنكر المدعو الثالث أو الثالث المدعو شمول عبارة أهل الكتاب ، المسلمين؟

أهى الرغبة فى التميز على اليهود و المسيحيين والتى مبعثها شعور المسلمين المعاصرين بوضعهم المتردى حاليا؟ أم هو الإصرار حتى هذه اللحظة ورغم كل التطورات والتغيرات على أن أهل الكتاب هم الذين ينبغى عليهم أن يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون؟



اليسار الأمريكي على مفترق الطرق.. مدعو للخروج في إطار الحزب الديمقراطي

الحزب الثالث

فرصة اليسار التاريخية

سمير كرم

رسالة واشنطون

* لماذا لم يعد الانتعاش الاقتصادي العالمي كافيا لاسكات سخط الرأي العام الأمريكي على الأوضاع السياسية؟

* النقاد الاجتماعيون -حتى من غير اليساريين- يتحدثون عن «حرب اجتماعية» غير محسوبة النتائج.

*هل خان كلينتون اليسار..؟ أم أن اليسار خذل كلينتون ؟وما هي الانعكاسات بالنسبة للمستقبل؟

* الدعوة إلى حزب ثالث جديد تكتسب طابعاً جديا وعميقا بصورة لم يسبق لها مثيل.

على مدى أربعة عشر عاما كاملة- منذ أن بدأت عملي الحالي في الولايات المتحدة كمراسل صحفي أجنبي- لم ينتبني ما ينتابني الآن من شعور بأن المجتمع الأمريكي في حالة غليان ، ولعلي استخدم كلمة«غليان» تجنبا لاستخدام تعبير «ثورة» .. من ناحية لتجنب البدء بحكم هائل من هذا القبيل وأنا أتحدث عن مجتمع كان مشهودا له دائما بالرسوخ وعن نظام ثوابته أعرض وأقوى من متغيراته ، سواء في الاقتصاد أو السياسة أو الثقافة.

هناك حالة فوران عامة- شعور لدى الجميع -حتى من يشكلون النخبة المتمتعة بامتيازات النظام والأوضاع الراهنة- بأن الأمور لا يمكن أن تسير كما هي الآن.

ولأن الأمريكيين في قواعدهم العريضة وخاصة منهم من لا يدين بأية «أيديولوجيا» يفضلون تجنب تعبيرات من نوع (الصراع الطبقي) فانهم يستخدمون تعبيرات بديلة ، إذا وضعناها في سياقها وفهمنا الدلالات المقصودة منها نعرف بالتأكيد أن ثمة خوفا عاما من أن **«صراعا طبقياً يغلي في أنحاء المجتمع الأمريكي ، ويكاد يتحول إلى وضع متفجر لا أحد يملك معايير حساباته الاجتماعية والسياسية .. فضلا عن معايير التحكم في مساراته.**

المناقشات الدائرة الآن في المحافل الفكرية والسياسية، وأيضا في المنظمات العامة- الاتحادات المهنية والنقابات والجمعيات الأهلية - التي تعد بالآلاف ، بل بعشرات الآلاف في الولايات المتحدة - تحفل الآن بإشارات إلى «الحرب الاجتماعية» الدائرة وتتطرق إلى دور الحكومة والقطاع العام والقطاع الخاص ، ولا تتجنب بأي حال الحديث عن مشكلات «الطبقات الدنيا » الاجتماعية وعن أوضاع العمال «الطبقة العاملة أو «الشعب العامل».

وتتطرق المناقشات إلى قضايا " الرعاية الاجتماعية" و" الضمان الاجتماعي" في إطار من رفض " وحشية الرأسمالية الأمريكية" التي تجاوزت الحدود المعقولة ...وإلى قضايا تمس مسا مباشرا النظام السياسي الأمريكي : هيمنة الحزبين الكبيرين على السلطة . هيمنة مصالح قطاع المال والأعمال على العملية السياسية . انحدار قدرة ورغبة المواطن الأمريكي في المشاركة الإيجابية في العمل السياسي بما في ذلك الانتخابات العامة والمسئوليات السياسية المختلفة.

تتبلور - نتيجة هذه المناقشات - في قناعات لم تكن تقترب من ذهن المواطن الأمريكي من قبل .. إلا في ظروف الأزمات القصوى ، مثل أزمة الانهيار الاقتصادي في أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات من هذا القرن ، وأزمة الركود والانكماش الاقتصادي التي دخلها الاقتصاد الأمريكي عدة مرات خلال العشرين عاما الماضية وخرج منها لفترات قصيرة.

قناعات مثل القول بأن الديمقراطية الأمريكية قد أصبحت رهينة في أيدي «طبقة جديدة» هي طبقة السياسيين.. أولئك الذين يجيدون خوض المعارك الانتخابية ، وأولئك الذين ساعدوهم وبوجههم ، ويتحولون بعد الفوز فيها إلى سياسيين محترفين، لا يجيدون إلا ممارسة الحكم .. سواء في موقع الرئاسة أو مواقع السلطة- التشريعية التنفيذية ، أو سلطة الاعلام-. وهذه الطبقة تحكم لمصلحتها وحدها ، كما هو شأن كل طبقة تهيمن على الحكم.

ولعل هذه أول مرة في تاريخ «الديمقراطية الأمريكية» يعبر فيها المواطنون الأمريكيون عن سخطهم على النخبة الحاكمة بينما الأوضاع الاقتصادية في صورتها العامة ، أفضل مما كانت قبل سنتين ، معدلات البطالة أقل، فرص العمل زادت بخلق أكثر من خمسة ملايين وظيفة خلال العامين الأخيرين ، التضخم (وبالتالي الاسعار) يبدو في حالة هدوء .. إذ لايكاد يتجاوز نسبة السنة الماضية.

النتائج التي أسفرت عنها الانتخابات العامة الأخيرة لا تزال تبحث وسط حالة الغليان العام عن تفسير . لقد أدت إلى سيطرة الحزب الجمهوري واليمين الأمريكي على مجلسي الكونجرس ، الشيوخ والنواب ، معا لأول مرة منذ أكثر من أربعين عاما. **وأصبح الرئيس الديمقراطي بيل كلينتون** تحت حصار خانق من أكثر القوى السياسية الأمريكية محافظة ،مع ذلك فان هذه النتيجة

لم ترض أحداً. لم تزد إلى هدوء عام بانتظار ما يمكن أن يفعله الجمهوريون . **يسود ادراك عام بأن أقلية من قوى اليمين سرقت الانتخابات** . ويتردد طول الوقت الآن أن الأمريكيين إنما أرادوا التصويت ضد النظام الانتخابى والسياسى عامة بالامتناع عن التصويت ، فوقعت النتائج بأيدى هذه الأقلية (...).

هل هو «سلبية المواطنين» كما سماها بعض الكتاب ؟ أم أنها المرحلة الرمادية بين قبول النظام السياسى على مضض ورفضه والتعبير عن هذا الرفض بعدم المشاركة فى العملية الانتخابية وتركها لمن لا يزالون يعتقدون أنها أفضل نظام ديمقراطى فى العالم ، وأنه ليس فى الامكان أبدع مما كان مما هو قائم .. وهم الأغنياء المحافظون الذين لا يريدون التغيير إلا فى حدود انتقال مقاعد الكونجرس اليهم .. تمهيدا لعودة مقعد الرئاسة فى البت الأبيض أيضا إليهم؟

ولعل نتائج انتخابات نوفمبر ٩٤ قد لعبت دور المدخل المنطقى لمناقشة «حالة السخط» أو «حالة الارتباك» التى يعانيها المواطنون الأمريكيون من النظام الحزبى الراهن ..والذى أصبح من المألوف أن يصفه مواطنون عاديون بأنه «نظام الحزب الواحد» فى صورته الأمريكية . وذلك تعبيرا عن اقتناعهم بأن الديمقراطيين والجمهوريين وجهان لعملة واحدة.

ومن خلال هذا المدخل يبرز دور الرئيس كلينتون - بالاحرى مسئوليته- عن الوضع الراهن فى اللحظة الراهنة ربما لا لشئ إلا لأنه تصادف أن كان هو سيد البيت الأبيض فى اللحظة الراهنة، وقد كان يمكن أن يحدث الشئ نفسه أيا كان الرئيس الحالى ، ديمقراطيا أو جمهوريا .. ليبراليا أو محافظا.

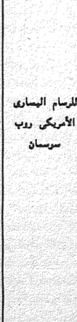
فأين يقف اليسار الامريكى فى هذه المعمعة؟

بداية -وازاء المسألة المدخل- فإن لليسار الأمريكى ازاء مسألة دور كلينتون والحزب الديمقراطى اتجاهين متباينين:

* اتجاه لا يزال يرى وجوب الاستمرار فى العملية السياسية من داخل الحزب الديمقراطى باعتباره التنظيم الجبهوى الواسع الذى يمكن العمل فى إطاره لانجاز برنامج اليسار -الاقتصادي -الاجتماعى.

ويرى أصحاب هذا الرأى أن تخلى جماهير اليسار (والتيار الليبرالى) بما فيها الفقراء والعمال والنساء والأقليات عن كلينتون والحزب الديمقراطى فى الانتخابات

إنهم يأكلون الكونجرس



للرسام اليسارى الأمريكى روب سرسمان

الأخيرة- على عكس ما حدث فى إنتخابات الرئاسة عام ١٩٩٩٢-وذلك من خلال امتناعها عن الذهاب الى صناديق الاقتراع لمساندة برنامج كلينتون (بالأخص برنامجه لتحقيق تغطية شاملة للرعاية الصحية) هو السبب فى هذه الهزيمة القاسية التى وضعت السلطة فى معظمها فى أيدى أعداء هذه الجماهير ، وعلى أى الأحوال يؤكد أصحاب هذا الرأى أن كلينتون يبدو يساريا بدرجة كافية على حمايته من مواقف اليمين الجمهورى.

* اتجاه يرى أن الحزب الديمقراطى -حتى كما يمثله كلينتون وبرنامجه الانتخابى- لم يعد يصلح إطاراً ينشط فيه اليسار- وأنه لابد من أن يتخلى اليسار- عن وهم الاعتقاد بأنه لا يملك فرصة حقيقية للعمل السياسى إذا حاول أن يجد لنفسه اطارا ، خاصاً به خارج الحزب الديمقراطى.

ويرى أصحاب هذا الرأى ان كلينتون هو الذى خذل اليسار وخذل الجماهير الأمريكية ، لم يقف بحزم وحسم وراء برنامجه الانتخابى الذى فاز على أساسه بالرئاسة عام ٩٢ ، وظل يقدم تراجعا وراء آخر وتنازلا وراء تنازل للقوى المحافظة فى الحزب الديمقراطى على حساب البرامج الاجتماعية أى على حساب الفقراء بالدرجة الأولى، وذهب إلى حد تبنى جوانب من برنامج الحزب الجمهورى ، الذى يطلق عليه اسم «عقد مع أمريكا» والذى يقضى بإشاعة «الخصخصة» وخفض ميزانية البرامج الاجتماعية وإلغاء بعضها ، وتقليص دور مسئولية الحكومة عن محاربة الفقر والآفات الاجتماعية وحتى دورها فى التربية والتعليم وإعانة العاطلين وكبار السن ... الخ.

وإذا كان بالامكان الحديث عن نتيجة ايجابية لما أسفرت عنه انتخابات نوفمبر ٩٤ (عالجنا هذه الانتخابات فى العدد ٥٨ من اليسار -ديسمبر ٩٤). والمناقشات التى انبثقت عنها فان هذه النتيجة -من وجهة نظر يسارية هى أنها بلورت بدرجة لم يسبق لها مثيل الطرح القائل بأن أمريكا الآن فى حاجة -حقيقية إلى «حزب ثالث» .. إلى حزب جديد ، وبالضرورة فان هذه الحزب لابد أن يكون حزب اليسار، فاليمين راسخ النفوذ فى الحزب الجمهورى وآخذ فى توسيع دوره فى الحزب الديمقراطى ،فلا حاجة به الى حزب جديد يعبر عن مصالحه وعقائده.

وقد رأى بعض المحللين السياسيين الأمريكيين فى نتائج انتخابات -بعد دراسة أكثر ثانياً أتاحتها تفصيلات النتائج وأرقامها- أن هذه النتائج لم تكن كلها لصالح اليمين ، ولم تكن فقط اظهاراً للسخط على بيل كلينتون والحزب الديمقراطى نحو مهادنة اليمين ورجال الأعمال والمصالح الرأسمالية الكبرى . إذ تبين أن تنظيمات حزبية صغيرة بكل المقاييس استطاعت أن تؤكد وجودها على الساحة الانتخابية حتى فى الجو المشحون بانتصار التيار اليمينى . وعلى سبيل المثال فان «الحزب الأخضر» -وهو حزب يسارى يتخذ من قضايا البيئة نقطة انطلاق برنامجه (ولا يعنى هذا كما يظن من اسمه أنه غير معنى إلا بتلك القضايا) استطاع أن يحصل على نسب فاجأت الجميع فى عدد من الولايات . وتمكن بعض مرشحيه من تولى بعض المناصب التى تشغل الانتخابات ، خاصة فى المجالس التشريعية للولايات والوحدات السياسية والادارية الأصغر .

وتمكن مرشحون من «الحزب التقدمى الجديد» فى بعض الولايات المتحدة الصغيرة من تحقيق نتائج مماثلة .. مما يشير إلى أن نتائجهم كان يمكن أن تكون أفضل لو أن الناخبين الأمريكيين لم يتخذوا موقف المقاطعة التلقائية، أى غير المنظمة لصناديق الاقتراع وتركوها لأقلية تناصر اليمين.

وهكذا يبدو أن فرصة التخطيط لحملة لخلق حزب جديد يقدم نفسه كبديل عن الحزبين اللذين أخفقا فى اقناع جماهير الناخبين بأنهما يعملان للصالح العام قد تمت أكثر من أى وقت مضى. والأهم من هذا أن هناك تيارا عاما ينفض عن نفسه الآن الاراء القديمة التى رسخها الحزبان الكبيران والقائلة بأن أى حزب «مستقل» أو «يسارى» أو «شعبى» يقف إلى جانبهما لا يملك أى فرصة للنجاح ، محكوم عليه بأن يبقى قزما سياسيا بين عملاقين.

ولا يعنى هذا أن الباب مفتوح على مصراعيه لمن يريد تكوين حزب ثالث على مستوى «قومى» يشمل أنحاء الولايات المتحدة ، وأنه متروك لشطارته فى كسب أصوات الناخبين.

إن أمام مثل هذا الحزب عقبات كبيرة لا تتمثل فقط فى تقاليد سياسية وانتخابية عاشت فى ظل سيطرة الحزبين الكبيرين زمنا طويلا. انما تتمثل ايضا فى مجموعة من القوانين واللوائح التى رسخها الحزبان وهما يتبادلان الحكم لنحو قرنين من الزمان ، وصاغاها على نحو مكنهما من احتكار العملية السياسية -الانتخابية بشكل خاص - ومن خلالها احتكار السلطة والمشاركة السياسية على كافة المستويات.

إن النظام الانتخابى الراهن الذى يعتمد على قاعدة الفوز بخمسين بالمئة من أصوات من أدلوا بأصواتهم زائد صوت واحد يؤدى إلى إزاحة ارادة من لم يدلوا بأصواتهم وارادة اولئك الذين أدلوا بأصواتهم للمنافس .. أو للحزب الآخر .. ففى ظل هذه القاعدة فان المرشحين الذين لا تعنيهم قضايا من نوع مشكلات الطبقة العاملة أو مشكلات الأقليات يستطيعون من خلال تأييد مالى ودعائى من أصحاب المصالح «الكبيرة» فى المؤسسات والأغنياء وذوى النزعات العنصرية



جنجرش: رئيس مجلس النواب
وبوب دول : زعيم الأغلبية في مجلس الشيوخ

أن يكسبوا الانتخابات .. وأن يلقوا في سلال المهملات كل ما له علاقة بالمشكلات الحقيقية للأمريكيين ، بل انه في ظل هذه القاعدة لم يعد من الضروري لمرشح يعرف أن فرصته للفوز من خلال أموال المؤسسات ومنظمات «اللوبي» التي تعمل لتحقيق مصالح خاصة لهذه الفئات او تلك (صناعة السجائر- نقابات الأطباء -صناعة الأسلحة- شركات الطيران) أن يكون ملمًا ولو مجرد المام بالقضايا العامة والمشكلات التي تهم الغالبية الساحقة من الناخبين.

لهذا فان بلورة مشروع تكوين حزب ثالث قد أدخلت هذا المشروع في حيز جديد لم يدخله من قبل ، هو حيز العمل من أجل قواعد جديدة للانتخابات قواعد جديدة للتصويت والترشيح وحساب النتائج .. وأساسا قواعد جديدة تبعد دور المال عن العملية الانتخابية بعد أن أصبحت نفقات الترشيح والحملات الانتخابية تحسب بعشرات الملايين للمرشح الواحد... وبالتالي أصبح من لا يستطيع انفاق هذه الأموال الطائلة مستبعداً إما لأنه فقير شخصيا . .وإما لأنه لا يتمتع بتأييد الأغنياء(...).

إن مشروع الحزب الثالث «يتصدى بالضرورة لحقيقة تفرض نفسها على النظام الامريكي منذ فترة طويلة .. وهي أن المؤسسات لا جماهير الأمريكيين هي التي تفرض الموضوعات التي تدور حولها الحملات الانتخابية وبرامج المرشحين ، وتفرض المرشحين أنفسهم .. وتفرض من يفوز منهم... وفي النهاية تفترض السياسات التي يرسمونها ويقرونها في مناصبهم».

ويجدر بالذكر هنا أن الحزب الشيوعي الأمريكي -في الاجتماع العام الذي عقدته لجنته القومية في اوائل شهر ديسمبر الماضي برئاسة جاسي هول أظهر لأول مرة تأييداً لفكرة التمثيل النسبي التي تكفل لكل حزب الفوز بعدد من المقاعد يتناسب مع عدد الأصوات التي يحصل عليها بدلا من النظام الحالي الذي يكفل فوز حزب ما بصورة مطلقة حتى وان لم تتعد الأغلبية التي فاز بها فارق صوت واحد أو نسبة واحد بالمئة . وقد أتى هذا الموقف للحزب الشيوعي الأمريكي في إطار دعوة عامة إلى «ائتلاف تقدمي» شامل لإلحاق الهزيمة باليمين وبرنامجه «عقد مع أمريكا» .

وقد عقد في العاصمة الأمريكية واشنطن في يناير الماضي مؤتمر سياسي لمدة ثلاثة أيام شارك فيه نحو ثلاثمائة من ممثلي المنظمات والاحزاب اليسارية الصغيرة ، استضافة الائتلاف القومي لألوان الطيف الذي يتزعمه القس الأفروامريكي جيسي جاكسون . وكان الهدف من عقد هذا المؤتمر اعلان معارضة شعبية واضحة لبرنامج «عقد مع أمريكا» الذي صاغه وخاض به المعركة الانتخابية الأخيرة النائب الجمهوري اليميني نيوت جينجريتش الرئيس الجديد لمجلس النواب الامريكي .. والنجم الصاعد في معسكر اليمين الأمريكي بوصفه المتحدي الأكبر لكلينتون.

وفي هذا المؤتمر وصف المتحدثون برنامج «عقد مع أمريكا » بأنه يهدف إلى انتزاع فوائد الرعاية الاجتماعية من أيدي الأمهات الفقراء، وأطفالهم بينما يتوسع في منح المزايا للمؤسسات الكبرى التي تعيش عالة على العقود الحكومية وتعفى من الضرائب وتتمتع بالحوافز من كل نوع.

وحدد المؤتمر يوم ٩ أبريل القادم موعدا لتنظيم مسيرة شعبية ضخمة من أنحاء الولايات المختلفة الى العاصمة واشنطن وحدد هدف المسيرة بأنه «الدفاع عن بطاقات الطعام للفقراء والعاطلين ، الدفاع عن المعونات للأسر الفقيرة والأطفال ، والدفاع عن حقوق العمال والفقراء عموماً».

ويمكن أن ندرك طبيعة الدعوة إلى ائتلاف يساري قادر على تكوين «الحزب الثالث» المأمول بالنظر الى المنظمات التي شاركت في ذلك المؤتمر ، وكانت على رأسها المنظمة القومية للنساء ، والمنظمة القومية الأمريكية للملونين، والاتحاد الأمريكي للحريات المدنية».. وشارك فيه أيضا عدد قليل من اعضاء الكونجرس الديمقراطيين التقدميين وغيرهم من المسئولين الذين يشغلون مناصبهم العامةبالانتخابات.

وقد تحدث فيه جاكسون -الذي عاد وحده إلى البروز كزعيم للأفارقة الأمريكيين وزعيم بارز من زعماء التيار اليساري في الحزب الديمقراطي - وتناول نتائج انتخابات نوفمبر ٩٤ فقال انها «لم تكن نتائجها اظهارا لعلو موجة الجمهوريين ولكنها كانت اظهارا لدفع حائط الديمقراطية و أشار الي أن عدد اولئك الذين ادلو بأصواتهم في انتخابات نصف المدة السابقة (أي انتخابات عام ٩٠- وانتخابات نصف المدة هي التي تقع في منتصف فترة الرئاسة ، وتدل النتائج علاوة على ان حزب الرئيس يخسر فيها عددا من مقاعده في مجلس الكونجرس . كما يخسر في المستويات الانتخابية الأخرى بما في ذلك مستوى المحافظين ، أي حكام الولايات).

كما أوضح جاكسون أن ٤٠ من المرشحين الجمهوريين في الانتخابات الأخيرة فازوا على الرغم من أنهم حصلوا على عدد من الأصوات أقل من تلك التي حصل عليها المرشحون الجمهوريون في الانتخابات التي سبقتها وأدت إلى هزيمتهم.

ودعا جاكسون -في خطاب مؤثر -إلى ضرورة الحفاظ على الأمل حيا .. وذلك عن طريق تنظيم النضال المضاد على مستوى قومي ، لا تدعوهم يحطمون أرواحنا . عندما تشتد الظلمة تشع النجوم بوضوح أكثر ..»

وفي مناقشات المؤتمر دعا جاكسون إلى بناء ما وصفه بـ ائتلاف الضمير .. للنضال ضد جدول الأعمال الجمهوري. وقال أن مثل هذا التحالف سيدعم في الانتخابات القادمة اولئك المرشحين الذين يحتضنون ميثاقا يلم الشمل وليس عقدا بفرقة.

وأثناء المؤتمر سئل القس جاكسون عن «الحزب الثالث» واحتمال ترشيحه للرئاسة في اطار هذا الحزب بعد أن أخفقت تجربة ترشيحه مرتين (في انتخابات الرئاسة عام ٨٤ وعام ٨٨) في إطار الانتخابات الأولية للحزب الديمقراطي ، وقد أجاب جاكسون على السؤال بأنه لا يستبعد ذلك ، وقال «في النضال من أجل الحرية تصبح كل الخيارات حية».

وكان من أهم أعمال المؤتمر ما قامت به «لجنة الاستراتيجية الانتخابية فيه من تشكيل مجموعة لبحث قضية الديمقراطية يكون من بين مهامها الأساسية استطلاع إمكانيات تعبئة الناخبين لتأييد مرشحين عن حزب ثالث.

ويجدر بالملاحظة هنا أن مؤتمر ائتلاف القوى التقدمية لم يستمع الي انتقادات ضد

كلينتون



الحزب الجمهوري وبرنامجه فحسب ... إنما حفل أيضا بانتقادات للسياسات الوسطية التي ينتهجها معظم ساسة الحزب الديمقراطي .. وقد أسماهم جاكسون «الديمهوريين» (بدمج كلمتي ديمقراطيين وجمهوريين) ، وأوضح متحدثون منهم خبراء في شؤون استطلاع الرأي العام مؤكدين ان انتخابات نوفمبر ٩٤ أظهرت بوضوح العجز السياسي للردود الوسطية على تحديات اليمين الجمهوري ، وقال ثيك فنجرهات الذي يشرف على اجراء الاستطلاعات لصالح النقابات والاتحادات العمالية: «المشكلة هي أن الشعب لم يعد يؤمن بأن أيا من الحزبين يعمل من أجل مصالحه». وقالت ليندا وليامز إحدى زعيمات ائتلاف ألوان الطيف ،«لسوف تكون هناك دعوة متزايدة الي حزب ثالث يرفع عاليا صوته بشأن القضايا التي تهم الشعب الأمريكي والتي لا يتناولها أحد الآن».

وتحدث زعيم نقابي محلي- هو رون ريتشارد زعيم نقابة العاملين في المطاعم في واشنطن -فقال «إن لي مشكلة مع الحزب الذي انتمي إليه (الديمقراطي) ، ورئيسي (كلينتون) يركض باتجاه اليمين ، يركض باتجاه أصوات النخبة ، يركض بعيدا عنا ، انني أرى الرئيس جالسا الى جنب فيوت جينجريتشي وأسمعه ما يقول له: اننا نريد أن نعمل سويا ».

وكان هناك من دافع عن الحزب الديمقراطي . فقد قال النائب الديمقراطي بارني فرانك انه يدرك دوافع الغضب من مواقف الحزب وسياساته ولكنه يعتقد إن إبعاد أي عدد عن الحزب وهو في حالة حرب مع اليمين الجمهوري خطأ . ذلك ان هذا يؤدي إلي فوز الطرف الآخر ، وأضاف حول كل مسألة تهم هذا الائتلاف لابد أن تتأكدوا ان الديمقراطيين أفضل بصورة ساحقة من الجمهوريين».

ورد زعيم نقابي- هو جاك شاينكمان رئيس اتحاد عمال الاقمشة والمنسوجات -على النائب فرانك قائلا: عندما وقفنا ضد اتفاقية التجارة الحرة لأمريكا الشمالية (نافتا) وضد اتفاقية منظمة التجارة العالمية(الجات) سمعناهم في الحزب يصفوننا بأننا نمثل المصالح الخاصة، وبأننا من أنصار سياسة الحماية التجارية والعزلة كان هناك استياء عميق بين الشعب العامل من الحزب الذي كان تقليديا حزبهم ، فهناك خسائر ودخولنا تنخفض .. ومع تدني مستويات معيشتنا يتدنى مستوى تأييدنا للحزب الديمقراطي.

وفي وقت إنعقاد المؤتمر أصدر الائتلاف وثيقة من ٤٠ صفحة بعنوان «الدفاع عن الأسرة» ركزت على برنامج وضعه النائب الاشتراكي الوحيد في الكونجرس الأمريكي ، وهو برنارد ساندرز النائب عن ولاية فيرمونت .ويدعو هذا البرنامج إلى استثمار ١٣٠ مليار دولار لخلق مليون وظيفة جديدة، وتوفير هذا المبلغ من فرض ضريبة على مبيعات الأسهم والسندات أي على القطاعات القادرة على هذا النوع من الاستثمار بهدف الربح.

ويمكن أن نقول أن هذا المؤتمر وهذا الائتلاف الواسع يقدم دليلا على أن صعود اليمين الجمهوري قد ساعد في تنشيط قوى اليسار الأمريكي وتنبيهها إلى خطورة التخلي عن قضايا الناس والاكتفاء بما يقوم به السياسيون التقليديون في الحزب الديمقراطي.

بل الحقيقة ان صعود اليمين الجمهوري قد حفز بعض القوى داخل ادارة كلينتون -وعلى الرغم من مواقف كلينتون نفسه- الي محاولة تدارك الصورة الوسطية للحزب. فقد أعلن وزير العمل الامريكي روبرت رايك إن تقليص نفقات الحكومة أو خفض الضرائب لن يؤدي إلى النتائج التي تحدث عنها الجمهوريون .. وأنه من الضروري لتوفير الأموال اللازمة للبرامج الاجتماعية دون فرض مزيد من الضرائب على الطبقة المتوسطة ، من الغاء العفو الضريبي الذي تتمتع به المؤسسات الكبرى والأغنياء .

وبعد ذلك بوقت قصير ، وبعد أن حاول كلينتون الابتعاد عن موقف وزير العمل في إدارته، أعلن الوزير نفسه انه من الضروري رفع الحد الأدنى للأجور ليصبح عند مستوى انساني .. وأثار هذا الاقتراح غضبا عارماً بين الجمهوريين إلي حد أن الناطق بأسم الحزب قال انه سيحاربه في الكونجرس «حتى الموت» .. لكن الاقتراح آثار حماس الطبقة العاملة وذوي الدخل المحدود ، وفتح باب المناقشة حول «اذا كان رفع الحد الأدنى للأجور يضر الاقتصاد الأمريكي .. أم يفيده(..)».

ووسط هذاكله عاد أنصار الحزب الديمقراطي إلي محاولة التأكيد على أنه الإطار الوحيد الممكن لمحاربة اليمين الجمهوري والتغلب عليه في العملية الانتخابية (في انتخابات الرئاسة وانتخابات الكونجرس عام ٩٦)ومنطقهم في هذا -كما عبر عنه موريس ايسرمان ومايكل كازين -اللذان يعدان عميدي اليسار الديمقراطي بين الكتاب السياسيين-ان «كلينتون قد لا يكون بطلا الا ان مصير اليسار يقلق به- لأن خصوم كلينتون في انتخابات ٩٦ لن يكونوا من أمثال جيسي جاكسون أو غيره من مرشحي حزب ثالث لا يزال مجرد مشروع حزب ، انما سيكون خصومه هم السناتور روبرت والنائب جاك كيمب أو هذا وذاك من قادة اليمين الجمهوري».

وحذر كاتب يساري ديمقراطي آخر- هو ديفيد موبرج من المراهنة على أن فرصة كلينتون في الفوز بالرئاسة لفترة ثانية عام ٩٦ معدومة او ضئيلة . وأبدى اعتقاده بأن كلينتون سينفض عن نفسه خلال الفترة القادمة ، الغبار الذي غطى برنامجه الانتخابي لعام ٩٢ الذي كان يحمل عنوان ، وضع الشعب أولا ، وسيؤيد عددا من الاقتراحات التقدمية الإنسانية مثل وضع استراتيجية لضمان وظيفة لكل فرد .. كما أن باستطاعته أن يتوجه مباشرة إلى الشعب الأمريكي . ان باستطاعته أن يقضي السنتين المقبلتين الباقيتين من فترة رئاسته الأولى في شن هجمات متواصلة ضد هيمنة رؤوس الأموال الكبيرة على السياسة.

وحتى هذا التحذير لم يكن كافيا بالنسبة لبعض كتاب اليسار خارج الحزب الديمقراطي ، فقد قال هاري برايهاوس في شهرية(آجنيست ذي كارانت) (ضد التيار) ان اليسار «خارج الحزب الديمقراطي » ليس كبيرا ولا راسخا بما يكفي في دهاليز واشنطن ليكون له نفوذ على كلينتون عن طريق تقديم صداقته أو تأييده له ولا كلينتون من ناحيته يريد أصدقاء من اليسار ومن يظن هذا ينسى السنوات التي قضاها كلينتون يعد نفسه لقيادة الحزب في اتجاه موال للمؤسسات بدرجة عدوانية ، لقد قضى كلينتون حياته كحاكم لولاية آركانسو وكعضو في الحزب ثم الرئيس يؤكد إخلاصه لمن يدفعون فواتيره. إن كلينتون هو رمز- وليس حلا- لديمقراطية وقعت رهينة لرأس المال الكبير.

وينتهي برايهاوس إلى أن الفساد والاخفاق في الحزبين الكبيرين هما سبب اغتراب المواطنين وازدرائهم ، فما الذي يمكن أن يكسبه اليسار -بربط نفسه بواحد من الحزبين ؟ ان منطق إعادة الانتخاب سيدفع بكلينتون أكثر نحو اليمين ... وذلك لكي يضمن على الأقل تأييد الجمهوريين في مجلسي النواب والشيوخ .. ان كلينتون -خلافا لمؤيديه في اليسار - يفهم هذا جيداً.

ان الرأي الذي يسود الآن في اليسار الأمريكي -خارج الحزب الديمقراطي -يدعو اليسار داخل هذا الحزب إلى تركه وترك أزمته وأزمة كلينتون ... أي الخروج من الحزب تنظيميا وانتخابيا ، ويمكن ان نضيف عقائديا- من أجل بناء حزب بديل مستقل وأكثر جدية.

فهل هذا ممكن؟ هل الظروف مهيأة له ؟ هل القيادات اللازمة متوفرة؟

وإلى أي مدى سارت الجهود في طريق هذا الحزب الثالث .. حزب اليسار في أمريكا؟

البقية في العدد القادم.

السيناريو الأمريكي لحرب الكرملين

أحمد الخميسي

رسالة موسكو

منذ أكثر من ثلاثة أعوام- في ديسمبر ١٩٩١ -نشرت «اليسار» رسالة موسكو: **انكسار الشرق والجنوب الروسي**. وجاء في السطور الأولى منها: «سقط المعسكر الاشتراكي، ثم الاتحاد السوفيتي، وتتكسر الآن الأجنحة العريضة لروسيا الضخمة في الشرق والجنوب، شرقا عند جزر الكوريل الأربع، وجنوبا **عند القوقاز الذي يسكنه ستة ملايين مسلم**». وبدا لي حينذاك- أنني أناقش نفسي، وأناقش التصورات المطروحة، ولا أجزم بشيء، وكان استكمال الفهم عبر الكتابة هو الطابع الغالب على ما أكتبه. وحينذاك خطر لي أن احتمال تقسيم روسيا وتفتيتها مسألة أبعد ما تكون عن الواقع، وأقرب ما تكون إلى مناقشة التخيلات. ولكني أجدني مضطراً للعودة الى «إنكسار الشرق والجنوب الروسي» بعد استمرار الحرب الروسية في الشيشان لأكثر من شهر، ودخول اعتبارات جديدة كثيرة على تلك الحرب، تجعل تفكيك روسيا أمراً، مطروحا بقوة باعتباره مهمة المجتمع الغربي الأولى الآن.

ولا يمت للحقيقة بصلة كل ما يقال عن أن الولايات المتحدة والدول الغربية حريصة على «وحدة روسيا» لأن روسيا المفككة تمثل خطراً أكبر على الغرب من الفيدرالية الروسية. **فليس في روسيا ما يخشاه الغرب سوى الأسلحة النووية، ولكن أمريكا والغرب وحلف الناتو تمكنوا في السنوات الثلاث الماضية من إحكام قبضتهم على نظام الحكم في روسيا، وعلى وسائل الإعلام وعلى مصادر الطاقة النووية، ومصانعها ومعاملها، وعلى أدق اسرار الجيش الروسي،** بحيث لم يعد تفكيك روسيا الآن يمثل ما كان يمثله من قبل من خطر **«الدولة النووية الممزقة»**. فقد صارت أدق تفاصيل الحياة في روسيا تفوح بالسيطرة الأمريكية، وأمسى لهذه السيطرة إذاعات داخل الإذاعة الروسية، وقنوات تلفزيونية، ومكاتب تحقيق فيدرالية داخل موسكو للتحقيق الأمريكي في الجرائم الروسية، وأصبح سعر الدولار أول ما تفتح به نشرت الأخبار بثها. وأصبح الرئيس الروسي يخاطب المسئولين الأمريكين بقوله: **لقد طلبتم ابقاء كوزيريف وزيرا للخارجية. وها نحن قد احتفظنا له بمقعد الخارجية**. إن حجم التسلل الأمريكي إلى روسيا أكبر من حجمه في أي دولة أخرى، بحكم ما تثيره روسيا تاريخيا من مخاوف. وإذن فإن ما يردده وزراء خارجية ألمانيا، وفرنسا، وغيرها من أن الفيدرالية الروسية أكثر أمنا للغرب من «روسيا الممزقة» كلام للاستهلاك العام، أما الحقيقة فهي أن **الولايات المتحدة أصبحت تفضل الآن تفكيك روسيا.**

وهنالك شواهد كثيرة على ذلك- أولها توقيت الحرب التي أعلنتها موسكو على الشيشان- وهو توقيت غريب استهدف استمرار القصف الجوي العنيف حتى في ليلة رأس السنة الجديدة ١٩٩٥، كأنما خصيصا لاستفزاز الرأي العام الدولي، وتقديم ذريعة له للحديث عن انتهاك حقوق الإنسان. كما أن ذلك التوقيت غريب أيضا لأن المشكلة الشيشانية اندلعت منذ سنة ١٩٩١ حينما أعلن جوهر دودايف عن استقلال بلاده، ومع ذلك فإن أحداً لم يقم بتلك الحملة العسكرية للرد على دودايف وهو ما زال في بداية حركته، ولم يقم أحد بشن الحرب فيما بعد في صيف ١٩٩٢ حينما طرحت روسيا فكرة «المعاهدة الفيدرالية» التي نظمت بها- بعد غياب الدستور السوفيتي- علاقات المركز بالأطراف والأقاليم، فوقعت على المعاهدة كل أطراف الفيدرالية الروسية باستثناء «**تتارستان**» التي تقع على نهر الفولجا، و«**الشيشان**» في القوقاز. فيما بعد وقعت **تتارستان** معاهدة خاصة فيدرالية مع روسيا، أما دودايف فرفض التوقيع. ولم يفكر أحد في شن الحرب عليه على أساس أنه يهدد بموقفه وحدة روسيا. وفيما بعد أقرت روسيا كلها في استفتاء عام الدستور الروسي الجديد في أواخر ١٩٩٣، ورفضت جمهورية الشيشان المشاركة في الاستفتاء-وكانت تلك أيضا مناسبة لاعلان الحرب وتأديب الجنرال المتمرد، لكن أحدا لم يفعل. كأنما كان الجميع في انتظار أن تحكم الولايات المتحدة قبضتها أولا على الاقتصاد الروسي، والتوجهات السياسية الروسية، وتعيين الوزراء، ودولرة العملة بحيث يصبح الدولار الأمريكي هو العملة الحقيقية للدولة. وفجأة من دون سابق انذار قررت القيادة الروسية(دون بذل أي جهد حقيقي لحل المشكلة سياسيا) إعلان الحرب.

الأكثر من ذلك أن تنفيذ الجيش



مقاتلين شيشانيين

الروسى للعملية كان أيضا يبعث على الشك فى أن الجيش يريد بالفعل القيام بعملية خاطفة سريعة.

فقد تصرف العسكريون الروس وكأنهم يتعمدون إطالة الحرب. وللقارئ أن يتصور أن الكرملين قد دفع إلى الشيشان بأكثر من خمسين ألف جندي- وهو نصف عدد الوحدات التى قاتلت فى أفغانستان -مزودين بأحدث الأسلحة ، ومع ذلك فإنهم لمعجزة ما لم يتمكنوا من تطويق الشيشان، واقتحام العاصمة لمدة شهر كامل، مع أن **قوات دودايف التى يدور الحديث عنها يمكن سحقها عسكريا خلال ثلاثة أيام على أكثر تقدير** . والأغرب من هذا الجيش الروسى الذى دخل العاصمة ظل يطوق القصر الرئاسى التابع للجنرال دودايف لمدة عشر أيام دون أن يتمكن من الاستيلاء عليه، مع أن ذلك القصر عبارة عن مبنى شديد التواضع يشبه **مدرسة الخديوى اسماعيل الثانوية** . وفى نفس الوقت فإن جوقة غريبة من المدافعين عن «حقوق الإنسان» **هم سيرجى كوفالوف** الصهيونى ، ومدام بونير زوجة الأكاديمى الصهيونى الكبير ساخاروف ، وغيرهما ، قد برزت فجأة وانبرت للدفاع عن حقوق الإنسان فى الشيشان . مع أن أحدا لم يسمع صوت ذلك الكورس يرتفع بصيحة واحدة عندما هاجمت أمريكا الصومال ، أو قامت بعملية هاييتى، ولم يسمع أحد ذلك الكورس عندما قام يلتسين بقصف مبنى البرلمان الروسى بالقنابل أواخر ١٩٩٣ ، ويحرك الغناء الموحد لكورس «حقوق الانسان» ريبة عميقة ، لأن أولئك المطربين عادة ما يبدأون إنشادهم فقط بعد أن يلتقون الإشارة من واشنطون ، ويطرح ذلك الكورس المسألة على النحو التالى: **«إن تقسيم روسيا، أو استقلال الشيشان ، أهون بكثير من تلك الفظائع التى ارتكبها الجيش فى الشيشان». بل وتبدو تلك الفظائع نفسها مثيرة للشك ، فقد قصف الجيش الروسى دونما أية مناسبة كل ما وجده فى طريقه من بيوت ومصانع وجسور وقصف حتى الكنيسة الوحيدة فى جروزنى ، ثم اتضح فجأة- أن لدى الجيش أشعة ليزر يمكنه بواسطتها احكام التصويب بحيث لا يتعرض لأية منشآت مدنية** فلماذا لم يتم استخدام تلك الأسلحة الدقيقة منذ بداية الحرب إذن؟ وهل حقا أن قيادة الجيش الروسى- وكلها من كبار العسكريين الذين قاتلوا جميعا فى أفغانستان-لم تستطع أن تقوم بعملية عسكرية ناجحة صغيرة إلى هذا الحد؟؟.

وبطبيعة الحال فإن أحدا لا يدافع عن المسلك الاجرامى الروسى،ولا عن تدمير جمهورية بأكملها ومساواتها بسطح الأرض ، كما أن أحدا لا يصغر دور وطاقات الشعب الشيشانى التى تحركت تاريخيا نحو التحرر من القبضة الروسية على مدى قرنين. ولكن عندما تكون هناك أهداف أخرى وراء تلك الحرب، أهداف تستخدم فيها حتى طاقات الشعب الشيشانى ودماء أبنائه وأيضا طاقات، ودماء الجنود الروس الشبان ، فإن المسألة تتجاوز قضية تحرر هذا الشعب لتنتقل إلي مناقشة المرامى الحقيقية الأبعد مدى وراء تلك النيران. وفي هذا الإطار فإن للرئيس الروسى **بوريس يلتسين** دوره الخاص للغاية ، فقد احتاجت الولايات المتحدة الي سيناريو كامل تحركت فيه دبابات وجنرالات وأذاعات وأوهام ، ليتم تحت ستار من انقلاب مزعوم في اغسطس ١٩٩١ هدم الاتحاد السوفيتى، وهو الانقلاب الذى سيظل التاريخ يبحث فى تفاصيله وأدوار القيادات السوفيتية فيه حتى يستخلص النصوص المؤلفة من الواقع الحى. وفى انقلاب اغسطس ١٩٩١ قام **يلتسين** بالذات بدور مميز ومريب. فقد كان هو الذى **بادر خلال أيام الانقلاب بالذات بالاعتراف فجأة باستقلال دول البلطيق الثلاث**، مع انه ليس ثمة أية علاقة بين انقلاب- يفرض انه انقلاب تم فى موسكو وبين منح دول البلطيق حق الانفصال فجأة بقرار من رئيس روسيا . وفيما بعد قام يلتسين بالذات أيضا بتوقيع اتفاقية **بيلافوجسكايا** فى أواخر ١٩٩١ معلنا من جانبه ومعه الرئيسان الأوكرانى والبيلاروسى **فقط اختفاء ، الاتحاد السوفيتى كدولة** . والآن يشارك يلتسين بنفس الدور فى اضفاء طابع الحقيقية بدماء الجنود الروس على سيناريو تقسيم روسيا بفصل القوقاز عنها . وسيمضى السيناريو نحو تحويل القوقاز إلى بؤرة صراع ثابتة ملتهبة، تقيم فيها وحدات عسكرية روسية، لتتعرض كل يوم إلى ضربة سكين من مواطن شيشانى ، أو رصاصة من مدفع رشاش. وبذلك يتحول القوقاز إلى بؤرة مزمنة مع مرور الوقت، مثلما تحولت قرة باخ بين أذربيجان وأرمينيا ، ومثلما تحولت أبخازيا داخل جيورجيا ،ومثلما أصبحت بريدنستروفيه فى مولدوفا ، ومثلما مزقت يوغوسلافيا ، وتشيكوسلوفاكيا. وقد عودنا النظام العالمى الجديد أنه هناك حيثما تشتعل بصورة ثابتة الحروب الصغيرة يجرى إعادة تقسيم النفوذ لصالح أمريكا ويطرد روسيا من تلك المناطق . والآن عندما يتحول القوقاز إلى بؤرة صراع وقتال يومى فإن المجتمع الدولى- وقد بدأ بالفعل- لابد أن يتدخل. وهكذا ظهرت بعثة الأمم المتحدة ، وطالب مؤتمر الأمن والتعاون الدولى بأن تسافر لجنة من طرفه لمراقبة ما يجرى، وشيئا فشيئا، يتم تدويل الصراع.

وقد كان بوسع القيادة الروسية أن تعالج القضية الشيشانية على أساس العثور على صيغة صحيحة وديمقراطية للعلاقة بين القوميات الكبيرة والقوميات الصغيرة داخل روسيا ، ولكن القيادة فضلت أرجاء أى بحث **عن أى حلول إنتظارا للضربات العسكرية التى تستهدف روسيا أساسا قبل القوقاز.**

اعتبار آخر: أن الذى شد الرئيس دودايف إلى الحكم هو تحديدا الرئيس يلتسين عندما أرسل إلى دودايف بالذات عام ١٩٩١ وزير الاعلام ميخائيل بولترانين ، الذى أقنع دودايف بأن يلتسين قد اختاره ليتزعم الاطاحة برموز الحكم الشيوعى فى الشيشان ،ولكى يرأس الجمهورية الشيشانية.

ومع انسحاب روسيا المقبل من القوقاز ستتقدم تركيا باعتبارها الطرف الأساسى المرشح لشغل تلك المواقع بالزى الإسلامى ، والانتماء لحلف الناتو . وقد كسبت تركيا بالفعل الكثير من المواقع فى القوقاز ، كما كسبت منذ فترة ما هو أكثر من ذلك عندما **تمكنت من توسيع نطاق مياهها الاقليمية فى مضيقى البوسفور والدردنيل الذين يفصلان البحر الأسود عن البحر المتوسط بحيث أصبحت الناقلات الروسية التى تقصد أوروبا الغربية تحت رحمة القرار التركى.** وبهذه الحرب ستنكفأ روسيا على نفسها بعيداً عن أوروبا الشرقية، بل بعيدا حتى عن دول ما وراء القوقاز: أذربيجان ، أرمينيا ، جيورجيا . كما أن ورقة جزر الكوريل المؤجلة قد تبرز مجدداً عما قريب لتستأصل من روسيا جناحها الشرقى.

إن الحروب عادة ما تفضى لهزات اجتماعية واقتصادية وسياسية كبيرة وقد كانت الحرب اليابانية- الروسية-١٩٠٤-١٩٠٥ فاتحة للثورة الروسية الأولى، كما كانت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ مقدمة لثورة أكتوبر الاشتراكية ،وليس أنسب من حرب في القوقاز الآن لتقسيم روسيا، ولكن ذلك التقسيم قد لا يكون النتيجة الوحيدة التى سيخرج بها الروس من الحرب.

أخيراً ، ربما يكون كل ذلك التصور المعروض خيالا واسعاً . ربما ولكن ألم يبدو ما نشرته اليسار فى نفس الموضوع منذ ثلاثة أعوام خيالا هو الآخر؟.

القمة العالمية حول التنمية الاجتماعية / كوبنهاجن ١٩٩٥

المسألة الاجتماعية تفرض نفسها على جدول أعمال السياسة العالمية .. وقضيتان مركزيتان أمام القمة:

الفقر والبطالة

يمثل ازدياد التوتر الاجتماعى فى معظم دول العالم أحد أبرز سمات التطور العالمى فى السنوات الأخيرة . وقبل أن يفوق المحتفلون بدفن أنظمة اشتراكيات الدولة من نشوة النصر واجهتهم صورة لعالم تسوده صراعات متفجرة وأوضاع متدهورة تجعل من الصعب على الرأسمالية أن تزهو بنصرها ، وإن كان من الواضح أنها وحدها التى ظلت باقية .

وهنا يكمن الإشكال الذى يؤرق بال قادة العالم ، فالنظام العلمى السائد ليس فقط عاجزاً عن إدارة العالم بما يقيم العدالة والديمقراطية ويحفظ حقوق الانسان ، بل أنه يهدد استمرار الحياة على الأرض اجتماعيا وبيئيا وعسكريا.

وبينما يشهد الجنوب اشكالا اثنية وقومية مأساوية للصراعات الاجتماعية تتصاعد فى الشمال موجة العنصرية والانانية القومية والعنف ، يقول خوان سومافيا رئيس اللجنة التحضيرية للقمة الاجتماعية ان مكان خطر القنبلة النووية أثناء الحرب الباردة حل الآن تهديد القنبلة الاجتماعية.

وتريد القمة الاجتماعية التى ستنعقد من ٦ إلى ١٢ مارس ١٩٩٥ فى كوبنهاجن ان تمهد الطريق لتطبيق شكل جديد من التنمية الاجتماعية . وهذه القمة هى الاجتماع الرابع من سلسلة مؤتمرات خططت لها الأمم المتحدة: البيئة(ريو) حقوق الإنسان(فيينا) ، السكان(القاهرة) ، والمرأة(بكين) ومن المتوقع ان تنعقد القمة بمشاركة ١٥٠ دولة من الشمال والجنوب. يطالب الأمين العام للأمم المتحدة بطرس غالى أن تمثل قمة كوبنهاجن حجر زاوية فى بناء العمارة الاجتماعية لنظام الامم المتحدة للسنوات العشرين القادمة .

نبيل يعقوب

رسالة برلين

وسيمثل العقد أو الميثاق الاجتماعى «الجديد» لب المؤتمر . ولكن ليس من المؤكد أن تنجم عن المؤتمر التزامات ملموسة لسببين: الأول هو رفض دول الشمال الواضح لان تتحمل بالجدية المطلوبة مسئوليات فعلية إزاء عالم استنزفت وتستنزف موارده كأساس للاثراء الاناني، والثانى هو صعوبة أن ينجح ممثلو الدول النامية فى تحقيق التماسك والإصرار اللازم للدفاع عن حقوق شعوبهم وبلادهم.

د. بطرس غالى



ورغم كل ما يدفع للحذر فى تقييم ما يمكن أن تحققه القمة فان مجرد انعقادها يمثل علامة هامة اذ بذلك توضع لأول مرة على جدول أعمال مؤتمر عالمى التبعات الاجتماعية للنظام الاقتصادى العالمى السائد كما تفصح عن نفسها فى الشمال والجنوب . والموضوعات الرئيسية الثلاث التى ستعالجها القمة هى الفقر والبطالة والتحلل الاجتماعى.

خلفية المؤتمر

وسيتطرق المؤتمر إلى أهم التطورات التى جرت فى السنوات الأخيرة:

* تتسع الهوة بين الفقر والغنى بسرعة كبيرة- سواء على النطاق العالمى أو داخل الدول . أن نسبة التفاوت بين مستوى دخل ال ٢٠٪ الأغنى وال ٢٠٪ الأفقر من بين سكان العالم ارتفعت من ١: ٣٠ (١٩٦٠) الى ١:٦١ (١٩٩١) ، والأغنى الذين يمثلون ١٦٪ فقط من سكان العالم يستحوذون على ثلاثة أرباع دخل العالم . كما يزداد بروز الهوة الاجتماعية أيضا داخل بلدان الشمال والجنوب بوضوح أكبر: فقد نمت الفروق فى الدخل بشكل دراماتيكى -سواء بين الأغنياء والفقراء أو بين الأغنياء والفئة المتوسطة.

* ان أكبر وأضخم الاخطار التى تواجه أمن البشرية بالدرجة الأولى الصراعات العسكرية بين الدول ، بل الفقر والتحلل الاجتماعى ، ويوجد على نطاق العالم أكثر من مليار إنسان فى حالة فقر مطلق دخل الفرد منهم أقل من دولار أمريكى فى اليوم . وهم يعيشون بلا عمل ، بدون الحصول على قدر كاف من المواد الغذائية والماء ،بدون نصيب من الرعاية التى تقدمها المؤسسات الصحية والتعليمية ، وبدون أمل . ويضاف إلى ذلك التمييز الخاص ضد النساء واضعف مجموعات المجتمع -المعاقين والذين بلا مأوى واللاجئين والعاطلين والأقليات ،.وكما عبرت المنظمات غير الحكومية فى اجتماعها التحضيرى فان «ظروف الحياة البائسة- والتى عند النظر اليها وحدها فهى غير مفهومة وغير أخلاقية -قد أصبحت سبباً رئيسياً للعنف.

* ومع أن معظم الفقراء يعيشون فى مناطق آسيا وأفريقيا الريفية- إلا أن المشاكل الاجتماعية تتفشى فى البلدان الغنية وتصل الي درجة من الخطورة : نسبة البطالة العالية ، الهياكل الاجتماعية المنهارة ، الجريمة المتفشية، التهديد المتزايد للأمن الشخصى ،

وانتشار المخدرات ،وقد اصبحت البطالة المستمرة العالية، والتناقص المستمر لفرص العمل ،مع ارتفاع الانتاجية فى نفس الوقت ظاهرة دائمة فى البلدان الصناعية القائدة والاقتصادات الحديثة . وفى كل مكان تلقى البطالة المرتفعة ونقص فرص العمالة بكتل من الناس الي هوة الفقر- وتتقوض أسس الاستقرار الاجتماعى.

* لم تأت نهاية الحرب الباردة لا باسلام ولا بحصة السلام Dividend ربح السلام وبدلا من ذلك جاء النمو الانفجارى لبراكين العنف الاثنية والحروب الأهلية. النزاعات الاثنية والاقليمية القديمة التى انفجرت وتنفجر فى البلدان الشرقية وفى وسط أوروبا ايضا فى العديد من البلدان النامية غالبا ما تكمن اسبابها فى استمرار وجود هياكل توزيع ظالمة غير ان التحسن المحقق فى الأوضاع الاجتماعية الاقتصادية غير كاف، وتكمن أيضا فى أن الناس ليس لهم نصيب كاف فى التقدم المحقق.

* ان عدد الناس الذين يضطرون للهجرة من أوطانهم بسبب الظروف الاقتصادية والسياسية المزرية أو بسبب استفحال دمار البيئة والكوارث يزداد باستمرار . وتكمن الكارثة الانسانية من ناحية فى ازدياد صور معاناة اللاجئين والمهاجرين ، ومن ناحية أخرى فى التوتر السياسى والاثنى والاجتماعى الاقتصادى الناشئ بسبب ذلك فى بلدان المهجر.

* واحدى المفارقات التى تزداد أبعادها باستمرار هى نمو المليارات التى تنفقها الدول على الأسلحة لتأمين حدودها الاقليمية بينما تتدهور أوضاع الأمن الفردى أو الأمن البشرى «داخل الحدود» ، ورغم انخفاض الحجم الكلى للانفاق العسكرى فى العالم فى السنوات القليلة الماضية إلا أن الربح الذى أتى به السلام والذى يسمى «حصة السلام» تسرب معظمه ولم يستخدم لتحسين الأوضاع الاجتماعية ، بل إن نفقات التسلح ازدادت فى البلدان النامية فى نفس الفترة على حساب الاستثمارات الضرورية فى مجالات التعليم والصحة.

إن خطر الموت فى البلدان النامية بسبب نقص التغذية وامراض أخرى يمكن اتقاؤها أكبر ٣٣ مرة من خطر الموت بسبب النزاعات العسكرية. وتستمر البلدان الصناعية «المتقدمة» فى تصدير الأسلحة الى البلدان النامية فتصبح بذلك مسئولة بشكل مباشر عن التوتر والصراعات العسكرية من ناحية ، وكذلك عن إغراق البلدان النامية فى دوامة الديون التى تعرقل التطور الصحى للاقتصاد العالمى.

* أصبح الاعتراف الآن عاما بأن السياسات التنموية للبلدان الرأسمالية المانحة غارقة فى أزمة عميقة ، وتعتبر الثمانينات«عقداً ضائعاً» بالنسبة للمساعدة التنموية . ولم تحقق هذه المساعدات اهدافها المعلنة ، فلم تخفف من حدة الفقر، ولا ساعدت على تصحيح مسارات سياسة التنمية . الذى حققته بالتأكيد هو كسب اسواق للشركات الكبرى فى البلدان التى قدمت المساعدات . ان المدافعين الايديولوجيين عن نظرية وممارسات اقتصاديات السوق لم يعد بوسعهم انكار الصلة الأكيدة بين المديونية والسياسات الحمائية للبلدان الصناعية والسياسات التجارية فى إطار الاتفاقية العامة للجمارك والتجارة (جات) وبرامج التكيف الهيكلى التى يفرضها صندوق النقد الدولى والبنك الدولى ، وبالطبع ايضا السياسات الاقتصادية الخاطئة لحكومات البلدان النامية من ناحية، وتردى الأوضاع الاجتماعية فى بلدان الجنوب(وبلدان شرق أوروبا التى تسير بخطوات حثيثة لتصبح جنوبا!) من ناحية أخرى.

مهمات القمة الاجتماعية العالمية

يكتب خوان سومافيا رئيس اللجنة التحضيرية للقمة الاجتماعية ان المطلوب من المؤتمر ان يحقق ثلاث مهمات: الأولى هى التصدى لمهمة القضاء على الفقر المطلق ، وسيعنى النجاح فى مواجهة هذه المشكلة ان العالم قد فهم أخيرا ان الفقر قد وصل الى حدود لا يمكن قبولها من وجهة نظر حقوق الإنسان ولا يتفق مع الديمقراطية ،وهى مهمة تساوى -بمنظور القيم ومن حيث الجهود المطلوبة لتحقيقها -مهمة القضاء على العبودية في القرن التاسع عشر ، وتعميم حق التعليم الأساسى للجميع فى بداية القرن العشرين أو التغيرات العميقة فى مجال الوعى حيث ترسخ فى النصف الثانى من هذا القرن مبدأ المساواة بين الجنسين ، ثم نشأ الوعى بأهمية العناية بالبيئة ، والمهمة الثانية هى تأكيد القمة على الموضوعات الاجتماعية ، والتوصل لاقرار ميثاق التنمية الاجتماعية ، والذى يتضمن القيم والمبادئ التى ينبغى ان يتم بها العمل فى المجال الاجتماعى (الأولويات والأهداف والابعاد الزمنية لتحقيق الاهداف) ، والثالثة هى أن ينجح الاجتماع فى اقرار خطة عمل ، وبشكل ملموس يتوقع أن تعالج هذه الجوانب الثلاثة فى تناول ملموس لقضايا مكافحة الفقر والحد من البطالة وخلق فرص عمل وبناء التضامن بتنمية اشكال الاندماج (التكامل) الاجتماعى ، والمقصود هو استعادة المهمشين الى صفوف المجتمع ، وانهاء التمييز ضد مجموعات اجتماعية واثنية.

واحدث صيغة لمسودة بيان كوبنهاجن تتضمن بالاساس **ثمانية التزامات ذاتية تتعهد بتحقيقها الحكومات:**

١- خلق شروط تتيح التنمية الاجتماعية.

٢- مكافحة الفقر المطلق عالميا.

٣- دعم التوظيف (خلق فرص عمل) بوصفه شرطاً لضمان لظروف حياة مأمونة.

٤- دعم التكامل الاجتماعى ومشاركة كل الناس.

٥- تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة.

٦- دعم التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى افريقيا وفى افقر الدول الأخرى.

٧- توجيه برامج التكيف الهيكلى للبنك الدولى وصندوق النقد الدولى بشكل أقوى نحو أهداف اجتماعية.

٨- زيادة الموارد المالية لهذه الاغراض بشكل ملموس.

ويتوقع ان تصاغ اهداف البيان الختامى فى ٨٧ نقطة عمل تبدأ بمطلب تنفيذ سياسية اقتصادية تزيد فرص العمل بقدر ملموس وتنتهى بقرار التحقق من التقدم المحقق فى قمة اجتماعية أخرى عام ٢٠٠٥.

وقد تقدم **برنامج الأمم المتحدة للتنمية UNDP** باقتراحات للقمة الاجتماعية سجلها فى تقريره الصادر هذا العام (تقرير التنمية البشرية) ، ويقترح التقرير نهجا يمكن القمة من تحقيق التغيير فى اتجاه التطور المرغوب . واضافة للاتفاق على ميثاق اجتماعى عالمي جديد ، يطالب التقرير بتشكيل «مجلس أمن اقتصادى» للأمم المتحدة ، وصندوق كونسى للأمن وتعبئة حصص السلام ، والنص التعاقدى الواضح على التزامات كل من دول الشمال والجنوب عن مكافحة الفقر معاهدة ٢٠:٢٠ حول التنمية البشرية ، كما يقترح تعزيز دور الأمم المتحدة بما يخدم تحقيق هذه الأهداف ذات الطابع العالمى.

الخوف من الفشل

تحت عنوان «قبل أن تبدأ القمة الاجتماعية : نجاحها مشكوك فيه»كتبت

صحيفة فرانكفورتر روندشاو (٦-١-١٩٩٥) الالمانية مقالا يعبر عن خوف المنظمات غير الحكومية من أن تفشل القمة ، وكان مندوب شيلى ورئيس اللجنة التحضيرية لاجتماع القمة خوان سومافيا قد حذر بنفسه من أن ينتهى الأمر بأن يقال «مرة أخرى ينعقد واحد من تلك الاجتماعات التى تنظمها الأمم المتحدة.

والمنظمات غير الحكومية التى يهمها أيضا أن ينشغل روساء الدول لأول مرة فى التاريخ فى اجتماع مشترك بالموضوع المركزى: النضال ضد الفقر المطلق، وخلق فرص عمل ، والتكامل الاجتماعى (القضاء على التمييز ضد مجموعات من الناس) تخشى أن يقتصر الأمر على إعلان نوايا حسنة وتطالب -ويساندها فى هذا برنامج الأمم المتحدة للتنمية- بقرارات ملزمة وبخطوات ملموسة ، ومنها اقرار «الميثاق الاجتماعى العالمى» والذى ينص على الشراكة الاجتماعية بين الدول وداخل كل دولة، وهدفه الرئيسى يتحدد فى ضمان ظروف معيشة اقتصادية واجتماعية تليق بكرامة الإنسان.

وتطلق بلاد الشمال أشارات عديدة لتوقعاتها حول المؤتمر وتمنياتها لتحقيقه مسار هادئ ، وأخشى ما يخشاه ممثلو عالم الأغنياء ان يتحول المؤتمر لمنبر يطالبهم بنظام اقتصادى عالمى عادل ، وحسب تصريح المسئول عن المشاركة الالمانية فى المؤتمر راينر بريترنر ، (من وزارة العمل وليس من وزارة التعاون الاقتصادى الدولى) تتمنى بلاد الشمال ان تسير الأمور بتجنب «النزاع بين الشمال والجنوب الذى كثيرا ما نواجهه فى الأمم المتحدة.

وتكتب الصحيفة المذكورة : يصارع ممثلو البلدان الصناعية والنامية كما جرى فى المؤتمرات السابقة ايضا هذه المرة لموازنة اسباب الفقر والبطالة . وبينما يرى الناس فى العالم الثالث بالدرجة الأولى أسباب اقتصادية عالمية مثل المديونية والعقبات التجارية والمساعدة التنموية التى لا تملك حساسية اجتماعية يشدد ممثلو بون اولا وقبل كل شئ على المسئولية الخاصة للدول المنفردة عن تحقيق تنميتها الخاصة. وقبل مواصلة المطالبة بامكانيات مالية على الجنوب ان يستخدم أولا «الامكانيات المعطلة لشعوبه».

وتشكو بون أن موضوع حقوق الإنسان قد جرى تمييعه الي حد بعيد بسبب ضغوط ممثلين لبلدان آسيوية . وقد سقط من المشروع ما تضمنته المسودات الأولى عن الحاجة لأنظمة تأمين اجتماعى للمسنين والمرضى والعاطلين ، ويعتبر الالمان ان مطلب الغاء الديون وزيادة المعونات المالية بالنسبة للدول الافريقية مطلب مبالغ فيه ، والنقطة الأخيرة ستكون نقطة خلاف ساخنة اذ يتضمن برنامج الأمم المتحدة للتنمية UNDP الزام دول الشمال بمنح ٢٠٪ على الأقل من مساعدته التنموية ، والتزام الجنوب بتخصيص ٢٠٪ من كل الانفاق على الأقل الحكومى للاغراض الاجتماعية (التعليم ، التغذية، الصحة).

وستستقبل كوبنهاجن ٢٠٠٠٠ مندوب رسمي ومشارك من المنظمات غير الحكومية ، منظمة تير دى زوم(ارض الانسان) التى تتضامن مع العالم الثالث وهى موجودة فى فرنسا والمانيا تقول أن العهد الدولى للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الذى اقر عام ١٩٦٦ كان ابعد فى محتواه بالنسبة لعدد من القضايا ، ولكن المشكلة هى إيجاد الطرق لتنفيذ ما سيتفق عليه ، وتنبه الهيئة الى ضرورة العمل على زيادة تأثير البلدان النامية على برامج التكيف للبنك الدولى، وزيادة الاعتمادات المالية للتنمية الاجتماعية ، والاتفاق على رؤية جديدة وانشاء **هيئة للرقابة لفترة ما بعد القمة.**

فشل النظام العالمى فى المجال الاقتصادى والاجتماعى

* فى سنة ١٩٦٠ كان أغنى ٢٠٪ من سكان العالم يملكون ٣٠ ضعف ما يملكه ال ٢٠٪ الأفقر (١:٣٠).
* اليوم تبلغ النسبة ١:٦٠.
* منذ عام ١٩٧٠ زادت مديونية الجنوب ١٤ مرة لتبلغ ١٤٠٠ مليار دولار.
* منذ عام ١٩٨٢ دفع الجنوب ١٦٠٠ مليار دولار تسديدا للديون ولكن الفوائد التى يتحكم فى ارتفاعها الشمال وحده لا زالت تتطلب خدمة ديون سنوية قدرها ٢٦٦ مليار دولار.

(خمسة أضعاف مجمل المساعدات التنموية التى يقدمها الشمال).

* معظم الدول الأفريقية جنوب الصحراء تعتمد لأكثر من نصف صادراتها على المواد الخام مثل الكاكاو والبن.
* وقد هبطت الأسعار فى الثمانينات بأكثر من ٣٠٪.
* يقدر ال OECD أن افريقيا (نتيجة دورة أورووجواى التاريخية «للجات» ستحضر ٢٫٦ مليار دولار بينما ستربح.الدول الغنية ٢٧٠ مليار سنويا.
* برنامج الأمم المتحدة للتنمية UNDP يقدر ان الاجراءات الحمائية لدول الشمال ونسب الفوائد التى تتلاعب بها وبقية الأوضاع التميزية بين الشمال والجنوب تسلب أكثر من ٥٠٠ مليار دولار من بلاد الجنوب والتى كان بوسعها ان تربحها سنويا(ويمثل هذا الرقم عشرة اضعاف كل مساعدات الشمال).
* ازداد عدد الأشخاص الذين يعيشون فى فقر مطلق خلال ١٥ سنة بنسبة ٤٠٪ ليبلغ ١٫٤ مليار انسان ، وسيستمر هذا الرقم فى الارتفاع الى أن تصل نسبة من يعيشون على قرب الحد الأدنى للمعيشة إلى ثلث البشر.

مغزى القمة الاجتماعية

من الأمور المثيرة التى يكاد اليسار لم يمنحها انتباهه ان قادة العالم الذى يكاد يسود اقتصاده نظام واحد رأسمالى من المحيط الى المحيط لم يجدوا الوقت ليحتفلوا كما يجب بنصرهم التاريخى على الخصم الاشتراكى ، والسبب انهم يلهثون من مؤتمر عالمى لآخر ، وهى مؤتمرات تناقش سلسلة من القضايا كل واحدة منها قادرة على زلزلة العالم . كان أولها قمة البيئة فى ريو وفى شهر مارس القادم القمة الاجتماعية فى كوبنهاجن ، ومثل ريو ستصدر كوبنهاجن -رغم كل العبارات الهروبية والتبريرية والتلطيفية المتوقعة- شهادة بفشل النظام الأجتماعى الذى يمثل الربح قانونه الأساسى . وان مجرد انعقاد القمة الاجتماعية هو اعتراف بان هذا العالم فى حاجة الى سياسات جديدة لكى يتخلص من أوضاعه المزرية . أنصار الاصلاح سيتحدثون عن اصلاحات وأنصار التغيير الجذرى سينبهون إلى أن الإصلاحات الجزئية لن تستطيع استئصال جذور الشر. ولكن فى عالم لا توجد فيه- بعد هزيمة التجارب الاشتراكية -بدائل جاهزة تقيم العدالة الكاملة، وتقضى على الاستغلال على الأرض ، من الواضح لمن يريد التعامل مع العالم الواقعى أن كل خطوة تدفع الديمقراطية والتقدم الاجتماعى للأمام فى العالم عموما وفى العالم الثالث خصوصا ستسهم فى أن يولد وينمو البديل المنشود . ولا زال القول صحيحاً أن البشرية تضع على جدول أعمالها المهمات التى تستطيع حلها.

حول دور الدولة في الاقتصاد

د. حكيم بن حموده

عملت البلدان المصنعة والبنوك العالمية منذ اندلاع ازمة المديونية فى أغسطس ١٩٨٢ ، على إيجاد المؤسسات و استنباط السياسات للحد من وطأة الأزمة ومنع تحولها الى انهيار للنظام المالى العالمى . وفى هذا الإطار أصبح **صندوق النقد الدولى** من أهم مؤسسات إعادة أزمة المديونية على المستوى المالى فقبل أن يقبل **نادى لندن** المختص بالدين الخاص أو **نادى باريس المختص بالدين العمومى** النقاش مع أى بلد من بلدان العالم الثالث حول اعادة جدولة المديونية فإنهما يشترطان موافقة **صندوق النقد**، وهذه الموافقة تتطلب من البلد المعنى بالأمر وضع وتطبيق «برنامج تكيف هيكلى» تحت إشراف خبراء صندوق النقد.

وتشتمل برامج التكيف الهيكلى على عديد من الإصلاحات لعل أهمها تلك التى تخص مراجعة دور الدولة فى التنمية والعمل على التخفيف من تداخلها فى بناء الاقتصاديات الوطنية فى أغلب بلدان العالم الثالث ، وتعتمد هذه الإصلاحات على النظريات الاقتصادية الليبرالية التى سادت العالم فى بداية الثمانينات على أنقاض أزمة **الكينزية**. وترى هذه النظريات الليبرالية أن السوق قادر على تحقيق توزيع معقول لعناصر الإنتاج يضمن تلبية حاجيات المجتمع ويمنع كل استعمال غير مجد لهذه العناصر ، وفى هذا الإطار يزعم الاتجاه الليبرالى أن كل تدخل لعناصر خارجة عن العملية الاقتصادية ، كالدولة مثلا ، من شأنه أن يشوش عملية توزيع عناصر الإنتاج .ويخلق وضعية مختلة تفقد الاقتصاد توازنه، ومن هنا فإن الأزمة الاقتصادية التى تعيشها بلدان العالم الثالث وبصفة خاصة أزمة المديونية هى نتيجة استعمال غير ملتزم بقوانين السوق لعناصر الانتاج ، ولتجاوز هذا الخلل فإن أغلب الاقتصاديين الليبراليين يدعون إلى التقليص من دور الدولة فى الاقتصاد وتمكين السوق من عقلنة توزيع عناصر الانتاج لتلبية حاجيات المجتمع.

وليومنا هذا فإن هذه النظرة ما زالت تقود جملة الاصلاحات التى تقوم بها بلدان العالم الثالث والبلدان العربية بصفة خاصة فى إطار سياسات التكيف الهيكلى ، وفى هذا المقال تناول لدور الدولة فى الاقتصاد وقراءة نقدية لوجهة النظر الليبرالية، إلا أن هذا النقد لن يكون كما ينتظره البعض من زاوية راديكالية لكن هى زاوية تطور الفكر الليبرالى ذاته، أى أننا سنحاول أن نبين فى هذا المقال كيف أن النظريات الليبرالية الحديثة هى فى تناقض تام -حول قضية الدولة- مع ليبرالية الثمانينات ولكن وبالرغم من هذا التناقض فإن الاقتصاديين الليبراليين فى بلداننا تحت تأثير صندوق النقد والبنك الدولى ما زالوا يدافعون عن موقف التخفيض من دور الدولة فى التنمية- كما سنرى -ليس إلا نتيجة **«لليبرالية قديمة تجاوزها الزمن»**.

لقد كان لسياسات الحد من تدخل الدولة فى الاقتصاديات الرأسمالية انعكاسات وخيمة ، فعلى المستوى الاقتصادى مثلا فقد خسر الاقتصاد الأمريكى فى فترة حكم ريجان والاقتصاد البريطانى فى عهد «تاتشر» عديداً من المواقع فى التجارة الدولية نتيجة ضعف قدرتهم التنافسية ، مقارنة مع بعض البلدان **كاليابان والمانيا** حيث لعبت الدولة دوراً هاما فى دعم الاقتصاد بصفة عامة والمؤسسات الصناعية بصفة خاصة.

أما على المستوى الاجتماعى فقد نتج عن الحد من الانفاق الحكومى نمو كبير فى نسبة التهميش الاجتماعى والانتفاضات الشبابية خاصة فى الضواحى الفقيرة والشعبية بالمدن الكبرى ، وقد أدت هذه النتائج السلبية إلى إعادة النظر فى فهم دور الدولة الاقتصادى لدى عديد من المفكرين الليبراليين مثل J.lucas و P.Romer الذين يعتبرون من أهم منظرى الفكر الليبرالى فى الولايات المتحدة الأمريكية وقد نشأ عند هؤلاء المفكرين تيار ليبرالى جديد يدعى **بنظريات التنمية الداخلية(١)** أصبح شيئا فشيئا من أهم ملامح الليبرالية الحديثة . ويرى هؤلاء المفكرون أن التوازن أو الديناميكية الاقتصادية الناتجة عن توزيع عناصر الانتاج من طرف السوق ليست بالمثلى (OPHIMAL) ، وتتطلب العملية

الاقتصادية حسب هؤلاء المفكرين بعض أشكال التدخل من الدولة لتحقيق أفضل الظروف وأحسنها لنمو اقتصادى يمكّن من استغلال كل الطاقات الإنتاجية على المستوى الداخلى ويحقق للاقتصاد الوطنى مكانة تنافسية متميزة على المستوى العالمى.

ولم تبق هذه النظريات الجديدة حبرا على ورق فقد وجدت مداها عند أقرب المستشارين للرئيس الامريكى **كلينتون**- روبرت ريش- ROBERT REICH، الوزير الحالى للعمل الذى اشار منذ عام ١٩٨٣ فى كتاب بعنوان « The Next Omerican Frontier على ضرورة إعادة بناء دولة قوية لحماية القدرة التنافسية للاقتصاد الأمريكى ، كما تعتبر Laura Tyson لورا تيسون رئيسة قسم المستشارين الاقتصاديين للرئيس **كلينتون** ، من أكبر المدافعين عن هذه النظريات الليبرالية الجديدة- وقد عبرت فى كتاب نشرته مع J.Chalmers J.Zyaman تحت عنوان « Politics and phoductivityi how japans startegg works.

عن اعتقادها أن إعادة بناء القوة التنافسية للاقتصاد الامريكى تمر عبر ترك الليبرالية واعادة بناء بعض القطاعات الاستراتيجية (كالتكنولوجيا الحديثة) باعانة وتدخل قوى للدولة.

وتشير L.Tyson فى نفس الكتاب إلى أن السياسات التى اتبعها اليابانيون هى محل نقد البنك الدولى وصندوق النقد ، إلا أن هذه السياسات مكنت الاقتصاد اليابانى من تحقيق عديد من النجاحات على المستوى العالمى ، وتشير L.Tyson بالحرف الواحد «أن حرية التجارة والليبرالية بصفة عامة ليست السياسة المثلى».

هذه النظرة الجديدة لدور الدولة فى الاقتصاد قادت كذلك أعمال اللجنة المختصة بإعداد المخطط الحادى عشر (١٩٩٣-١٩٩٤) فى فرنسا ، فقد أشار التقرير النهائى لهذه اللجنة أن دور الدولة هام وإيجابى لتقوية القدرة التنافسية للاقتصاد الوطنى ، ومع نمو عولمة الاقتصاد فإن دور الدولة يزداد أهمية فى ضبط آليات السوق ودعم توازن الاقتصاد.. ومن هنا فإن الدولة تبقى المدافع الرئيسى عن المصالح الوطنية ولا يقتصر تدخل الدولة حسب هذه اللجنة على الجانب الاقتصادى ، بل يجب ان يشمل الجوانب الاجتماعية لتقوية النسيج الاجتماعى وبناء مشروعية الدولة الحديثة.

أما فيما يخص بلدان العالم الثالث، فقد أشارت دراسة جديدة للبنك الدولى إلى الدور الايجابى الذى لعبته الدولة فى نمو بلدان شرق آسيا والتى أصبح يطلق عليها اليوم تسمية البلدان المصنعة الجديدة-Alewly Indus trialiging Cauntries وقد أكدت هذه الدراسة ان بلدان كوريا الجنوبية وسنغافورة وتايوان لم تكن مثالاً فى الليبرالية كما حورها الخطاب الاقتصادى السائد بل لعبت الدولة فى هذه الاقتصاديات دورا أهم وأكبر من آليات السوق فى توزيع عناصر الإنتاج بين القطاعات الاقتصادية الكبرى»(٢).

هكذا إذن يشير الخطاب الليبرالى الجديد إلى دور الدولة فى بناء القدرة التنافسية للاقتصاد الوطنى ، كما يؤكد أن هذا الدور يجب ان يشمل الجانب الاجتماعى من خلال تحكيم المصالح المتناقضة وتقوية مشروعية الدولة،لكن وبالرغم من هيمنة الخطاب الليبرالى الجديد على كل الدوائر الاقتصادية فى البلدان الرأسمالية المتقدمة ، فإن الممارسة الاقتصادية فى بلدان الجنوب بقيت ، من خلال برامج التكيف الهيكلى ، مرتبطة بالخطاب الليبرالى القديم من خلال دعوتها وتأكيدها على ضرورة تحديد دور الدولة والتخفيض من تدخلها فى الديناميكية الاقتصادية.

فى الختام نؤكد أن هذا المقال ليس دعوة للاقتصاديين الليبراليين كى يتخلوا عن قناع التهم الايديولوجية ، بل هى دعوة كى تكون ممارستهم في ارتباط عضوى مع تطور فكرهم ، ولا يعقل أن يكون المدافعون عن التحديث والتطوير فى العالم فى وطننا العربى بصفة خاصة متأخرين ومتشبثين بأفكار وممارسات تجاوزها فكرهم ، لذلك نشير ، وفى الإشارة إفادة، أن الليبرالى الحقيقى اليوم هو المدافع عن دور الدولة الاستراتيجى فى الاقتصاد والمجتمع.



(١) ENDOGENOUS GROWTH THEORIES.

(٢) انظر: World Bank, the East Asian Mirach. Economic Gnowth and Public Policy- Oxford university Press, New York , 1993.



تذكر.. موجز لتاريخ الاتحاد السوفيتى (٢)

فى الذكرى ٧٧ لثورة أكتوبر الاشتراكية

فى العدد الماضى بدأت «اليسار» فى نشر نص كتاب المفكر الفرنسى «روجيه جارودى» عن الاتحاد السوفيتى السابق ، وقد تناول فى الفصول الثلاثة السابقة أوضاع روسيا القيصرية عشية الثورة ، ثم ثورة أكتوبر ١٩١٧، وأخيرا الغزو الأجنبى والحرب الأهلية.

وفى الفصول الثلاثة التى ننشرها على هذه الصفحات ، يشرح جارودى بموضوعية تجربة البناء الاشتراكى، والإنجازات الهائلة التى حققها الاتحاد السوفيتى فى ظل الخطة الخمسية الأولى ١٩٣٢، والخطة الخمسية الثانية ، وسياسة «النيب» وتخلى ستالين عنها ، والثمن الرهيب الذى دفعه الشعب الروسى فى ظل ستالين لكى يتحقق هذا الإنجاز ، ثم الحرب العالمية الثانية والتضحيات البشرية والمادية غير المسبوقة للشعب الروسى ونظامه الاشتراكى- رغم تآمر الحلفاء ضده- والانجازات التى تحققت بعد انتهاء الحرب وبسرعة فائقة.. وأيضا الثمن الذى دفع من أجل ذلك.

تأليف : روجيه جارودى

ترجمة: نورا أمين

الفصل الرابع

إعادة البناء.. والسياسة الإقتصادية الجديدة

خرجت روسيا الثورية مستنزفة فى نهاية السنوات الثلاث من النضال دون رحمة ضد الغزو ، ذلك [illegible] النضال الذى تلا الحرب القيصرية بفارق ثلاث سنوات وفور إحراز الانتصار المهلك للقـ[illegible]ـوى ، لم يعد العمال والفلاحون ، الذين قبلوا وقت المعركة أن يبذلوا أكبر التضحيات وأقصى الحرمان لمنع عودة الرأسمالية والملكية الإقطاعية للتراضى والطغيان القيصرى ، يستطيعون تحمل هذا التوتر اللاإنسانى وقت السلم.

هكذا اشتعل الشغب فى كرونستاد منذ فبراير ١٩٢١ ،وساعد عليه الغزاة المهزومون الذين كانوا يحلمون بالانتقام وكان من الضرورى إنهاء السياسة الاقتصادية الحربية فى البلاد كلها .ومنذ الرابع من فبراير عام ١٩٢١ ، كان **لينين** قد أعلن أمام عمال التعدين فى موسكو ما يلى : **«مو الفلاحون هذا الشتاء ، بموقف عصيب من السهل ان يفهم استياؤهم منه ، لذلك علينا أن نراجع العلاقات بين العمال والفلاحين ، «Lerine,Qeurest» ص١٢** ، أما حركات تمرد الفلاحين التى بدأت منذ صيف ١٩٢٠ فقد لعبت دوراً أكثر حسما من أحداث **كرونستاد** فى التحول إلى السياسة الاقتصادية الجديدة.

أخد لينين يضع الخطوط الرئيسية لـ «السياسة الاقتصادية الجديدة «النيب» التى تم تبنيها فى المؤتمر العاشر للحزب الشيوعى الروسى، فى مارس عام ١٩٢١، وذلك رغم مقاومة زعماء حزبه المتشددين. وحل محل تبرعات، الأهالى وقت الحرب ، ضريبة تتناسب طبيعتها مع موارد الفلاحين ولا تمثل عبئا على شديدى الفقر منهم . وبأداء هذه الضريبة أصبح المزارعون أحراراً فى بيع منتجاتهم فى السوق ، وقد حدث الشئ نفسه مع الصناعة الصغيرة فأصبحت التجارة الخاصة حرة. وتم تشجيع الجمعيات التعاونية الاستهلاكية تشجعيا كبيرا ، ووفقا لما قاله

لينين ، كان العنصر المحرك للاشتراكية شبكة من التعاونيات المدارة إدارة ذاتية والتى كانت على علاقات اتفاقية بالسلطة المركزية ، وكان على هذه الشبكة أن تصل فى المستقبل بين الصناعة الاشتراكية الكبيرة والاستغلال التجارى الريفى الصغير.

هنا أخذ المتشددون يصرخون معتبرين ما حدث تنازلا ، بل وعودة إلى الرأسمالية وانكار الاشتراكية ، فى حين كان لينين يسعى- خاصة من خلال النظام التعاونى الذى كرس لها المقال الاخير الذى كتبه فى الـ «برافدا» قبل وفاته بوقت قليل- نحو الطريق الرئيسى إلى الاشتراكية.

ورغم أن السياسة الاقتصادية الجديدة » كانت قد أقيمت فى فترة رهيبة من العوز والاضمحلال لشعب بأكمله ، إلا أنها تعد التجربة الأولى فى السعى إلى **التوافق والتوازن بين الخطة الاقتصادية الموضوعة والسوق** ، فمشكلة الاشتراكية الأساسية تكمن فى ايجاد توافق متجانس بين السوق والخطة الاقتصادية، والسوق يعتبر ضروريا لغرض احتياجات المستهلكين ، بل ضروريا أيضاً بوصفه مثيرا للمبادرات الانتاجية بواسطة المنافسة ، أما تدخل السلطة فى السوق بوضعها خطة اقتصادية ، فيمارس ثلاث وظائف متساوية الأهمية:

(١) منع السوق - اذا كان يعمل بلعبة المنافسة وحدها ودون قانون -من أن يؤدى ، من خلال ملاحظة نفسه إلى تركيز الثروة فى أيدى أقلية على حساب مصلحة الضعفاء ، تماما فى كل البلاد التى تطبق ما يطلق عليه «سياسة السوق» ، فحينما يكون السوق هو المتحكم الوحيد فى العلاقات الاجتماعية ، لا تكف الفجوة بين الأقلية المالكة والجماهير التى لا تملك سوى جانب ضعيف من الثروة الاجتماعية عن الاتساع.

(٢) العمل على تحقيق الحماية الاجتماعية لشديدى الفقر فى كل المجالات وفى مواجهة تركيز الثروة فى أيدى أقلية : وذلك على مستوى المرتبات والتأمين الاجتماعى والمسكن والصحة والتعليم والثقافة.

(٣) توجيه الاقتصاد القومى من خلال الخطة الاقتصادية بشكل يؤدى فى النهاية إلى تحقيق مفهوم ماركس للإنسان والذى يتلخص وفقا لتعريفه للاشتراكية فى أن «يستفيد كل رجل ، وكل إمرأة و كل طفل ، من الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية التى تسمح لكل من يحمل بداخله عبقرية رافاييل أو موتسارت باستخدامها كاملة» أى هذا المفهوم الذى ينبغى أن يستند إليه أى بناء اشتراكى ، وذلك على عكس مفهوم الإنسان الذى تستند إليه السياسة الاقتصادية التقليدية- دون أن تعلنه حتى ترحى بالموضوعية وبالضرورة العلمية- المؤسسة على بديهية أيديولوجية خاصة بتعريف الإنسان بوصفه فى الأساس منتجا ومستهلكا لا يحركه إلا مصلحته الشخصية ، مما يؤدى إلى وجود غابة من المصالح المتعارضة ، أو يؤدى إلى حرب الكل ضد الكل تحت مسميات «المنافسة» و«روح التسابق» أو «التبادل -الحر».

أما البحث عن طريق جديد لم يشهده التاريخ الإنسانى من قبل-ورسم لينين خطوطه الرئيسية فى «وصيته السياسية» بعنوان «عن التعاون» (برافدا يومى ٤و٦ يناير ١٩٢٣)- فقد تعرض للاضطراب قبل أن يختفى بفعل سبع سنوات من الحروب الخارجية والداخلية ومن الغزو الأجنبى ، دمرت أثناءها معظم المراكز الصناعية والزراعية الحيوية ، وبفعل وفاة لينين فيما بعد فى ٢١ يناير ١٩٢٤.

تصادفت السنة الأولى فى تطبيق «السياسة الاقتصادية الجديدة» مع جفاف رهيب اجتاح الأرض الروسية ، وكان يتعين أولا خلق مراكز مساعدة للجياع للوصول بأى ثمن إلى المخزون اللازم من الأغذية والأدوية، وأخذت منظمات عمالية وانسانية من العالم كله تنظم حملات لجمع التبرعات ، كما أعطى بعض رجال الثقافة نموذجا مشرفا أثناء هذه الأزمة ، مثل أناتول فرانس Anatole France الذى تبرع بالقيمة المالية لجائزة نوبل التى حصل عليها لصالح الجياع فى منطقة نهر الفولجا ، ومثل مكتشف القطب

لينين توافق بين السوق والتخطيط الاقتصادى

الجنوبى للكرة الأرضيـة ناتسن Natsn النرويجى الذى« نظم حملة تبرعات ضخمة وحتى فى الولايات المتحدة ، نظمت بعض الشخصيات الكريمة مساعدات لحالة الأزمة الطارئة منه ، أما الحكومة الأمريكية فظلت تتعامل مع المشكلات الانسانية بالطريقة نفسها التى اعتادت عليها (وتمثل الصومال نموذجا لهذه الطريقة) حيث ترى فى المساعدات أو المعونة وسيلة للتدخل السياسى تكلف به «المعونة الإدارية الامريكية» لذلك فقد كان ينبغى على الحكومة السوفيتية أن تتخلى عن هذا النوع من المساعدة.

ومع انتهاء هذه المآسى بالكاد ، توفى لينين فى بداية عام ١٩٢٤، وأخذ ستالين- الذى كان حتى هذه اللحظة سكرتيرا عاما للجنة المركزية للحزب الشيوعى بعد أن كان نائبا ممثلا فيها الشعب بقومياته المختلفة- يركز فى يديه سلطات واسعة فى كل مجالات البلاد ، من الاقتصاد إلى السياسة ، ومنالجيش إلى الثقافة.

من خلال مهامه المتعددة ، كشف ستالين عن مواهب تنظيمية وحظى بشعبية وصلت إلى درجة اللجنة المركزية، تعطيه القيادة متجاوزة بذلك الخوف من فكرة التسلط فى الحكم بسبب تجمع سلطات لا محدودة فى يدى فرد واحد بذلك الخوف الذى أدلى به لينين إلى اللجنة المركزية من قبل رغم اعترافه بمواهبه السياسية «الفذة».

الفصل الخامس
ستالين والتصنيع

فى هذه الأوضاع تناول الاتحاد السوفيتى مشكلات رفع الاقتصاد القومى ،أولها **مشكلة نقل البلاد إلى مرحلة التصنيع** التى تأخرت كثيرا وقت القياصرة ثم جاءت سنوات الحرب السبع لتقضى عليها.

لقد كان مستقبل الاشتراكية متوقفا على هذا التصنيع اللازم لتحديث الزراعة وميكنتها بهدف الوصول إلى الاستقلال الغذائى. كما كان لازما لتحسين أوضاع المعيشة الخاصة بسكان المدن، من ناحية المسكن والمواصلات عبر البلاد السوفيتية كلها، ولخلق صناعة تسليح- أصبح وجودها ضروريا بسبب محاصرة الدول التى تكن العداء للسوفيت- وكان يجب أن يتم ذلك كله دون معاونة من الخارج.

بدأ تطبيق الخطة الخمسية الأولى فى أكتوبر عام ١٩٢٨ ، وكانت هذه الخطة تعطى الأولوية إلى إنتاج الطاقة (الكهرباء والفحم) ، وإلى الصناعة الثقيلة ، وخاصة صناعة الصلب.

فى عام ١٩٣٢ ، كانت نتائج الخطة مدهشة ، للدرجة التى جعلت الجميع يعترف بنجاحها حتى فى الخارج ، فقد كتبت المجلة الامريكية Nation«أمة» فى نوفمبر ١٩٣٢ قائلة:

«أسفرت أربع سنوات من الخطة الخمسية عن انجازات تفوق العادة.. إن البلد تتغير إلى درجة يصعب معها التعرف عليها». أما المجلة البريطانية « Forward » «إلى الأمام» فقد اعترفت أنه «ينبغى العمل بطاقة لم يعرفها العالم حتى هذه اللحظة ، للوصول إلى نتائج كهذه».

زاد حجم الإنتاج الصناعى بنسبة ١٧٠٪ بالمقارنة بعام ١٩١٣ ، أما تصنيع الآلات الزراعية فوصل حجمه خمسة أضعاف ما تمعميم الملكية الانتقال من أسلوب موافقة الفلاحين الحرة إلى استخدام أسلوب الضغط بالقوة ، بل وبالعنف فى كثير من الأحيان ، هكذا تقهقرت السياسة من الاتفاق مع الشعب إلى الضغط عليه.

وظهرت أساليب تعميم الملكية .. بالقوة فى مجال التصنيع أيضا ، لكن بشكل مختلف عما حدث فى الريف.

ومما لا شك فيه أن الخطتين الخمسيتين الأولبيين قد حققتا-فى هذا المجال- إنجازات مدهشة ، فلم تحظ الزراعة بـ ١٢٠ ألف محراث فى الخطة الخمسية الأولى ، بل **تضاعف الإنتاج الصناعى بعد الخطة الخمسية الثانية عام ١٩٣٩ ، اثنتى عشرة مرة بالمقارنة بعام ١٩١٣ ، وبوصول روسيا إلى انتاج ١٥ مليون طن من زهر الحديد ، و١٨ مليون طن من الصلب ، ١٦٦ مليون طن من الفحم و٣١ مليون طن من البترول ، و٣ مليون طن من القطن ، أصبحت أول بلد صناعى فى أووربا والثانى فى العالم، بعد أن كانت قد تأخرت صناعيا وقت القياصرة.**

هكذا أيضا يمكننا أن نتساءل : بأية تكلفة إنسانية ؟

لقد نجح ستالين ومعه فريق من الأولياء له فى تحقيق هذا الإنجاز الضخم بناء على مركزية قصوى للسلطة تعتبر كل معارضة أو حتى نقد، بمثابة جريمة وخيانة لها.

هنا أخذت البيروقراطية التى وقعت تحت استعباد الخوف تقود قضايا- ما هى إلا رموزا للجرائم الشاملة -أدت فى النهاية إلى الحكم بالموت على منظرين شديدى الأهمية مثل بوخارين، ومثل القواد العسكريين الذين أثبتوا جدارتهم عقب ثورة أكتوبر ومنهم **الماريشال توخا تشفسكى** . وأدت هذه السياسة إلى انتحار مؤسسى الثورة مثل **أوروجونيكدز** أو إلى اغتيال **تروتسكى**.

إلى أى مدى وصل هذا «التطهير» إذن»؟ لا يستطيع أحد أن يحدد ذلك بأمانة ومع ذلك فقد قدر **إيزاك دوتشر** فى كتابه عن حياة ستالين ، المنشور عام ١٩٥٣ ، عدد الضحايا ببضعة عشرات من الآلاف ومن المحتمل أن يكون هذا العدد قد ارتفع كثيرا بعد تقرير **خروشتشيف** إلى المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى بالاتحاد السوفيتى عام ١٩٥٦ ،وذلك أن يصل إلى المستويات الكاذبة التى أعلنت عنها الدعاية الرسمية لورثة المروجين لصورة «الرجل ذى السكين بين أسنانه».

وعلى سبيل المثال فمن الصعب التمييز بين الوفيات الراجعة إلى التحول الزراعى والى التصنيع وتلك الراجعة إلى أسباب طبيعية ، فمن منا يستطيع تحديد- مثلا- عدد الفاقد الإنسانى الذى كلف إنجلترا لتتحول من زراعة القمح إلى صناعة الصوف، بما صاحب ذلك من عنف فى صورة «قوانين الاستحواذ» التى طردت الفلاحين من أراضيهم لتخلق صناعة كبيرة؟

من الأسهل جدا تحديد الثمن الذى دفعته إنجلترا وفرنسا فى القرن التاسع عشر للانتقال إلى مرحلة التصنيع، ويكفى أن نرجع إلى تقارير مفتشى الفابريقات فى انجلترا ، كما فعل كارل ماركس أما بالنسبة لفرنسا فتتوفر لدينا وثائق دامغة نجدها فى تحقيقات فيليرمى وبورى المشهورة التى تحمل لنا ارقاما مرعبة، فقد كشفت إحصاءات عام ١٨٣٧ **عن وصول عدد المصابين والعاجزين فى عشر مقاطعات صناعية إلى ٨٩٨٠ فرد من مجموع ١٠ آلاف فرد من المقيدين فى جداول**

الانتخابات، كما اجتاحت نسبة وفيات الأطفال البلاد ، حتى أشار الطبيب جاسى Gasset فى تقريره عن مدينة ليل Lille قائلا «فى ليل Lille يموت طفل من بين كل ثلاثة أطفال فى شارع رويال قبل أن يكمل عامه الخامس، وفى شارع ال. Etaques يصل عدد الوفيات إلى ٤٦ من بين كل ٤٨ مولوداً»من يستطيع بعد ذلك أن يتحدث عن المساواة فى مواجهة الموت! وفى نانت Nantes يفيدنا الطبيب جيبن Gue-pin بأن «العمال لا يربون ربع أطفالهم فى المتوسط بسبب الوفيات» عام ١٨٤٠ لخص تان Thaun رجل الصناعة مترتبات الغياب الكامل لأى تشريع خاص بالعمل فيما يلى: «إنهاك قوى الفرد البالغ من جراء أيام عمل طويلة للغاية ، هجر المرأة بيتها الأسرى، التحلل البطئ للرباط الأسرى ، الارتفاع المريع فى عدد المواليد المتوفين فور ولادتهم بين أطفال النساء العاملات بالمصانع ، انتشار مرض الكساح بين الطفولة العاملة»كما تنبأ بالانهيار السريع للصناعة ، بل وبموتها إذا لم تلق أى علاج ، بما أن منابع الأيدى العاملة قد عكرت .. لذلك انتهى الأمر برؤساء العمل أنفسهم وبالطبقات القائدة إلى تفضيل ترتيب الأعمال وتنفيذها فى الريف.

فى أكثر من مناسبة ، تحدث نواب فى الغرفة مطالبين الحكومة بحظر عمالة الأطفال أقل من خمس سنوات من العمر فى المناجم! وبخصوص الصناعة القطنية ، كشف أحد النواب عام ١٨٣٩ عن استخدام ١٥٠ ألف طفل- ممن تتراوح أعمارهم بين سن الخامسة والرابعة عشرة- فى العمل يوميا لمدة تتراوح بين أربع عشرة ساعة وسبع عشرة ساعة.

ظهر قانون فى ٢٢ مارس عام ١٨٤١ لينظم عمل الأطفال ، حيث صدر قرار بعدم قبول الاطفال أقل من ثمان سنوات للعمل بالمصانع أما الأطفال من سن ثمانية إلى اثنى عشر فلا ينبغى لهم العمل أكثر من ثمان ساعات ، وأولئك من سن الثانية عشرة إلى السادسة عشر لا يجوز لهم أن يعملوا أكثر من أثنتى عشرة ساعة ،وقوبل هذا القانون بمعارضة قوية حتى لم يتم التصويت عليه إلا بشرط ألا يكلف أى مفتش بالتحقق من تنفيذه ، حتى وصل الأمر إلى اختيار المصانع أنفسها المفتشين المستهترين المناسبين لها!.

من المهم إذن ألا ننسب إلى البناء الاشتراكى خسائر تسبب فيها المصنع بغض النظر عن النظام السياسى والحقبة التاريخية.



ستالين..
تركيز السلطات فى يديه

بل تزداد خسائره حينما يحاول المرء فرضه داخل وسط عدائى ومهدد له أما أولئك الذين يفضلون أن يتجاهلوا تلك المحن التاريخية، وأن يتظاهروا بالتغلب عليها بعبارات مثل: كان يجب أن .. لم يكن هناك سوى.. » فإليهم ما يلى على سبيل المثال:

.. قال ستالين فى خطبته عام ١٩٣٠ إلى المؤتمر السادس عشر للحزب البلشفى ، مشيرا إلى الفجوة التى كانت ما زالت تفصل بين الاتحاد السوفيتى والبلاد الأوروبية والأمريكية الكبرى (التى كانت تحمل كراهية لا تتزعزع للاتحاد السوفيتى) قائلا: **«علينا أن نعالج هذا التأخر خلال عشر سنوات وإلا تم القضاء علينا » فى ١٩٤١ غزا هتلر روسيا ، وربما لم تكن روسيا ، بل والعالم كله، يعرفون ماذا يفعلون فى هذا الموقف إذا لم يكن ستالين قد أعطى هذه النصيحة النيرة التى لم يكن هناك غنى عنها** ، فقد تنبأت الخطة بإنتاج عشرة ملايين طن من الحديد حتى عام ١٩٣٣ ، وأوضح ستالين «أننا فى حاجة إلى ١٧ مليون طن حتى عام ١٩٣٢ » فى الواقع ، لم يتم الوصول إلى هذا الهدف ، إلا فى عام ١٩٤١ ، حيث كان ذلك ضروريا وقتها.

ماذا كان سيحدث – إذن- للعالم كله إذا لم يكن الاتحاد السوفيتى فى حالة مكنته من مقاومة آلة الحرب الهتلرية الرهيبة ، تلك الآلة التى تحملت همها كله ثلاث سنوات ، ثم قضت عليها قبل حتى أن تشترك قوى الغرب فى هذا الحدث؟

الفصل السادس

الحرب العالمية الثانية

من اللازم أن نعيد النظر فى حقيقة موقف دول العالم من القضاء على النازية أثناء الحرب العالمية الثانية، خاصة وهذه الحقيقة مهمة جدا للأجيال التى لم تعش هذه المأساة رغم تناولها المتكرر من قبل الدعاية الإعلامية بل وفى الكتب المدرسية.

أدت معاهدة فرساى المبرمة بعد الحرب العالمية الأولى (والتى جعلت حياة الشعب الألمانى مستحيلة بسبب شروطها القاسية)، ومن بعدها أزمة العالم الرأسمالى الكبرى التى بدأت منذ عام ١٩٢٩ فى الولايات المتحدة (والتى أثرت أكثر ما أثرت على ألمانيا بما فيها من خمسة ملايين وستمائة عاطل ، إلى ظهور هتلر ؛ فقد اختاره الشعب الألمانى فى استفتاء عام أثناء إنتخابات ٣٠ يناير عام ١٩٣٣ ليصبح مستشارا، وذلك بعد أن وعد بحل مشكلة البطالة وبإعادة العظمة المفقودة إلى ألمانيا المهانة.

وفى الواقع إن **هتلر امتص مشكلة البطالة من خلال سياسة التسليح والتجهيز الحربى المبالغ فيهما**، وبمجرد أن وجد تحت يديه قوة عسكرية هامة، بدأ فى إعادة بناء «ألمانيا العظمى» بمراجعة معاهدة فرساى ، وكان أول نجاح أحرزه هو إعادة احتلال الرينانى ، أمام سولينى زعيم إيطاليا الفاشية ، والذى أصبح حليفا لهتلر ، فقد شجعه النموذج الهتلرى حتى غزا أثيوبيا عام ١٩٣٥ دون أن توقع عليه «عصبة الأمم» أية جزاءات فعالة. وفى عام ١٩٣٦، ساعد الفاشيون الألمان والايطاليون الجنرال المتمرد «فرانكو»لينتصر على أسبانيا الجمهورية التى رفضت إنجلترا وفرنسا مساعدتها بحجة سياسة عدم التدخل «التى انتهكها هتلر وموسولينى على الملأ».

فى مارس عام ١٩٣٨ ، دخل هتلر النمسا . وبدلا من أن يمارس القادة الإنجليز والفرنسيون معه سياسة مقاومة الفاشية بما تجره من عدوان ، طبقوا معه طواعية «ميثاق الأربعة» الذى وقعت عليه ألمانيا وإيطاليا وبريطانيا العظمى وفرنسا عام ١٩٣٣ ، ومن بعده كونت إنجلترا وفرنسا وإيطاليا «جبهة ستريسا» بناء على اتفاقية إنجليزية ..ألمانيا عام ١٩٣٥ .

أما الاتحاد السوفيتي الذي اقترح هباء بعد وصول هتلر إلى السلطة بأسبوع ، في المؤتمر الدولي لنزع السلاح، مشروعا للرد المشترك على أي عدوان خارجي ، فوجد نفسه مهددا في الشرق الأقصى من اليابان التي احتلت مانشوريا عام ١٩٣١ وأخذت تضاعف من غاراتها على الأراضي السوفيتية ومع ذلك ، نجح الجيش الأحمر في رد القوات اليابانية إلى منطقة بحيرة خاسان، إلا أن الجيش الياباني دخل منغوليا في مايو ١٩٣٩، ولكن ، وبفضل الميثاق السوفيتي -المنغولي-، حاصر الجيش السوفيتي اليابانيين وأبادهم في نهاية شهر أغسطس ، وفقد الطيران الياباني ٦٠٠ طائرة أثناء العمليات الجوية التي تجاوزت مستوى المناورة الحربية.

وبعد التشجيع الذي منحته القوى الغربية للعدوان الهتلري ، أصبح الاتحاد السوفيتي مهددا من الشرق والغرب بحرب في الجبهتين ، في الوقت نفسه كانت آلة الحرب الهتلرية تتلقى إمدادات هائلة من البلاد الغربية.

في أكتوبر عام ١٩٣٦ ، توصل **فون شاخت** وزير الاقتصاد الهتلري إلى اتفاقية مع القادة الفرنسيين لتوريد الحديد الخام حتى عام ١٩٣٨ مقابل ٣ مليار مارك ونصف كل سنة.

وزادت نسبة تصدير البوكسيت إلى ألمانيا خمسة أضعاف ، مما سمح لكبرى المصانع الألمانية بإحتلال المركز الأول في العالم لصناعة الألومنيوم ، وأخذت الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى تبيعان إلى اليابان الحديد الخام والبترول ومواد أخرى ، بل إن **الولايات المتحدة كانت تلعب الدور الرئيسي في تمويل المعتدين، لدرجة أن قيمة استثمارات رؤوس الأموال الأمريكية في الشركات الألمانية وصلت إلى مليار دولار دون أخذ القروض في الاعتبار.**

حينما وجدت **تشيكوسلوفاكيا** نفسها مهددة بالغزو الألماني ، أعلن الاتحاد السوفيتي عن استعداده ليوفي التزاماتها المنصوص عليها في معاهدة ١٩٣٥ ، أي ان ينقذها بشرط أن تساعده فرنسا أيضا ،وطالبت الحكومة السوفيتية بسرعة عقد اجتماع لزعماء الدول الكبرى، أي الاتحاد السوفيتي وفرنسا وتشيكوسلوفاكيا ، بل أنه قد تم ابلاغ تشيكوسلوفاكيا في مناسبتين مختلفتين في شهر سبتمبر بإستعداد الاتحاد السوفيتي لمساعدتها حتى لو رفضت فرنسا التدخل.

أدارت فرنسا وجهها عن مقترحات الاتحاد السوفيتي كلها ، ولم تقرر الحكومة التشيكوسلوفاكية -وهي أداة ضغط قوية في يد الدبلوماسية الانجليزية- الفرنسية- قبول المساعدة العسكرية من الاتحاد السوفيتي كما لم تقرر دعوة الجيش والشعب إلى المقاومة.

في ٢٠ سبتمبر ، وصل **شامبرلين ودالاديه وموسوليني إلى ميونيخ** لمقابلة **هتلر** ، حيث تم تقرير مصير تشيكوسلوفاكيا في بضع ساعات، وأصبح لزاما عليها **تسليم منطقة السوديت SUDETES إلى الهتلريين.**

هكذا تخلت «الديمقراطيات الغربية» عن خطط الأمن الجماعي في أوروبا الشرقية عامي ١٩٣٣-١٩٣٤- للتحول إلى التعاون المعلن مع المعتدي، في هذه الفترة، وجد زعماء بريطانيا العظمى وفرنسا المعسكر الهتلري في الشرق يتزايد بشكل مهدد لهم ، وقد كتب كولوندر COULONDRE سفير فرنسا في برلين في تقريره إلى الحكومة يوم ١٥ ديسمبر عام ١٩٣٨، ما يلي : «إن الآلية الألمانية لا تتوقف أمام أية صعوبة ، بل إن الأوساط العسكرية الألمانية بدأت من الآن تتحدث عن نزهة ما إلى القوقاز وباكو» وفي ١٥ مارس، احتل الهتلريون تشيكوسلوفاكيا وفي ٢١ مارس طالبوا بولونيا بإعادة دانتزيج إلى ألمانيا ، في اليوم التالي دخلت القوات الألمانية منطقة كليبدا الليتوانية، وفي نهاية الشهر نفسه، تمت تصفية نضال الشعب الأسباني -الذي دام ثلاث سنوات- ضد فرانكو بانتصاره -بعد ذلك ببضعة أيام استولت قوات موسوليني على ألبانيا.

ورغم أن سياسة حكومتي بريطانيا العظمى وفرنسا كانت تحبذ اتجاه شهية هتلر نحو الشرق ، إلا أنهما أصبح على يقين من أن هتلر إذا انتصر على الاتحاد السوفيتي لن يستطيع أي شئ أن يقف بينه وبين سيطرته الكاملة على أوروبا ، هكذا قررت بريطانيا العظمى وفرنسا- تحت ضغط الرأي العام الفرنسي والانجليزي- قبول المحادثات التي اقترحها الاتحاد السوفيتي في ١٧ ابريل ١٩٣٩بهدف الوصول إلى ميثاق ثلاثي للتعاون المتبادل، وفي ٢٣ يوليو اقترحت الحكومة السوفيتية اجتماع الممثلين العسكريين للقوى الثلاثة لصياغة الإجراءات الملموسة لهذا التعاون المتبادل ، ورغم أهمية الإسراع بالأمر ، لم تصل الوفود الإنجليزية والفرنسية إلى موسكو إلا في ١١أغسطس ودون إعلان مسبق.

في هذه الأثناء ، ألقى رئيس الوزراء الإنجليزي **شامبرلين** يوم ٢٤ يوليو ١٩٣٩ بياناً في غرفة السلطة التشريعية بالبرلمان، أوضح فيه أن محادثات وزير التجارة الخارجية البريطاني **هارسون،** في لندن يوم ٢٠ يوليو، قد تنبأت بمنح ألمانيا قرضا تبلغ قيمته مليار جنيه استرليني.

أثناء المحادثات العسكرية في موسكو ، لاحظ الوفد السوفيتي أنه لكي يواجه العدوان الهتلري بشكل فعال، سوف يتعين على بولونيا ورومانيا -حليفي بريطانيا العظمى وفرنسا- أن يسمحا لقواته بالعبور من أراضيهما ، بما أنه لا توجد حدود مشتركة بين الاتحاد السوفيتي وألمانيا ، وفي الواقع أن بولونيا ورومانيا لم ترحبا بتحقيق هذا الشرط الأولى للتعاون العسكري، وأصبح من الواضح أن سياسة ميونخ سوف تستمر ، وأن قوات هتلر كلها يمكنها أن تهجم على الاتحاد السوفيتي دون أن تقدم بريطانيا وفرنسا أية مساعدة لروسيا ، في ٢٣ أغسطس ١٩٣٩ ، وبعد أن اقترح هتلر على الاتحاد السوفيتي ميثاقا بعدم الاعتداء،وقع الاتحاد السوفيتي عليه على اعتبار أن ذلك هو الرد الوحيد الممكن على سياسة ميونيخ ، والوسيلة الوحيدة لرد عدوانها.

أخذ الزعماء السياسيون أنفسهم الذين **تعاهدا مع هتلر على تسليمه** تشيكوسلوفاكيا ، يصرخون من الفضيحة والخيانة التي ارتكبها الاتحاد السوفيتي حينما

تروتسكي .. الاغتيال



اضطر لتوقيع ميثاق مع ألمانيا.

بعد أن غزا هتلر بولونيا أول سبتمبر وانهارت الحكومة البولونية، أخذت القوات السوفيتية تتقدم حتى وصلت إلى خط كورزون (الحد الفاصل بين روسيا وبولونيا، والذى اقترحه لورد كورزون عام ١٩١٨)، وهكذا تم إيقاف التقدم الألمانى فى الشرق مؤقتا. أما فى الغرب، فقد أعلنت بريطانيا العظمى وفرنسا الحرب على ألمانيا فى ٣ سبتمبر، وفى ٣٠ نوفمبر، أوقفت فنلندا محادثاتها للالتزام بسياسة الاتحاد السوفيتى، وأعلنت الحرب عليه تحت ضغط من القوى الغربية التى وعدتها بمساندتها، **وبالفعل، سلمت حكومتا فرنسا- وإنجلترا- اللتان لم تتحركا من الجبهة الألمانية حتى إطلق على هذه الحرب «حرب فكاهية» لأنها لم تحدث- فنلندا طائرات ومدافع، كما أخذتا فى إعداد كيان عسكرى فى شكل حملة إنجليزية فرنسية إلى فنلندا.**

واقترحت الولايات المتحدة إرسال قروض إلى فنلندا بل أن «نيويورك تايمز» تنبأت فى ٣٠ ديسمبر ١٩٣٩، بأن الحرب السوفيتية -الفنلندية- يمكنها بسهولة أن تخلق جبهة متحدة ضد الاتحاد السوفيتى، وفى الواقع، أرسل موسولينى أيضا إمداداته إلى فنلندا وبعد ثلاثة شهور من انتهاء حرب فنلندا- (فى ١٢ مارس ١٩٤٠) التى لم تنجح فى وضع وجود الاتحاد السوفيتى فى خطر، غزا هتلر فى ٢٢ يونيو ١٩٤١، دون أى إعلان للحرب، حيث كان يظن أن **سياسة الحرب الصاعقة»** سوف تنجح فى موسكو مثلما نجحت فى فرنسا، وتجعله يدخل لينينجراد وكييف قبل حلول الشتاء وبالفعل، أحرز فى البداية نجاحات مذهلة، ففى شهر ديسمبر كانت جيوشه على أبواب موسكو بعد أن دمرت، أثناء زحفها العدوانى ١٢٠٠ طائرة سوفيتية و ٦٦ مطاراً حربياً، وبعد أن استولت على ٣٠٠٠ مدفع حربى وعلى جزء كبير من مخزون الأسلحة بداية من منطقة الحدود.

وبما أن موسكو فى الوسط، ولينينجراد فى الشمال وكييف فى الجنوب، فقد كن مهددات باعتبارهن أكبر ثلاثة محاور للاعتداء الألمانى.

لم يؤد الزحف السريع للجيوش الهتلرية إلى تشتيت التجهيز العسكرى السوفيتى للدفاع عن الحدود فحسب بل حرم **الاتحاد السوفيتى من أفضل أراضيه الزراعية ومن مراكزه الصناعية الأكثر إنتاجا**، ومع ذلك لم يصل هتلر إلى الأهداف المحددة لمعسكره قبل الشتاء لأنه استهان فى تقدير المقاومة الداخلية للشعب السوفيتى، فقد ظن بعد تجربة الانتصار على فرنسا، وبعد الهزائم العسكرية القاسية التى كبدها للاتحاد السوفيتى، أن النظام سوف ينهار دون مساندة شعبية.

لكن الرياح لم تأت بما تشتهى السفن، أولا لأن القوات السوفيتية رغم الحصار ورغم فقدها عديد من أعضائها، لم تستسلم وأخذت تكّون مراكز مقاومة لتعطيل تقدم الزحف الألمانى، هكذا استطاعت حامية **برست ليتوفسك** -أن تقاوم لمدة شهر تحت الحصار، ولم يتم الاستيلاء على الحصن الا بقتل المدافعين عنه، كما ظلت كييف تقاوم مدة ٨٣ يوما الهجمات الهتلرية التى استولت فى النهاية، على المدينة يوم ١٩ سبتمبر بعد أن فقدت ١٠٠ ألف من رجالها، أما **لينينجراد** فلم يستطع أحد التمكن منها، ورغم خضوع سكانها، وعددهم ٢ مليون ونصف نسمة، للحصار الاقتصادى الهتلرى منذ خريف عام ١٩٤١، وانقطاع اتصالهم بالخارج إلا عن طريق بحيرة لادوجا، ورغم تعرض المدينة بالكامل للمجاعة وللقذائف الجوية لمدة ٨٧٠ يوما، فلم يترك أهالى لينينجراد العدو يدخل مدينة لينن، مهد ثورة أكتوبر، ولم تتحرر لينينجراد من الحصار الاقتصادى الا فى ٢٧ يناير عام ١٩٤٤، وكّون الأهالى وراء مؤخرة الجيش الألمانى فصائل من المؤيدين من بقايا الوحدات العسكرية المهزومة قامت بمضايقة قوات الاحتلال من خلال عمليات إغارة صغيرة، مثل قطع الكبارى، وتدمير الشبكات التليفونية وحرق مخزون الأغذية أو المؤن، وقطع الطريق على القطارات فى موسكو، كانت هناك حالة تعبئة عامة للشعب لإرتجال نظام دفاعى ما يحول المدينة إلى حصن لا يمكن للهتلريين الاستيلاء عليه.

تقول «موسوعة أونيفرساليس LE'ncyclopedie Univsalis **أن الحرب كانت بمثابة اختبار لصلابة الاتحاد والنظام، ولم يلق التعاون مع المحتل إلا قدراً ضئيلا من الترحيب، باستثناء بلاد البلطيق.. وتشهد أهمية حرب المؤيدين.. وراء مؤخرة العدو، والمستندة إلى الشعب، على مشاعر الارتباط بالوطن السوفيتى.. هكذا لم يهتز النظام.**

ويعد عام ١٩٤١ فى نظر الشعب السوفيتى بمثابة «العام الرهيب»، حيث استمر زحف الجيش الهتلرى إلى الأمام ولكى تتم مقاومة الغزو وضع اقتصاد البلد بالكامل لخدمة الحرب من خلال تحول صناعى ضخم، **فتحولت مصانع كانت تصنع المحاريث، إلى صناعة المدافع الحربية، كما تحولت مصانع المعادن إلى إنتاج مزيج المعادن اللازمة للمصفحات وللمدافع أما مصانع الآلات الزراعية فتحولت إلى إنتاج مدافع الهاون وتم إخلاء المصانع الكبيرة فى موسكو ولينينجراد وخاركوف وأوديسيا، مع غيرها من المراكز الصناعية فى الاتحاد السوفيتى خاصة تلك الواقعة فى الأورال فى سيبريا، وفى جمهوريات آسيا الوسطى.**

فى خلال عام واحد تحول الاتحاد السوفيتى إلى معكسر مقسم، وعاد الإنتاج الصناعى بعد تحوله- لخدمة اغراض الحرب- إلى مستواه السابق قبل الحرب ولم تكن هذه النتيجة الفائقة لتتحقق لولا تعبئة الطاقات الشعبية كلها، تلك التعبئة التى جاءت طواعية منهم لأن الدولة لم تتوفر لها وسائل قمع أو إكراه لتجبر هذا العدد الضخم من الجماهير على العمل، سواء كان ذلك فى الأراضى المحتلة أو فى المناطق التى كانت حرة.

فى نوفمبر عام ١٩٤٢، نجح الجيش السوفيتى فى التحول من الدفاع إلى الهجوم بفضل إخلاص جماهير الشعب بأكمله وبفضل اللجوء إلى اقتصاد الحرب، وفى البداية، قامت ثلاث فرق من الجيش السوفيتى بمحاصرة القوات النازية -منذ ٢٣ نوفمبر ١٩٤٢- التى كانت تحتل ستالينجراد وذلك فى المنطقة بين الفولجا ودون،حيث شملت الفصائل النازية ٣٣٠ ألف رجل. وبعد معارك حامية، انتهت بالاستيلاء على ستالينجراد بأكملها، أجبر الماريشال فون بولوس Von poulus على تسليم المدينة فى ٢ فبراير عام ١٩٤٣، بعد أن

ضحى بـ ١٤٧ ألفاً من جنوده الذين قتلوا او بـ ٩١ ألفا ممن سجنوا (وبينهم ٢٢ جنرالاً عسكرياً).

ويشير هذا النصر غير المسبوق على مدى التاريخ إلى نقطة تحول جذرية فيما يتعلق بالحرب العالمية الثانية ، فقد دمرت سمعة الجيش الهتلري- سيد أوروبا كلها- الذى كان يعتبر نفسه جيشا لا يقهر.

من هذه اللحظة فصاعدا ، أصبح الاتحاد السوفيتى يمتلك زمام الأمور ، وأخذ يسترد المدن التى فقدت قبل ذلك بعام، رغم جهود الجيش الألمانى الهائلة.

ويعد النصر الثانى الحاسم، بعد نصر **ستالينجراد** وهو النصر فى معركة **كورسك** التى استمرت من يوم ٥ يوليو عام ١٩٤٠ إلى ١٣ أغسطس عام ١٩٤٣، وقد أعد هذا النصر الجيش السوفيتى ليصل بهجومه الكبير إلى ما وراء الحدود. محررا **رومانيا ومن بعدها بلغاريا والمجر ويوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا، بل وجمهوريات البلطيق فى الشمال من السيطرة الهتلرية.** وفى النهاية، دخل الجيش السوفيتى ألمانيا نفسها حيث جمع هتلر معظم قواته على الجبهة الشرقية، حتي انه من بين ٢٧٤ فرقة فى الجيش الألمانى ، كانت هناك ٢٠٤ فرقة تواجه الاتحاد السوفيتى.

أما الاتحاد السوفيتى فكان يستعد لهجمته الأخيرة لتحرير بولندا والزحف نحو ڤيينا وبرلين ، وقد تم تعديل هذا المخطط وفقا **لطلبونسعون تشرشل** بهدف إنقاذ القوات الأمريكية على الجبهة الغربية.

ومنذ نهاية عام ١٩٤١ تكون فعليا التحالف المضاد لهتلر، من دول **الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وبريطانيا العظمى، بل وفرنسا** التى نجحت بقيادة **الجنرال دى جول** ، ورغم الاحتلال فى الحفاظ على مكانها داخل هذا التحالف، حتى كانت الوحيدة التى أرسلت إلى موسوكو فرقة بحرية صغيرة ومن بعدها الفرقة العسكرية **«نورماندى -نيمين-»** لكى تحاربا فى صفوف السوفيت على الجبهة الشرقية.

لكن على الرغم من تلك الجهود ، ومن جهود المقاومة فى الأراضى الفرنسية ، لم تفتح جبهة ثانية فى شرق فرنسا وجنوبها إلا بعد ذلك بمدة طويلة ، حين رسى هناك الأسطول الانجليزى -الفرنسى- الأمريكى فى يونيو عام ١٩٤٤ **ويعكس هذا التلكؤ سلوك عدد كبير من الساسة الغربيين** ، ذلك السلوك الذي عبر عنه السناتور الأمريكى **ترومان Truman** (الذى أصبح فيما بعد، رئيسا للولايات المتحدة) بطريقة تهكمية قائلا:**«إذا كنا نرى أن الغلبة الآن لألمانيا فعلينا أن نساعدها حتى يستعر القتال أكثر وأكثر»** هكذا صاغ ترومان المنهج الذى عممه الزعماء الأمريكيون فى العالم كله حتى يصلوا إلى الهيمنة عليه ،لكن جاءت اللحظة التى أملت فيها العلاقات بين القوى الدولية بتكوين جبهة أخرى مع الاتحاد السوفيتى لتتفادى خطر زحف الجيش الأحمر على أوروبا بأكملها وصولا إلى المحيط الاطلنطى. ومن ٢٨ نوفمبر إلى أول ديسمبر عام ١٩٤٣، عقد فى **طهران** مؤتمر للحلفاء تعهدت خلاله حكومتا أمريكا وبريطانيا بتنظيم أسطول يصل إلى شمال فرنسا وجنوبها قبل أول مايو ١٩٤٤، وبالفعل حدث ما تعهدا به اثناء الزمن المحدد لذلك أما هتلر الذى قام بتعبئة طبقات جديدة للحرب فى الفترة الأخيرة فقد أصبح يتوفر لديه ٣١٥ فرقة عسكرية وعشرة ألوية.

خلال ثلاث سنوات ، تحمل الاتحاد السوفيتى وحده عبء الهجمات الأرضية للنازيين، ومع رسو الاساطيل فى غرب أوروبا ، ظلت الجبهة السوفيتية -الألمانية الساحة الرئيسية للقتال أثناء الحرب العالمية الثانية. ومن بين ٣١٥ فرقة عسكرية وعشرة ألوية توفرت لدى الجيش النازى، تجمعت ١٩٨ فرقة وستة ألوية على الجبهة الشرقية منذ بداية عام ١٩٤٤. بالاضافة إلى ذلك ، كانت هناك ٣٨ فرقة و١٨ لواء من أعوان ألمانيا داخل أراضى الاتحاد السوفيتى، أما الفرق التى كانت فى مواجهة القوات الأمريكية البريطانية فى إيطاليا فلم يتجاوز عددها ١٩ فرقة ولواء واحد، أى ٦٪ من مجموع قوات ألمانيا ، ولم تحتفظ القيادة


خرتشوف.. تقرير إلى المؤتمر العشرين

الألمانية فى فرنسا وهولندا وبلجيكا والنرويج ، إلا بـ ٦٤ فرقة عسكرية ولواء واحد، أى ما يعادل ٢٠٪ من جيشها.

ولقى وصول أسطول التحالف إلى الشواطئ الفرنسية فى نورماندى، يوم ٦ يونيو عام ١٩٤٤، نجاحا كبيرا، وسارت الأمور فى سرعة جعلت باريس الثائرة تتحرر وحدها قبل وصول جيش الحلفاء ، حتى استسلم حاكم المدينة الألمانى فون شولتيتز للمحاربين الفرنسيين، وأخذ جيش الحلفاء، الذى ضم وحدات فرنسية قوية ومتحمسة تحت قيادة الجنرالات كوينج ولاتر وتاسيينى ولوكليرك ومونسابار يتقدم ، دون توقف حتى تجاوز ستراسبورج فى اتجاه برشتسجادن، حيث كان يقيم هتلر.

ويختلف الأمر فيما حدث مع الجيش الانجليزى -الامريكى الذى عبر شمال فرنسا، ففى ١٦ ديسمبر عام ١٩٤٤، ردت القوات النازية على جيش التحالف بهجومها على آربين، حيث قلبت القوات الامريكية رأسا على عقب وبدأت فى تعقبها نحو البحر متتبعة تراجعها ، ووفقا لشهادة الجنرال الألمانى جوديريان فإن هتلر كان يتوقع أن يكسب وقتا هكذا ليدمر آمال خصومه فى تحقيق نصر كامل، وليجبرهم على التخلى عن مطلبهم فى استسلامه غير المشروط بل ليجبرهم أيضا على توقيع معاهدة سلام منفصلة معه.

ثم التمس رئيس الوزراء البريطانى تشرشل المساعدة العاجلة من حكومة الاتحاد السوفيتى، فقد خلت قيادته لانهاء الهجوم فى ١٢ يناير رغم عدم ملاءمة الجو لعمليات الطيران والقصف الجوى.

وهكذا أجبرت القيادة الألمانية على تحويل أكثر فرقها العسكرية حنكه وتدريبا من الجبهة الغربية إلى الجبهة الشرقية بأسرع ما يمكن، مما يسمح لقوات التحالف بالتقدم من جديد دون أن تقابل أية مقاومة تذكر ، وفشل هجوم هتلر المضاد الذى كان يفترض فيه إظهار قوة هتلر إلى الانجليز والأمريكان بهدف حثهما علي توقيع معاهدة سلام منفصلة معه.

فى هذه المرحلة الأخيرة من الحرب أخذت مقاومة الهتلريين فى الغرب تخفت، حيث فضلوا غزو القوى الغربية عن غزو السوفيت المتدفقين نحو الشرق والذين دافع الهتلريون عن مواقعهم ضدهم بحماس ملتهب ، وخلف المواقع المجهزة تجهيزا شديدا فيما وراء الأودر ونياس (Neisse) والتى كان يتعين على الجيوش السوفيتية تدميرها واحدة تلو الاخرى مقابل خسائر رهيبة كانت برلين تبدو حصنا منيعا، حيث اعدت ثلاثة صفوف مركزة لتحصينها ، كما اعدت المدينة نفسها مقاومة داخلية حامية.

ووصل عدد جنود الجيش الألمانى الذى كان يحمى برلين إلى ما يقرب من مليون رجل ، كما شمل ٨ آلاف مدفع حربي بما فيهم من مدافع الهاون ،و ١٢٠٠ مركبة حربية بمدافعها، و٣٣٠٠ طائرات أما القيادة السوفيتية فركزت عدتها فى ١٠ آلاف مدفع و٦٣٠٠ مركبة حربية ومدافع إطلاق ذاتى و ٧٣٠٠ طائرة.

بدأ الهجوم على برلين يوم ١٦ أبريل واستمر حتى ٢ مايو بدلاً من إيقاف المقاومة التى باتت غير ذات فائدة استمر الهتلريون فى القاء قواتهم وسط معارك الشوارع ،وتم وضع ملصق يحمل أوامر هتلر التالية على جدران برلين: يعتبر أى من يقترح إجراءات تضعف قوة المقاومة أو يوافق عليها فحسب خائنا، وسوف يتم إعدامه فورا رميا بالرصاص اوشنقا وحين أبت القيادة النازية الاستجابة لانذار التسليم اندفعت القوات السوفيتية على برلين ، وخلال عشرة أيام كان على المحاربين السوفييت أن يهجموا على كل حى، وعلى كل شارع ، ويستولوا عليه زاحفين فى عدة اتجاهات- فى وقت واحد- نحو قلب المدينة ليلتقوا بقيادة الرايخ- بعد ذلك بساعة واحدة انتحر هتلر بتناول السم: كما انتحر جوبيلزGoebles بعد ان أعطى السم إلى زوجته وأطفاله وفى ١٢ أبريل عام ١٩٤٥ ، سلمت حامية برلين نفسها.

أثناء حصار برلين -ودون أن يكون لتلك الغارات الجوية الذابحة أية فائدة عسكرية بما انها تقع خلف صفوف المعركة -قصف الطيران الامريكى المراكز الصناعية الكبيرة التى شكلت فيما بعد منطقة الاحتلال السوفيتى، أى الهال Halle ودوسوDeaaeou ، وخاصة درسدDrosde حيث أدى القصف

١٧٠ ألف قتيل من الاهالى.

خرج الاتحاد السوفيتى من الحرب العالمية الثانية منتصرا ، تلك الحرب التى دفع فيها القدر الأكبر من البطولة والتضحية ومع أن الولايات المتحدة قد أرسلت إليه ١٢٠ ألفا من الطائرات (وفقا لما اعلنه الأمريكان) خلال الحرب ، إلا أن هتلر كان فى الفترة نفسها قد صنع ٨٠ ألف طائرة، كما صنع السوفييت ١٢٠ ألفا. وفقد الجيش الأمريكى الذي تدخل فى المرحلة الأخيرة من الحرب ٢٠٠ ألف جندى، فى حين فقد الاتحاد السوفيتى ٢٠ مليون ما بين جنود ومدنيين.

وشملت إعادة البناء التى قام بها الاتحاد السوفيتى لإصلاح خسائره، وما تهدم به ، ملايين من المتطوعين تماما كما حدث أثناء مقاومة الغزو ، وتراوحت هذه الخسائر بين مناجم دومباس Dombass التى أغرقها الهتلريون وبين السكك الحديدية التى دمرت ، والسنترالات والخطوط الكهربائية التى قطعت وبين مدن لينتجراد التى تحولت إلى اطلال بل والي مقبرة شاسعة وكييف التى محيت تقريبا ، وستالينجراد التى تهدمت.

فى نهاية عام ١٩٤٧ ، أي بعد عامين من نهاية العدوان وصل الإنتاج إلى مستواه نفسه قبل الحرب ، واستمر التقدم السوفيتى الخارق. وراحت أعمال البناء والحفر تغطى البلد كلها حتى سيبيريا ، ومن كازاخستان إلى بايكال فى الشمال ، ومثال ذلك السدود الكبيرة فى أنجارا وأينيسى ، أو فى الجنوب حيث تم حفر قناة بين الفولجا ودون وأقيم سنترال كارخوفا على الدنيبر.

فى المؤتمر التاسع عشر للحزب الشيوعى بالاتحاد السوفيتى، ألقى مالنكوف مقرر اللجنة المركزية بيانا يضم تلك الانجازات التى لم يشك فيها ولا فى عظمتها ، متجاهلا بذلك أى نقد لنتائجها أو لسلبياتها وللأساليب الديكتاتورية والبيروقراطية التى استخدمها القادة بشكل مطرد لتحقيقها فى خضم السعادة البالغة بالنصر ويتقدم جماهير الشعب الفقيرة نسب كل النجاح الذى حققه الشعب الي ستالين وحده ، ودون أى نقد لما قام به.

النموذج السوفيتي والاشتراكية (٤)

الملكية الاشتراكية

د. خليل حسن خليل

من بين الأفكار، التى قلنا إن الفكر الاشتراكى يستند إليها فى بنائه النظرى والتطبيقى فكرة المادية التاريخية، وفكرة الملكية العامة لوسائل الإنتاج، المقابلة للملكية الخاصة، التى تعتبر حجر الزاوية فى الفكر الرأسمالى.

ولما كانت الفكرة الأولى، فكرة فلسفية، وقد أثارت، ولا تزال تثير، جدلا حادا حول علاقة الاشتراكية بالأديان. وقد استغلت القوى الرأسمالية والرجعية هذه الفكرة، وحاربت الاشتراكية من خلالها، لذلك، فهى تتطلب منا مقالة مستقلة، حتى نتبين الصورة الحقيقية للعلاقة بين الاشتراكية والدين. فهناك خلط كبير حول هذا الموضوع، وعلى ذلك سنركز فى هذه المقالة على الفكرة الثانية، وهى الملكية.

سوف لا نخوض فى تتبع الملكية منذ نشأة الإنسان على هذه الأرض، فالمعروف أن الانسان الأول، كان يملك ادوات انتاجه البدائية. ثم آلت ملكية تلك الأدوات، والارض التى تستخدم للرعى ثم الزراعة، إلى ملكية جماعية للقبيلة. ثم استولى الاقطاع (امراء ورجال دين) على الأرض وتملكوها ملكية خاصة. يزرعها لهم الفلاحون (العبيد ثم الارقاء). وظلت الملكية خاصة بعد سقوط الاقطاع، وظهور الرأسمالية، حيث سيطرت الفئات البرجوازية علي الأرض والزراعة، وكذلك على التجارة والصناعة.

ويكفى القول بأن الملكية الخاصة هنا، هى ملكية الافراد والمؤسسات والهيئات الخاصة لوسائل الانتاج (ونعنى بوسائل الانتاج)، الأرض ورأس المال، أو ادوات الانتاج).

هذه الملكية الخاصة تخول للمالك قانوناً، أن يتصرف فيها تصرفا تاما، فله أن يزرع الأرض، أو يتركها دون زراعة، وأن يزرعها بالمحصول الذى يريده. وكذلك الحال بالنسبة للمشروع الصناعى، بغض النظر ان هذا المحصول أو السلعة نافع للمجتمع، وضرورى لحياته وتنميته، أو غير نافع، وغير ضرورى.. طالما أن المنتج يعود بأكبر قدر من الأرباح، وهو المعيار الأساسى الذى يحكم المالك، طبقا لفلسفة الملكية الخاصة لوسائل الانتاج.

وقد ترتب على هذه الملكية الخاصة آثار اجتماعية اقتصادية مدمرة للمجتمع الانسانى. الأمر الذى حدا بالاشتراكية للنضال لالغاء الملكية الخاصة. ومن هذه الاثار ما يلى:

١- استخدام وسائل الانتاج استخداما سيئا، أو غير رشيد على الأقل، بأن توجه هذه الوسائل حسب مصلحة مالكها، إلى انتاج ضئيل النفع اجتماعيا، وقد يكون ضاراً. وحرمان المجتمع من الانتاج الضرورى اللازم لاشباع حاجاته الأساسية. حيث أن الفلسفة هنا هو حصول المالك علي أكبر قدر من الأرباح.

٢- طالما أن الربح هو الهدف الأول، إذن فانتاج أكبر يضمن الحصول على ربح أعلى. ومن ثم يتسبب الانتاج الوفير فى حدوث أزمات معروفة فى الانتاج الرأسمالى، هى أزمات ركود، فالانتاج الوفير لا يقابله طلب كاف على المنتجات. وتبقى السلع متراكمة دون ان تباع.وتتسبب فى بطالة تغطى ملايين كثيرة من العمال فى الاقتصاديات الرأسمالية. وبهذا يتعطل أغلى عنصر فى المجتمع الانسانى، وهو الانسان، ولا تستخدم ملكاته الخالقة بسبب البطالة، وكثيرا ما تصاحب أزمة الركود بازمة تضخم، تتعقد معها متاعب تلك الاقتصاديات.

٣- الملكية الخاصة تثير المنافسة بين المنتجين. وفى هذا مصلحة للمستهلك، كما يقول انصارها. حيث تتحسن نوعية المنتج، ويبعد المنتج غير المكلف من السوق، والمنافسة: هى العصا السحرية التى تجعل قوى العرض والطلب«الطليقة» تتوازن عند الثمن العادل، أى ثمن السوق. ويتوازن الانتاج، فيبقى على أكفأ المنتجين،و يطرد الضعفاء منهم، إلي غير ذلك من صور السحر الذى يعرض به نموذج المنافسة الكاملة فى كتب الاقتصاد المدرسية اجنبية كانت أو محلية.

والواقع ان نموذج المنافسة الكاملة، أصبح من المعترف به انه لا وجود له، ويقوم على فروض بعيدة عن الواقع وأن صور التدخل والاحتكار فى السوق الرأسمالية أصبحت أمراً واضحاً جليا فى الحياة الاقتصادية، سواء على مستوى الدولة الواحدة أم على مستوى العالم. ونحن نشاهد الآن الشركات الكبرى العابرة للقوميات وسيطرتها على اقتصاديات العالم. والمعروف أن المحتكر يرفع السعر للحصول على أعلى مستوى من الربح. وهنا استغلال للمستهلك، ونزف لموارد الاقتصاد القومى، لمصلحة قلة من الشركات الأجنبية، ووكلائهم وتوابعهم فى دول العالم الثالث..

٤-تؤدى الملكية الخاصة للأرض ولرأس المال إلى ظلم اجتماعى صارخ. ذلك أن القلة التى تملك تلك الوسائل، تتحكم فى الكثرة التى لا تملك، لا من حيث رفع الأسعار فحسب، بالنسبة لجمهور المستهلكين،ولكن بالتحكم فى الأجور التى تعطى للعمال الذين ينتجون تلك المنتجات. والمعروف أن العمل الانسانى، هو المعيار الصادق والأخلاقى لقيمة الاشياء، التى يجب أن تؤسس على ما يبذل فيها من عمل انسانى. والمعروف أن الرأسماليين يدفعون للعمل اجوراً هزيلة. لا تكفى لعلاج ما يتعرضون له من بأساء وامتهان. وبذلك يكبر حجم فائض القيمة الذى يأخذه الرأسماليون. أى الفائض من ثمن

السلعة بعد دفع الأجر الهزيل للعامل، الذى كان يجب أن تكون قيمة السلعة كلها من نصيبه فهو الذى خلقها، واعطاها قيمتها.

هذه الظاهرة، ظاهرة الاستغلال للعامل واضحة، فى دول العالم الثالث. وهى كذلك موجودة فى الدول الرأسمالية المتقدمة.. فما زال الصراع على الأجور، وضد البطالة، مستعرا فى الدول الرأسمالية بين العمال والرأسماليين، وسيبقى كذلك إلى أن يأتى الله أمراً كان مفعولا.

٥- يتسرب نفوذ هذه القلة المالكة والمسيطرة على وسائل الانتاج إلى السيطرة على المؤسسات السياسية، فالقوة الاقتصادية الكبيرة، وهى التى تسير المجتمع سياسيا واقتصاديا. وهذا ما نراه فى العالم المتقدم والمتخلف على السواء، وهى التى تستطيع أن تنفق على المعارك الانتخابية المكلفة، وتحتل المقاعد النيابية فى البرلمان.

وحينما تمسك القلة بخناق الجماهير فى مجال السياسية والاقتصاد، فالمجتمع كله يصبح خاضعا لها، تشكله اقتصاديا واجتماعيا لخدمة أهدافها. بل أن نفوذها يتسرب الى تشكيل ثقافة المجتمع، لتسهل لها سيطرتها على ميدانى الحكم والانتاج.

هذا القهر والتسلط على الانسان فى كثرته الكثيرة، واستغلاله، والاستيلاء على ناتج عمله هو الذى حدا بالاشتراكيين فى كل زمان ومكان على الثورة ضد الرأسمالية، وما تتضمنه من ملكية خاصة. ونسبوا الى الملكية الخاصة كل المعوقات التى حاقت بالمجتمع الإنسانى.

وأخذ المفكرون الاشتراكيون فى مهاجمة قاعدة الملكية الخاصة، التى هى أصل النظام الرأسمالى ومصدر لالوان الظلم التى يفرزها. وقامت الثورات الاشتراكية على ضوء تلك الكتابات، سواء كانت الكتابات فى الاشتراكية الخيالية، أو حينما صارت الاشتراكية علما على يد ماركس، والناسجين على منواله.

والبديل بطبيعة الحال أن تجنب الملكية انفراد افراد قلائل بها، وأن تكون الملكية للشعب أو للناس مجتمعين وبذلك نشأت أفكار الملكية العامة، والجماعية، والشعبية، والجماهيرية، والكوميونية، وغيرها.

والملكية العامة، اذا كانت جزئية، والدولة ليست دولة لعمال أو لجماهير، لا تعتبر بديلا كاملا للملكية الخاصة، ولا تجعل من الدولة دولة اشتراكية. ذلك أن هيكل الدولة هنا يمكن أن يكون مماثلا لهيكل الانتاج الرأسمالى. تقوده فئات برجوازية، ويمكن تسمية النظام فى هذه الحالة «رأسمالية دولة» (كما وصف- البعض النظام السوفيتى خطأ فى نظرى- فقد كان الحزب ممثلا للطبقة العاملة، ولكنه كان تمثيلا رديئا بيروقراطيا، تسبب فى اغتراب الجماهير، كما قلنا فى المقالات السابقة).

وقد تكون التسمية المرغوب فيها، هى نسبتها إلى الشعب كله، أو الجماهير كلها، أى الملكية الشعبية او الجماهيرية بعبارة أخرى الملكية الاشتراكية.

ولا مراء أن الحزب الشيوعى السوفيتى، كان على حق، حينما حول الملكية الخاصة الى ملكية عامة، تمثل فيها الدولة الشعب فى ملكية وسائل الانتاج. ولو أن ادخال الدولة فى الملكية، وضع البذور البيروقراطية فى الحزب والدولة، التى تسربت الى المؤسسات الانتاجية والسياسية.

والملاحظة التى يمكن أن توجه للتجربة السوفيتية، هى أن الاجراءات التى اتبعت فى القطاع الزراعى، كانت مبالغا فيها بدرجة كبيرة، عند التحول الى الملكية الجماعية، التى اريد لها أن تتم بين يوم وليلة، وكان من الطبيعى ان تتوالى القصص، التى قيلت عن العملية الجماعية فى الزراعة، ومقاومة الفلاحين لها. والاجراءات القسرية التى اتخذها ستالين لتطبيق النظام فوراً.

وقد يقال أن هذا موضوعاً قديماً، مضى عليه سبعون عاما، والواقع أن الأجيال تتناقل ما يحدث فى مجتمعاتها، وأن السياسة القسرية، ظلت جامدة، كما هى لم تتطور تطوراً يزيد من الانتاجية، ويرضى المنتجين، ويجعلهم يتمسكون وهم سعداء بالتجربة، بالاضافة الى أن مهمتنا هى أن نفيد من التجربة: حسناتها أو أخطائها.

ونود أن نضيف أن الملكية الخاصة، لها جذور فى نفسية الزراع وغيرهم فى القطاعات الأخرى سواء كانوا مالكين أو غير مالكين، إذ أن النظام الاجتماعى والثقافة، الذى عاش تحت الرأسمالية مئات السنين، ولا يزال يعيش فى بلاد كثيرة، هذا النظام يجعل من الملكية الخاصة وآلاتها ويخلع على الملاك وضعاً مرموقاً، وقد تعمقت هذه القيمة فى وجدان الناس زماناً طويلا، فالغاء الملكية بين عشية وضحاها، والاصرار على شكل واحد من اشكال الملكية العامة، يظل مفروضا على الناس، دون أن يسمح لهم بتطوره، أمر على الأقل يجعل الناس لا يتشبثون به، ولا يدافعون عنه، وبصفة خاصة إذا كان قطاع الزراعة يتحمل الجانب الأكبر من أعباء التنمية الصناعية، على حساب مستوى معيشة الزراع.

فإذا ما ضعف مستوى الأداء الاقتصادى فى دولة ما، وكل الاقتصاديات الاشتراكية والرأسمالية معرضة لذلك، واذا كان الاقتصاد الاشتراكى فى حاجة الى التطور والنمو بشكل واضح، حتى يجذب الناس الى عدالته وكفايته ورشادته، كان المفروض أن تكون السياسات المتعلقة بالقضاء على الملكية الخاصة، والتقدم نحو الملكية الاشتراكية سياسات داعية مرنة، متدرجة، يراد لها أن تحقق الاهداف الاقتصادية الكبيرة لدولة كبيرة كالاتحاد السوفيتى.

وهذا كان يتطلب دراسات تطويرية لانظمة الملكية والحوافز، فاذا وجد ان الملكية الخاصة فى المشروعات الصغيرة والمتوسطة مثلا، ستدفع الاقتصاد الوطنى من حيث النماء والكفاية فلا بأس من إدخال جرعات منها، مسيطر عليها، حتى لا تنجم عنها الاضرار السابق الإشارة إليها.. فنحن فى ظل اقتصاد اشتراكى منظم، مؤسساته وثقافته اشتراكية، يمكن أن يوجه القطاع الخاص فيه لخدمة التنمية الاشتراكية، بقيادة القطاع العام.. وهذا يمكن ان يضيف استثمارا وأداء اقتصاديا فى المجالات التى لا يعمل فيها القطاع العام، وهذه إضافة جديدة، وليس بيعا للقطاع العام، كما تفعل بعض الحكومات فى الدول المتخلفة.

هكذا فعلوا فى الصين، وبرهنوا على سياسة ذكية واعية، وحققوا أقصى معدل للتنمية على مدى التاريخ الإنسانى سواء فى الاقتصاديات الاشتراكية أو الرأسمالية (نحو ١٤٪ سنويا).

ولا مراء أن الملكية الاشتراكية هى الأصل، وهى الهدف النهائى. ولكن ليس ضروريا أن يتم ذلك فى عجلة، ولكن مع الوقت، ومع ترسيخ الفكرة والثقافة الاشتراكية.

وهناك مبررات للدفاع عن النظرة السوفيتية منها: إن التجربة قد نضجت فى نظرهم، بناء على الملكية العامة والجماعية.. وحرص السوفيت على ضرب المثل للمجتمعات الأخرى، بأن الاشتراكية ممكنة التطبيق، وأكثر كفاءة، وقد قلنا فى مقالة سابقة، أن التخطيط الاشتراكى اثبت كفاءته فى التنمية مقارنا بالنموذج الرأسمالى.

ومن المبررات كذلك أن الاتحاد السوفيتى، كان محاطا بأعداء أشداء فى الخارج، ولهم انصار ما زالوا فى الداخل، فهو يخشى إن تراخى، فإن البناء الاشتراكى يتراخى.

نحن لا نود أن نخوض فى تلك المسائل. ولكننا أردنا أن نحلل الظاهرة، وأن نبدى رأيا فيها..



ولى الدين يكن ارستقراطى يعشق الحرية.. ويدافع عن الفقراء

« الحرية عدوة الملوك، وحبيبة الشعوب»

« مساكين أنصار الحرية يريدون أن يخلصوا العباد من الظلم فيقعون هم تحت الظلم» ولى الدين يكن.

د. رفعت السعيد

الاسم: ولى الدين حسين سرى يكن.
الميلاد: ١٨٧٣
المهنة: أوسعتقراطى - شاعر- موظف كبير.
الوفاة: ١٩٢١

مع وصول محمد على باشا الى مصر.. تراكمت معه أسر تركية عديدة، منهم «ابراهيم» ابن أخت محمد على (و"يكن" تعنى بالتركية ابن أخت) ولهذا سمى ابراهيم يكن.

الجد باشا، الأب باشا. وليس الأمر مجرد رتبة بل هم جزء من الأرستقراطية الحاكمة.. أما الأم فهي ابنة أحد أمراء الشراكسة. وهكذا امتلك الفتى" ولي الدين"حسبا ونسبا ومكانة ومركزا مرموقا.

ولد فى ضاحية من ضواحي استنبول. ثم أتى الى مصر طفلا. حيث رعاه عمه على باشا حيدر وزير المالية بعد وفاة والده، أتوا له بمدرس خاص شأن أبناء الأكابر، ثم الى" مدرسة الأنجال " (مدرسة خاصة أسسها الخديوى توفيق لتعليم أولاده وأولاد الأمراء، وكان الهدف منها ألا يختلط أبناؤهم بأبناء الشعب).. أتقن العربية والتركية والفرنسية والانجليزية وأحب الكتابة والأدب، وكتب فى مجلتى" القاهرة " و" النيل"، ثم أصدر مع يوسف بك فتحى جريدة " المقياس".

لكن هذا الاتجاه للكتابة والاشتغال بالصحافة (وهى مهنة لم تكن محترمة) أفزع الاسرة فقررت تكبيله بقيود وظيفة حكومية فعين فى "النيابة" ثم فى القسم الأفرنجى بالمعية السنية عام ١٨٩٣،ثم ترك مصر إلى استانبول علي زمن السلطان عبد الحميد" خاقان البرين والبحرين وخادم الحرمين الشريفين"كما كان يسمى نفسه. وتلقاه عمه محمد بك فائق عضو مجلس الشورى، الذى قربه من الأعتاب السلطانية فتقرر منحه الرتبة الثانية. لكنه أحس بظلم العثمانيين الظالم، وبافتقاد الحرية، وأحس أن الانعام عليه قيد وضعوه فى عنقه فعاد الى مصر..

.. وأصدر جريدة" الاستقامة" ليعبر فيها عن سخطه على الظلم العثمانى، وتسلط السلطان، وقهر العرب وكتب يقول:" أنا تركي وأبغض عباد الله الى تركي يعتدى، وأحب العرب حبا خالط الروح، وجرى مجرى الدم في العروق. فأنا عربى الأدب والقلم، عربى النزعة. ومن أبغض العرب، أنا مبغضه"

وواصلت الإستقامة حربها دفاعا عن الحرية حتى قرر العثمانيون منعها من الدخول إلى جميع البلاد العثمانية فأغلقها، وكتب يودعها قائلا:

أراني وحيدا والحوادث جمة..
ألاقى طعانا جيشها وضرابا
أثبت أقدامي وأبرز صفحتى..
لديها، ولا أرضى هناك حجابا
فأطعمها من لحم جسمى مطعما..
شهيا وأسقيها الدماء شرابا
أذم فلا أخشى عقابا يصيبنى.
وأمدح لاأرجو بذاك ثوابا

وتفزع الأسرة من هذا الاندفاع وتحمله حملا مرة أخرى إلى استانبول حيث يقلد وظيفة كبيرة بهدف تقييد لسانه وقلمه، لكنه لايسكت فينفيه السلطان إلى"سيواس"..

وبعد سجن ونفى وعذاب يعود إلى مصر لينطلق وبأعلى صوت مدافعا عن الحرية، رافضا للظلم، مؤكدا انتماءه إلى ساحة الفقراء..

* * *

ويرتفع صوته.. نثرا وشعرا مهاجما السلطان العثماني وحاشيته قائلا:

بغال تسوس الأسد شر سياسة..
ماساس أسدا قبل ذاك بغال.

ويقول:

فجاءوا يسوسون الأنام سياسة..
سدى لم تسسها قبل ذاك البهائم
فكم عالم صاحوا به أنت جاهل..
وكم جاهل قالوا له أنت عالم
صحا كل شعب فاسترد حقوقه..
فياليت يصحو شعبك المتناوم

وعندما يكتب شوقى قصيدة يدافع فيها عن السلطان عبد الحميد .. يرد عليه ولى الدين:

وذكرت سكان الحمى..
ونسيت سكان القبور
وبكيت بالدمع الغزير.
لباعث الدمع الغزير.
ولواهب المال الكثير.
وناهب المال الكثير.

وعندما يطاح بعبد الحميد ويمارس من أطاحوا به ذات الإرهاب والقهر يهاجمهم

أفلا يزال السوط حاكمكم..
وأبو السياط بيلدز ذهبا
أفلا يزال الدهر يعجبكم..
ضرب ومضروب ومن ضربا
ونقول أحرار فنمدحكم..
لاحرفيكم.. كلنا كذبا

ويشن ولى الدين يكن حملة عنيفة على رجال الدين الذين خضعوا للخليفة العثمانى المستبد ودافعوا عنه، فيقول..:" إن العامة تحب الشئ اذا حببه اليها زعماؤها، وتبغضه إذا بغضه إليها زعماؤها.. وزعماء العامة عندنا رجال الدين وهؤلاء يحبون أن يظلوا

متحكمين في الرقاب، وأن يبقوا عيالا على الأمـــة، وأن يلثم الناس أيديهم، ويملأوا أكياسهم، ثم أن عبد الحميد اتخذ منهم شيعته وزادته، فما أقر هيبته في القلوب، ولا ابتاع له المودات الا هذا الرهط».

ثم يرتفع صوت هجومه علي رجال الدين: " ولو جمعنا العمائم التى بانبلاد العثمانية وجعلنا بعضها فوق بعض لبنينا حصنا يعجز الأسطول الانجليزى عن هدمه".

وعندمايقبض على الشيخ جميل الزهاوى بالعراق لمناداته بحرية المرأة ونزع الحجاب عنها يكتب ولي الدين " ياأيهـا المسلمـون . . أنا مسلم مثلكم يحزنني خسرانكم، ويشركني معكم مصرعكم أن هؤلاء الرجال الذين أثقلت هاماتهم العمائم أكثرهم لايعقلون. . كان عبد الحميد يقتل الناس ويظلمهم وينفيهم وينهب الخزائن وكل هذا حرام فى دينكم فما قام فى وجهه واحد منهم ناصحا أو رادعا . . لكنهم اليوم وقد وسعتهم بلاد الحرية يكرهون ان يروا حرا يتكلم ، يهاجمون الساعل والماخط، والآكل والشارب، حتى لقد زهدونا فى الحياة، وهم أشد الناس بها تعلقا ، فلا تجعلوا لهم سلطانا عليكم، فيكسبوا من خسرانكم ويسعدوا بشقائكم وأنتم لاتعلمون".

. . ويهيم الرجل بالحرية عشقا . . " ياحرية، أنا عرفتك وهمت بك هياما . . فأنا صاحبك من قبل ومن بعد ولن أخاف بعد اليوم رقيبا"

ويتغزل فيها:

نشتاق حرية فيؤسينا . .

من دهرنا عن حبائها ضنن.

أوهننا حـبـهـا وتيـمنا . .

حـتى ترانا وشـفنا الوهن.

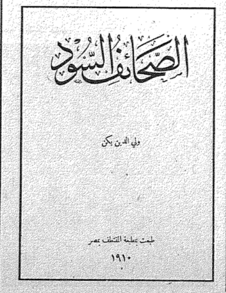
ويقول:« الحرية طافت بلاد الله، فكلما دخلت أرضا أعتقت المعتقلين فيها، فلما طرقت تركيا اعتقلوها في سجنها بيلدز». وعندما يطاح بعبد الحميد ويتولى حكام جدد ليستبدوا هم أيضا، يكتب في أسى: "بالأمس كنا ننادى ياحرية . . ياحرية، ياحبيبة الشعوب، وعدوة المستبدين، ومرتع الآمال، ومسرح النفوس، وشفاء الصدور، وحياة الممالك، فلما استجابت دعا ءنا ، وأقبلت برضائها علينا ، تجاذبنا ضفائرها ، وتنازعنا حليها، ووصلنا القيود التي فكتها عن سواعدنا لنشد بها سواعدها»

* * *

ويتصاعد هجوم ولي الدين. . من الدفاع عن الحرية ، إلي الدفاع عن الفقراء والاشتراكيين. . وتحت عنوان « مقتل فرر» (اشتراكى أسبانى نفذ فيه حكم الاعدام) يكتب ولى الدين:

" هن ثلاث رصاصات رميت بأسبانيا ، فجاوبت دويها بلاد الله. ثلاث رصاصات رمتها حكومة متمدينة، بمشهد من حكومات متمدينة، فقتلت رجلا متمدينا. حرا أشقته حريته، عارف أجهدته معرفته، ومنصف أرداه انصافه. . و"فرر" أبى زعامة الفرد علي الجمع ، وكره أن يرى أناسا يرفلون في ثيابهم المخملية يجررون أسيافهم ، وتخفق على رؤوسهم خرق فوق قضبان يسمونها أعلاما، وأن تكثر حكومات الأرض من جمع هؤلاء فى أزيائهم المضحكة لتقتل أمثالهم. . ورفض أن يرى إخوته أبناء ادم يتنازعون أكنافا من الأرض ليست لهم ولا لغيرهم ولكنها لكل الناس. . **ولهذا لايجزع علي "فرر" سكان القصور العالية ولا المدخرون للذهب والفضة، ولاسراة القوم ، ولا الوزراء، ولا كبار الموظفين. . وانما يجزع عليه المنفيون فى أقاصى سيبيريا بعض الحديد على سواعدهم، والمقيمون فى ظلمات السجون فى سائر أقطار الأرض ، ويبكي عليه كل من ذاقوا مرارة الظلم والاستعداد في أسر المستعبدين.** يحزن عليه الأرمنى الذى قتل أقربوه فى مذابح الأناطولى. والتركى الذى ألقى ذووه فى لجج البوسفور، والعامل فى أعماق الموانى محروما من نور الشمس، ولطف الهواء، والفقير الذى يحس بالفاقه ولايتجاسر علي شكايتها . . كل يندب" فرر" وكان"فرر" يندبهم»

وتصله رسالة من عامل عثماني يدعوه إلي نصرة الطبقة العاملة. . صراحة وبلا مواربة، فيرد عليه ولي الدين فى كتابه العنيف والمرير معا " الصحائف السود" قائلا:


الصحائف السود

ولي الدين يكن

طبعت بمطبعة المقتطف بمصر

١٩١٠

"أيها الأخ العامل . . لبيك . . هذا يمين الاخاء أمده إليك، فإن كنت خاطبا ودا ،الود لك،وان كنت شاكي ظلم فيراعي لسانك، وبياني ترجمانك، وأنا وحياتي دريئة لك من المخاوف"

ويمضى ولي الدين ليهاجم الحكام والأغنياء معا: " ادخل الى حجرة الوزير تلق بها الأواني المذهبة فى نقوشها وتصاويرها على الخوان البديع. . وهو مضطجع علي مقعد أقل مسمار فيه أغلي من مالكه ثمنا وأنفس قدرا. هو يحسب أن العامل يدور كاللولب لا يجهده تعب، ولايضنيه كد، ولو ر آه في معمله متقصدا عرقا مشمرا عن ساعدين مفتولين عزما. . لأخذه الروع ولخارت تلقاء ذلك المشهد المهيب قواه".

ويصف أحوال العمال قائلا" إن بين الحيطان السود، تحت سحب الدخان، أمام النار التي يزكيها الكير النافر، وتحت أعماق الأرض. . رجال شعث النواصي، غبر الوجوه، نبا عن أجسادهم النعيم ، وأجفلت عنهم السعادة، يخدمون بنى الإنسان كأن لم يكونوا هم من بنى الإنسان".

ثم يصيح في وجوه الأغنيا،« من أراد أن يظلم العمال فليستغن عن العمال، ليقل هؤلاء الكبراء . . إننا فى غنى عن العمال ، واذا نزعنا عنا هذه الحلل الباهرة ملنا الى المعامل وشمرنا عن سواعدنا فصنعنا لأنفسنا، وليصنع العمال لأنفسهم، هنالك يعلم كل عمله».

ثم يقول لصاحب الرسالة "أن كان هذا يكفيك أيها الأخ العامل، فالحمد لله على خدمتك وخدمة إخوانى العمال".

«ويحلم ولي الدين يكن كأي شاعر أرستقراطى بمجتمع المستقبل. . المجتمع الاشتراكى، ويصفه قائلا« انه مجتمع لو أنفقت أمواله فى تعليم الأولاد لصاروا كالأنبياء ، ولو بذرت فى الأرض لنبتت السنابل ذهبا، ولو أنفقت على الفقراء لأصبح السائلون يشترون ملابسهم من« ريبو». (أفخم محلات هذا الزمان) ويفطرون بالشوكلاته».

ويبقى بعد ذلك أن ولى الدين لم يقل كل ماعنده. . فهو يقول حزينا وصريحا« إذا وهب الله أقوامنا من الترقي أكثر مما نالوه، وبقيت أنا حيا بينهم لكلمتهم بما يخالج صدرى تصريحا لاتلميحا »

لكن حلمه هذا لايتحقق. . ولايبقى لنا سوى تلميحاته. . واذا كان التلميح بكل هذه الحدة وبكل هذا الوضوح. . ترى ماذا كان يمكن ان يكون التصريح ؟



"اشتدى يا أزمة تنفرجى"

فيلم من تأليف: صندوق النقد وإخراج الحكومة

أحمد يوسف

لا مفر ونحن نتحدث عما آلت إليه صناعة السينما المصرية اليوم ، من أن نتحدث بالضرورة عن السياسة والاقتصاد ، فهما فى الحقيقة جوهر القضية التى تبدو نموذجا كاشفاً- أو قل فاضحاً- للسياسة الاقتصادية التى ينتهجها أصحاب القرار فى مصر، منذ أن تولت حكومة **الدكتور عاطف صدقى** مسئولية «التفاهم» مع **صندوق النقد والبنك الدوليين**، على«الطريقة» التى سوف يتم اتباعها لتنفيذ قرارات مثل هذه الهيئات الدولية ، وهى فى حقيقتها ليست إلا غطاء لقوى ومؤسسات سياسية تريد أن ترسم خريطة العالم «على مزاجها» ، أعرف أن العديد من «دكاترة » الاقتصاد سوف يعترضون على أن يتحدث في اختصاصاتهم من لا يجيدون استخدام مصطلحاتهم المعقدة، لكن ما يجب أن يضعه هؤلاء الاختصاصيون في اعتبارهم أن أمور الحياة التى تزداد صعوبة كل يوم هى من صميم اختصاص كل فرد ينتمى إلى هذا الوطن.

وإذا كنا نولى السينما الكثير من الاهتمام بينما الناس يذوقون المر فى الحصول بالكاد على لقمة العيش ، فإننا لا نرى فى هذا الاهتمام ترفاً ، وربما اعترض بعض الأعضاء الرسميين وغير الرسميين للحكومة، الذين يتجمعون بعد« عناء» حول همومنا أو زيادتها بالأحرى ، على الموائد العامرة فى كل ليلة حين يتبادلون التهانى فى أعياد الميلاد وحفلات الزفاف (والتى أصبحت باباً ثابتاً فى«اجتماعيات» المجلات الملونة)، ربما اعترضوا على قولنا بأن السينما نوع من الترف ، وكيف لا وهم الذين استكثروا على هذا الشعب أن يكون مشروبه الوحيد كوب الشاى الأسود المغلى ببضع ملاعق من السكر، ومعهم كل الحق فى اعتراضهم ، فهم يعرفون أنواعاً أخرى من الترفيه، وهل لك أن تقارن بين **الكافيار والفول المدمس** ؟!

وإن كانت ما تزال القضية الجوهرية فى هذا كله هو المصير الذى انتهت إليه صناعة السينما المصرية خلال السنوات التى سيطر فيها السادة «الدكاترة» على أمور حياتنا.

فى تلك السنوات التى دارت حول استلام الحكومة الحالية مقاليد الحكم ، وخلال عامى ١٩٨٦ و١٩٨٧ ، كان إنتاج السينما المصرية من الأفلام يتراوح بين ٩٦ فيلما و ٧٠ فيلما على التوالى، لكن حصاد عام ١٩٩٤ من الأفلام المعروضة **لم يتجاوز الثلاثين فيلماً**؟! إذا استثنيت أفلام التليفزيون التى عرضت عرضاً عاماً لتسد فترة الكساد خلال شهر رمضان الماضى ، (ومن المتوقع أن تغلق دور السينما أبوابها خلال رمضان الحالى لعدم وجود إنتاج من هذه النوعية من الأفلام) . **وهكذا نجحت الحكومة الحالية فى تحقيق رقم قياسى فى تدنى عدد**

نادية الجندى وفاروق الفيشاوى فى الجاسوسة حكمت فهمى



الأفلام المعروضة لم تهبط إليه السينما المصرية منذ عام ١٩٤٤، أى منذ نصف قرن كامل من الزمن، بل إنها حكومتنا نجحت فيما لم تنجح فيه أزمات طاحنة كان من الممكن أن تعصف بهذه الصناعة، مرة خلال سنوات النكسة وحرب الاستنزاف، وأخرى فى أعقاب اتفاقية كامب ديفيد والمقاطعة العربية لمصر.

وقد استطاعت الصحافة الرسمية أن تعطى لمصطلح **«الأزمة»** دلالة خاصة، كأنها أمر قدرى لافكاك منه، أو أنها مجرد **«أزمة وتعدى»**، ولست أعرف أزمة طارئة عارضة كمثل تلك التى كادت أن تلم بكافة جوانب حياتنا، وتتفاقم يوماً بعد يوم، دون أن تهتز لذلك شعرة واحدة لدى المسئولين (ولا أدرى من يسألهم أو يسائلهم، بل انهم يلقون باللوم كل اللوم على هذا الشعب، حتى انها **تصبح الحكومة الوحيدة التى لا يعجبها الشعب الذى تحكمه(!)** تماما كما يلقون باللوم على صناع السينما فيما آلت اليه من تدهور، وان كان اللوم الحقيقى لهم هو صمتهم المريب أمام ما يحدث لأكل عيشهم (ويبدو أنهم لم يعودوا يأكلون العيش الذى نعرفه، وان كان ذلك ينطبق فقط على عدد قليل من النجوم، وهم صامتون بينما الحكومة تحاصرهم بقراراتها المرتجلة، التى **تذبح كل الدجاج الذى يبيض ذهباً**، فلا تستطيع أن تبوح بما فى نفسك عما اذا كان ذلك مجرد خطأ -أيا كانت فداحته- فى التقرير، أم أنه أمر مقصود. يذكرك على نحو ما بالفرق بين أن يسرق البعض سيارة ليغيروا لونها ويعملون عليها لحسابهم، أو أن يسرقها آخرون لكى يفككوا أجزاءها ويبيعوها قطعة قطعة على أنها نوع من «الخردة».

رحلة النضج
أم تراجع الأحلام؟!

لا أدرى كيف أحدثك عن حصاد السينما خلال العام الماضى، بينما غاب عنها أو كاد كل من **محمد خان وناصر حسين**، ولست أقصد بالجمع بينهما أى نوع من السخرية، فما أعنيه هو أن التيار الإبداعى قد تراجع وانكمش وبدأ فى تقديم التنازلات، كما تقلص دور السينما التجارية التى كانت تقيم أود المئات والآلاف من العاملين فى هذه الصناعة، فماذا يبقى إذن منها؟! وإذا كنا قد هاجمنا طويلا العدد الهائل من **أفلام المقاولات** التى يتم إنتاجها، فإننا نرى انحسارها اليوم علامة على أن **الرجل المريض- صناعة السينما -الذى كنا نرجو له الشفاء قد بات أقرب إلي الاختصار** فلا نملك له إلا الدعاء، بأن يبقى فقط على قيد الحياة، لعله يسترد عافيته يوماً.

وعندما كاد أن يختفى **ناصر حسين** عن صناعة الأفلام- فلم يعرض له إلا فيلم واحد -غابت معه كتيبة كاملة من صناع الافلام المتواضعة التى كانت تحمل المياه فى نهر صناعة السينما، مثل **أحمد السبعاوى ومحمد مرزوق** اللذين لم يكن يخلو أى موسم سينمائى من أربعة أو خمسة أفلام لكل منهما، كما اختفى عن الساحة **«اسطواتها»** من الجيلين القديم والأوسط، الذين برعوا فى صناعة الأفلام المتقنة أيا كانت درجة اتفاقك أو اختلافك مع القيمة الفنية لهذا المخرج أو ذاك، مثل **بركات وعاطف سالم وحسين كمال ومحمد راضى وعلى عبد الخالق وسمير سيف**، ولن أحدثك عن فنان كبير مثل**توفيق صالح** الذى يبدو أن الحياة السينمائية الحالية قد جعلته يعيش احساساً بالغربة، وهو يحيا على أرض الوطن، لكن الأكثر أهمية هو التراجع الذى يثير القلق للعديد من المخرجين الذين تعقد عليهم السينما المصرية الكثير من آمالها، من جيل **محمد خان** والجيل الذى تلاه مثل **داود عبد السيد** أو**محمد القليوبى** أو **شريف عرفه**، وقد يكون لبعضهم أفلام فى انتظار العرض أو ما تزال فى مرحلة الإنتاج، لكنها تؤكد فى عددها المتواضع الخطر الذى يهدد هذا الفريق،، كما تشير -من ناحية الكيف- إلى نوع من التراجع عن الأحلام، **الى الحد الذى يدفع بالعديد منهم، فى البحث المشروع عن لقمة العيش، إلى اخراج الأغنيات التليفزيونية.**

إن كنت تريد دليلاً على تراجع هذه الأحلام فإنه يكفيك أن تقارن بين أعمال **محمد خان** فى النصف الثانى من الثمانينات مثل**«عودة مواطن»** (١٩٨٧) أو **«زوجة رجل مهم»** (١٩٨٨)، **«أحلام هند وكاميليا»**)، وأفلامه الأخيرة مثل**«مستر كاراتيه»** (١٩٩٣)، وهى المقارنة التى تتضح دلالتها مع أفلام **خيرى بشارة** من **«الطوق والأسورة»**(١٩٨٦)، **«ويوم مر .. يوم حلو»**(١٩٨٨) إلى مرحلته الحالية منذ **«كابوريا»** (١٩٩٠) وحتى**«حرب الفراولة»** (١٩٩٤).

وأرجو ألا يتصور القارئ أننى أصدر الأحكام القاسية على هؤلاء المبدعين، من وجهة النظر التقليدية للنقد الذى يمسك بأدوات «التشريح» فيقتل العمل الفنى أولا لكى يتأكد من أن الفيلم يطابق«بالمسطرة» ما جاء فى الكتب المدرسية، كما أننى لا أصادر على ما يراه هؤلاء المبدعون من الحق الذى يملكونه -وهو ليس حقهم بل واجبهم أيضا- فى تطوير أدواتهم ورؤاهم الفنية، لكننى أحاول أن أرصد منحنى هذا التطورالذى أراه نوعاً من التكيف يضطر اليه المرء اضطراراً فى ظروف صعبة قاسية، يشبه النمو الذى يطرأ على كائن حى لا تمنحه الشروط الصحية الملائمة. ومن المؤكد أن **محمد خان وخيرى بشارة** -على سبيل المثال لا الحصر، ومع اعتبار التفاوت بين النوايا والانجاز- عند كل منهما- يحاولان فى أفلامهما الأخيرة خلق نوع من التواصل مع الجماهير، وهو أجمل وأنبل الأحلام الفنية جميعها، لكن إن كنت تملك بالفعل حرية خلق هذا التواصل، لكن ما أراه لا ينتمى بأية حال لمعنى الحرية الإبداعية، فهو الرضوخ لشروط الإنتاج التى تتزايد صعوبة كل يوم، ولنسأل أنفسنا كيف كان من الممكن أن تصل رحلة هؤلاء المبدعين **لو كانت صناعة السينما تعيش ظروفاً أفضل، وإن كان ذلك مستحيلا فى ظل ظروف سياسية تفتقر إلى أى نوع- ولو كان شديد التواضع- من المشروع القومى**،وفى ظل النظرة الاقتصادية الرسمية لهذه الصناعة التى كان يقال عنها يوماً أنها فى المرتبة الثانية من الأهمية الاقتصادية بعد زراعة القطن ولا أعرف مرتبتها بالنسبة لزراعة «الكانتالوب»!- كما انه ما يزال يقال عنها الصناعة المصرية الوحيدة المضمون بيع إنتاجها بنسبة مائة فى المائة!

القديم والجديد

هل تريد إذن كشف حساب عن حصاد السينما من خلال بعض الأفلام المعروضة عام ١٩٩٤؟.

لقد أعطت الحكومة- ممثلة فى أجهزة وزارة الثقافة ومهرجان موظفيها الذى تقيمه كل عام للأفلام الروائية- أكبر جوائزها لفيلم **«ديسكو ديسكو» لإيناس الدغيدى**، بينما لم يستمر عرضه الجماهيرى إلا أياماً معدودة، بسبب الهزال الشديد فى بنائه الفنى ورؤيته الاجتماعية، حين يحاكى على نحو يثير الرثاء، فيلم **«احنا التلامذة»**، بينما لم يطرح حلاً لمشكلات الشباب الضائع والعاطل



عادل إمام وشيرين فى«الإرهابى»

عن العمل، إلا سلاح«**كيد النساء**» تارة ، وتارة أخرى العنف السينمائى الذى يضع فى يد كل فرد من أبناء هذا المجتمع مسدساً يستخدمه عند اللزوم لحسم ما يواجهه من مشكلات، فلم يصدق الجمهور تلك الحبكة المفتعلة التى تدور رحاها فى صالات «**الديسكو**» و أوكار تعاطى المخدرات ، بينما تطحن رحى الحياة هذا الجمهور البائس فى كل تفاصيل حياته اليومية ، دون أن يملك حق الاعتراض على تلك المعاناة.

كما لم يدخل الساحة السينمائية خلال هذا العام من المخرجين الجدد إلا ثلاثة من الوجوه «**الشابة**» فى مقابل أحد عشر مخرجاً فى العام الماضى، وهو التناقص الذى يعود إلى تراجع الكثيرين من المنتجين- ومعظمهم وافد على صناعة السينما- واحجامهم عن استكمال مشروعاتهم، بسبب **التخبط وعدم الاستقرار اللذين يسودان التشريعات الحكومية حول السينما** ،والتى تظهر دائما فى شكل **ضرائب ورسوم**، لا يدرى أحد مدى دستورية ومشروعية تحصيلها ، والتى لم تعد تكتفى بضرائب الملاهى- هكذا ما تزال السلطة تسمى السينما- مما أدى إلى تقلص عدد دور العرض، بل امتدت هذه الضرائب على كل مراحل الانتاج، بل إن من المضحك **ان ترتفع رسوم الرقابة على أى سيناريو من مائتى جنيه إلى ثلاثة آلاف جنيه دفعة واحدة(!)** ، وهو ما يعنى أن يحجم السينمائيون منذ البداية عن مجرد التفكير فى مشروع جديد ، لأن الاحتمال الأغلب هو ضياع الآلاف الثلاثة من الجنيهات ، عندما ترفض الرقابة فكرة الفيلم لأنه«**يخرج على آداب المجتمع .. ويدعو للسخرية من النظام القائم**» ، وهى العبارات التى لم يكد فيلم مصرى أن ينجو منها ، لولا بعض المفاوضات والمساومات والتنازلات ، وربما تبدى السلطات بعض نواياها الحسنة إذا أبقت الرسوم على حالها القديم عند تقديم السيناريو، تزداد إلى الثلاثة آلاف جنيه عند الموافقة عليه ، فلعل ذلك يشجع من جديد أصحاب الأفكار السينمائية على تقديمها للرقابة ، ولعله أيضا يشجع الرقابة على الموافقة!.

وهكذا تضاءلت ، وسوف تتضاءل إمكانية ظهور مخرجين جدد ، وعلى كل حال فإن واحداً من المخرجين الثلاثة الذين استهلوا حياتهم الفنية فى عام ١٩٩٤ كان «**المنتج**» **شريف شعبان** ، الذى صنع فيلم «**الجينز**» لزوجته الممثلة **جالا فهمى** ، فى اقتباس شديد التواضع والسطحية عن فيلم «**امرأة جميلة**» الذى لا يحمل أية قيمة فنية ، وقد أعطى المنتج وعداً بتكرار تجربة الاقتباس مرات أخرى ، ليستكمل تلك المشروعات «**العائلية**» أما المخرجة الثانية فهى **شيرين قاسم** ، التى قدمت فيلمها الهزيل «**المقامر**»، وأخيراً يأتى دور المخرج الثالث **أسامة الكرداوى**» الذى عانى الأمرين من الرقابة ، التى اتهمت فيلمه «**كارت أحمر**» **بالتحامل** على أجهزة الشرطة، بينما يجب علينا أن نقف صفاً واحداً ضد الإرهاب، وهو الاعتراض الذى كان كافياً لرفض فيلم **محمد خان«زوجة رجل مهم»** - وهو واحد من أهم أفلامه وأفلام السينما المصرية- وان كان ذلك يشير الى المنحنى الذى تسير فيه شعارات «الديمقراطية» وعلى كل حال، فقد انتهى الأمر بأن حذف المنتج- دون علم المخرج- ثلث الشريط السينمائى، حتى يتمكن من عرضه «وخلاص» ، فخرج الجمهور- يضرب أخماساً فى أسداس لأنه لم يفهم «**الحدوته**» التى يبدو أن الفيلم يدور

حولها.

سينما النجوم وتوليفاتهم التقليدية

حتى سينما النجوم التى كنا نرفع عقيرتنا من الشكوى منها، فقد انحسرت إلى حد كبير، فليس هناك **لأحمد زكى** إلا الفيلم الباهت **«سواق الهانم»** لحسن إبراهيم، الذى يبدو تقليداً باهتاً لفيلم **«الأيدى الناعمة»**، ولكنك تشعر دائما بأن ما تراه على الشاشة ليس إلا «بروفة» من الممكن حذف بعض مشاهدها، بينما لم يكتمل تنفيذ مشاهد أخرى! ويظل **نور الشريف** فى **«الطيب والشرس والجميلة»** **لمدحت السباعى** يدور فى فلك العودة إلى **«فتوة»** **«فريد شوقى» القديم**، لكن هذه المرة يعود فى حبكة يقول عنها المخرج أنها من تأليفه، بينما تجد فيها الكثير من بعض خيوط سيناريو **وحيد حامد** فى **«الغول»** أو **«بشير الديك»** فى **«ضربة معلم»** لكن المهم أن النجم **«نور الشريف»** -منذ أزمة فيلم **«ناجى العلى»**، والحصار المريب الذي ضرب حوله- أصبح يكرر نفسه- ولعله يجد في فيلمه القادم **«ليلة ساخنة»** فرصة لكي يعود إلي عالم **«سواق الأتوبيس»**، حيث تبدو لحظات **«الفتونة»** أقرب إلى هموم الناس الحقيقية.

أما النجوم الآخرون فقد وجدوا ضالتهم المنشودة فى خلط توابلهم التقليدية ببعض الخيوط السياسية، بشكل يتراوح بين الافتعال والأصالة، فتظل **نادية الجندى** تعيش فى فلك بطلتها الفاتنة القاتلة فى فيلمها **«الجاسوسة حكمت فهمى» لحسام الدين مصطفى**، حيث تعشق البطلة وترقص وتغنى وتتآمر، لكن الهدف دائما هو **«الوطن»**، الذى لن تراه فى الفيلم أبداً، ولن تعرف القضية التى «تناضل» النجمة من أجلها، إلا أن تحافظ على أرقامها القياسية فى شباك التذاكر، كما تواصل **نبيلة عبيد** فى **كشف المستور** «لعاطف الطيب» حربها من أجل النجومية من خلال ما يبدو انه انتقاد للمؤسسات السياسية القائمة، لكن الفيلم يفضل أن يجعل «بضاعته» الرئيسية توليفة من الجنس والسياسة، فإذا كان الفيلم يزعم أنه يهاجم أصحاب السلطة والنفوذ الذين يريدون للبطلة أن تعود لحياتها الداعرة ،وهم يزعمون أنهم يريدون مصلحة **«الوطن»**، فإن عالم البطلة كما قدمه الفيلم يعطى صورة زائفة لهذا الوطن، فبدلاً من أن يجعلها زوجة وأماً أختارت الحياة الوادعة الهادئة، مما كان سوف يثير لدينا تعاطفاً حقيقياً تجاهها، اختار الفيلم الاحتفاظ بالتوابل الجنسية فالبطلة ليست إلا أنثى تسرق رجلاً من زوجته، تقضى حياتها «بالمايوه» على حمامات السباحة فى الفنادق الفاخرة، وترقص -فى لحظات نشوتها أو ألمها على السواء- فوق الموائد فى الحانات الليلية، وتناضل ضد الدعارة عن طريق المخادع وغرف النوم، بينما بقية الناس من حولها- كما اختارهم الفيلم- يفضلون العودة للأيام الماضية الجميلة (التى تعنى عندهم استئناف العمل فى الدعارة!)، وإن كان الفيلم يزعم أيضا أنه يحذر من قيام «الدولة الجديدة»- ويعنى بها التطرف الدينى- لكنك ترى الفيلم فتستنتج أن المؤسسات القائمة- أيا كانت درجة قسوتها -متلائمة تماما مع مثل هؤلاء «المواطنين»، أو لعلك قد تصل إلي أن التطرف ذاته هو الحل المثالى لمثل هذا المجتمع البائس، الذى أراد الفيلم الدفاع عنه، فصنع منه «بضاعة» يختلط فيها الجنس والسياسة.

فى توليفة سياسية أخرى، يقدم **محمود عبد العزيز** فيلمه **«خلطبيطة» لمدحت السباعى** و **«زيارة السيد الرئيس» لمنير راضى**، وكلاهما يميل الى السخرية المريرة، لكنها دائما- وتلك مفارقة تقع فيها معظم الأفلام المصرية- **تنتهى إلى السخرية من بسطاء الناس**، بدلا من أن توجه سهام نقدها إلى من أفضوا بهم إلى تلك الحالة من السلبية واستلاب الوعى، لكنها على أية حال هى السخرية التى سوف تتيح للنجم توابل «الفرسكة» والتهريج، حتى من الشخصية التى يتصور أنه يدافع عنها، على الطروف الآخر، فإن **عادل إمام** فى **«الإرهابى» لنادر جلال** أراد السخرية فى بداية الفيلم من بطله الإرهابى، فجعله متجهماً دائماً، لكنه يريد منا فى النهاية أن نتعاطف معه عندما يعود إليه رشده، وإن كنا لم نصدقه فى الحالتين، لأن حبكة الفيلم التى اعتمدت على قصة جاهزة لكاتب السيناريو **لينين الرملى**- سبق له تقديمها فى سهرة تليفزيونية-تدور حول عصابة من اللصوص والمجرمين، لذلك فإنها لم تلمس أبداً أن ظاهرة **«التطرف»** حالة إجتماعية- بكل ما يعنيه السياق الاجتماعى- شديدة التعقيد، لا يمكن تلخيصها على هذا النحو فى **«إرهابى»** مجرم بطبيعته، لكنه - وتلك مفارقة أخرى- ينقلب فجأة ليعرف الحب الرومانسى، ويتقبل أكثر الأخلاقيات البرجوازية تهتكاً، عندما يعيش أياماً وسط العائلة الثرية التى وفرت له المأوى جريحاً وهى لا تعرف حقيقته!

«ميشيل بيكولى فى دور والد رام»آدم»



ليس غريبا وسط هذه الأفلام المتواضعة -فى شكلها ومضمونها- لأهم نجوم السينما المصرية، أن يصبح فيلم **«يوسف شاهين» «المهاجر»** هو «كحكة اليتيم» التى أثارت الكثير من ردود الفعل المتناقضة، أكثرها الاعجاب وأقلها الاستهجان، ولا شك أن **يوسف شاهين** من داخل الفيلم وخارجه -قد نجح فى أن يضفى على عمله السينمائى الكثير من البريق الذى قد نختلف في مدى أصالته. (وربما كان من المفيد أن نعيد إلى الأذهان أحد أفلام **محمد خان** من الانتاج المشترك، وهو **«أحمد وزينب»**، الذى كان بفضل التمويل نوعاً من **«الكارت بوستال»** الجميل، لكن إن تأملت الحقيقة وراء عدم اهتمام **محمد خان** نفسه بتذكير الناس به، فلأن الفيلم لا يتمتع بذلك الحس المصرى الدافئ والمتوهج فى بقية أفلامه، أو قل بالأحرى لأنه يفتقد الأصالة التى يصر «المهاجر» على الزعم بها) . لكن أكثر ردود الأفعال استفزازاً فكانت بدورها متناقضة، وتراوحت بين تحويل الفيلم الى القضاء لمحاكمته وإصدار الحكم عليه بالمصادرة- وهو الأمر الذى يثير الأسى ، والأسف على ما تواجهه الأعمال الابداعية فى كل المجالات من عنت ومطاردة- لكن البعض الآخر رأى أن فيلم **«المهاجر»** يؤكد على عدم وجود أية أزمة تعانى منها السينما المصرية (هكذا) ، لكن أصحاب هذا الرأى لم يتفضلوا علينا بأية اقتراحات لأن يحاكى السينمائيون المصريون تجربة «المهاجر» وصاحبه!.

انتصار فيفى عبده

لم يستطع أن ينجو من الحصار الذى فرضته السياسات الحكومية القائمة على السينما المصرية، إلافيفى عبده وحدها، التى فرضت نجوميتها من خلال ثلاثة أفلام (من بين الثلاثين فيلماً المعروضة هذا العام)، **وليس لذلك تفسير سوى أن «سياسة» فيفى عبده هى«الأكثر ملاءمة، إما لأنها نتاج السياسات القائمة، أو لأنها تعمل بنفس الآلية التى تستخدمها هذه السياسات**.وربما استطعت مع بعض التجاوز أن تطلق على أفلام فيفى عبده أنها من نوع**«الإنتاج المشترك»** ، لأن التمويل الدائم- والذى لا ينضب -يأتيها دائما من خارج صناعة السينما، وربما خسرت «النجمة» الكثير فى أفلامها- ولا تلتفت كثيرا لما تقوله عن ارتفاع أجرها ، فهى تنفق أضعافه على الدعاية المباشرة وغير المباشرة ، لكن المهم هو أنها قادرة على التمويل من جديد، لذلك يمكن اعتبارها -دون منافسة- هى الدليل الوحيد على عدم وجود أزمة فى السينما المصرية.

لكننا- وبالرغم من وجود **فيفى عبده** فى عالم صناعة السينما، أو ربما بسبب وجودها- فإننا ما نزال نطرح السؤال حول الطريق للخروج من الأزمة الخانقة التى تعيشها السينما المصرية، عشرات الإجابات يمكن أن تجدها ، وعشرات الاقتراحات تقبع فى أدراج المسئولين عن الثقافة وعن الاقتصاد، (وكلاهما يبدو أنه يعيش فى جزيرة معزولة عن أخرى، أو كأنه ينتمى إلى حكومة أخرى)، لكن المسئولين على اختلاف اختصاصاتهم يؤمنون بمبدأ واحد ، هو الوحيد الذى يحتفظ به لنا صندوق النقد والبنك الدوليين من بين جميع نظريات الرأسمالية وتطبيقاتها، وهو المبدأ الذى يعود الى أيام «سيدنا» آدم سميث ، ويقول برفع الدولة يدها عن كل النشاطات الاقتصادية. أرجو أن تدع جانباً أن ذلك يعكس نوعاً من «الشمولية» أقصى وأقسى من أى شمولية أخرى، أو أن يذكرك البعض فى تخابث بأن الدولة لم ترفع يدها أبداً عن كاهل المواطن المصرى أو ترخى قبضتها عن عنقه، أو حتى بضرورة التفريق بين«الدولة» و«الحكومة» (فالحكومة الحالية تبيع أصول الدولة ، وكأنها ترفع شعار:**«أنا الدولة ، والدولة أنا»** ، أرجو ان تصرف نظراً عن ذلك كله، وتقارن فقط بين المسئولين عندنا والمسئولين فى «الحكومة» الفرنسية(وهى بلا شك تتبع النظام الرأسمالى) ، **فقد تدخل الفرنسيون بقوة لحماية صناعة السينما الفرنسية فى مواجهة اتفاقية «الجات»**، وهى الاتفاقية التى يتصور البعض- أو يحاول أن يصورها- على أنها جزء من **«النظام العالمى الجديد»** ، الذى يجد عندنا من يدافع عنه أكثر من أصحابه.

إن كانت هناك بارقة أمل فى إنقاذ صناعة السينما الوطنية فليس هناك أقل من أن نحلم- مع الرأسماليين الحقيقيين- بأن تتركها «الحكومة» لشأنها ، ودعك من الأحلام- التى يتهمونها بأنها اشتراكية أو شمولية- التى تنادى بضرورة دعم«الدولة»، لها **لابد إذن من رفع كل القيود الضرائبية الجائرة التى لا تشجع على بناء دور عرض سينمائية جديدة، والتى تدفع بالفعل إلى إغلاق الدور القائمة الواحدة بعد الاخرى**.فالعائد الأساسى للربح من صناعة السينما يجب أن يأتى- مثلما كان دائما- من داخل مصر، وليس هذا مجرد ضمان لاستقلالية هذه الصناعة عن أية تبعية ، بل هو شرط لوجودها، ولنتذكر أن **أزهى عصور السينما المصرية- وقبل ظهور السوق النفطية بزمن طويل- كانت حين استطاع الفيلم المصرى أن يدر الأرباح لمنتجه سنوات طويلة ، يظل الشريط السينمائى يعرض خلالها فى القرى والمدن الصغيرة**، بل إن هذا هو الحال فى أمريكا، وهذا أيضا هو السبب فى رفض فرنسا- أو تأجيلها-لتطبيق اتفاقية «الجات» فيما يخص الأفلام، لأنها تعلم أن أمريكا لا تسعى إلى الربح وانما إلى الهيمنة الثقافية، ولأن فرنسا تريد لصناعتها الوطنية الاستمرار من خلال الربح فى العروض المحلية أولاً.

ولابد من إعادة النظر فى كل الرسوم والضرائب القائمة حالياً علي جميع مراحل صناعة الأفلام. ولا مفر من دراسة تأثير انتشار القنوات الفضائية علي صناعة السينما ، واتخاذ القرارات التي تضمن عدم«حرق» الفيلم المصري ببيعه بثمن بخس لإحدى هذه القنوات ، بسبب المضاربة التي يدخلها بعض المنتجين الذين يؤمنون بطريقة «اكسب واجر».

وفى الحقيقة أنهم يفعلون ذلك لأنهم يجدونها الفلسفة السائدة، حتى لدى **الحكومة التى تصلح من ميزانيتها عن طريق فرض الضرائب بدلاً من تشجيع زيادة الانتاج**.. وهى فلسفة «الموظفين» الذين اشار لهم الدكتور **جلال أمين** منذ أكثر من عشر سنوات فى كتابه **«محنة الاقتصاد والثقافة فى مصر»**، بأنهم يمثلون «الموقف التكنوقراطى الذى يقوم فى أغلب الأحوال بتجريد المشكلة الاقتصادية من جوانبها الاجتماعية والسياسية» وعذراً للدكتور **جلال أمين** اذا كان بعض المسئولين عندنا قد اصبحوا عاجزين حتى عن تجريد المشكلة الاقتصادية ، فهم لا يعرفون ما هى« المشكلة» وينكرون أحيانا وجود أية أزمة ، أو يحاولون إقناعك بسياسة صندوق النقد الدولى المتمثل فى الحكمة القائلة**«اشتدى يا أزمة تنفرجى»** ، وأخشى أن يكون المسئولون يرون الحل أيضا فى ترديد بعض أبيات الشعر الواردة فى«إغاثة الملهوف» ، لكن ما أخشاه أكثر هو أن يكون القصد والمعنى من انفراج الأزمة بعد طول اشتدادها، هو أن يموت المريض بعد عذاب الاحتضار الطويل، وعند ذلك فقط سوف يتضح لنا صواب موقف موظفى السياسة والاقتصاد من أنه ليست هناك أية ازمة تعانى منها السينما المصرية، لأنه لن يكون هناك عندئذ أى سينما مصرية !.

المسرح المصرى وبصيص الأمل

د. مجدى عبد الحافظ

ما أروع أن يجد الانسان فجأة بصيصا النور ، وسط الظلام الحالك الذى جعله يلتحم بالظلمة طويلا ، وما أعظم أن يجد الظمآن قطرة ماء وسط لهيب الصحراء القاسى الذى انهكه ، ولا أعمق ولا أصدق من أن يخرج علينا أحد الفنانين ، ومنظرى الفن المرموقين بقضية المسرح والوطن، ليعيد إلينا بعضا من الثقة فى هذا الزمان الردئ. وذلك ما يتجلى فى الورقة التى تقدم بها **الدكتور حسين عبد القادر لبرنامج عمل فرقة الفن للعروض التجريبية** وهو مديرها العام ، وهى فرقة تابعة لقطاع الفنون الشعبية بوزارة الثقافة.

استطاعت هذه الورقة تبديد الكثير من الأوهام ، وكسر الكثير من الخيالات القائمة على غير أساس ، إذ استطاعت أن تضع النقاط فوق الحروف عندما التزمت منذ البداية منحى علميا ، ومنهجا موضوعيا ، لم يترك المجال للتزييف والادعاء ، بل اتسمت الورقة بجدية البحث العلمى ،وحرارة الهْم الوطنى الثقافى. فالمسرح حسبما تراه الورقة هو «التوازن الضرورى الذى يقوم بدور فعال فى إعادة بناء الواقع ، الذى يسهم فى إدراك النقيض وفهم قيمة الأنا وبعد الآخر، وترسيخ قيم الجمال والاهتمام بالخلق والتشييد ،مما يسهم فى إرادة التغيير عندما يتخلق الفرد ضمن المجموع ، وينمو الحس الجمعى مع الآخرين وتتعانق فيها الضرورة المطلقة مع الحرية المطلقة ، فهو اتحاد بين جوهر التجربة الداخلية العميقة والمعيش الخارجى الحى. إنه فن مغروس بعمق فى الوجود الشخصى والجماعى ، من حيث أصوله وموقفه من الواقع واستشرافه للمستقبل ، وهو فى ذلك كله يقوم على فهم واع بديناميات حركة المجتمع والتاريخ ، فهو يتحدى ويصوب ويرسخ ويتجادل ويسهم فى صنع أفكار جديدة ، وما أكثر وظائفه وأهدافه التى لا يمكن أن تسلم بتهافت المضمون ، أو أن تقف عند دغدغة حواس الجمهور».

هذا الفهم الراعى لطبيعة المسرح ودوره الطليعى حدا بالقائمين على فرقة الغد على قبول التحدى إذ فى ظن د. **حسين عبد القادر** «أننا .. قد أصبحنا على مشارف الساعة الخامسة والعشرين وهى الساعة بعد الأخيرة ، وكأننا فى مفترق طريقين «نكون أو لا نكون» . هذا الإصرار على النجاح ، وقبول التحدى إلى الإعداد الجيد والمنهجى للورقة التى حاولت أن تنظر بتؤدة و عمق لتاريخ المسرح المصرى بحلوه ومره لتخرج بنتيجة مفادها بأن هناك «قرارات تتبدل وسياسات تتوالى دون خطة علمية ذات استراتيجية ثابتة لا تتغير بتغير الأشخاص» ويضع د. حسين عبد القادر إصبعه على أسباب ذلك التخبط حين يحصره فى «غيبة تخطيط يقّوم الأمس ويستشرف الغد، ويقوم على فلسفة وأهداف ومنهج ، وقيادات وكوادر تؤمن بقيمة العمل ، وبأن المسرح لن يتقدم بآراء لم تفكر فى موضوعها ، وغاب عنها الوعى بالأولويات التى تزيف الإيمان بدور المسرح ورسالته ، وديناميات الواقع وحتمياته».

ويخلص إلى «**أن الفن سلاح ذو حدين ، يعطى الإنسان آمالا ويصنع غده ، لكنه بين إيد غير مسئولة يمكن أن يسهم فى تحويل الانسان العاقل إلى مجرد حيوان ذى قدمين**»!!. ولكى يتدارك حساسية البعض تجاه الستينات يستشهد كاتبنا بالخمسينات ليجد أن **الفرقة المصرية الحديثة** (المسرح القومى الآن) قد قدمت فى موسم ١٩٥٣-١٩٥٤ أربع وثلاثين مسرحية ، ويتحسر على هذا الزمان الجميل ويتساءل عن مجئ مثله ، مؤكدا أنه من الممكن أن يجئ أروع منه، خاصة عندما يبرأ الفنان والإدارى «من اللبس بين الذاتى والموضوعى، ويقترب من الوقائع فاهما إياها ، إذ يقرأ ماضيها وحاضرها متحديا سلبياتها ، مصوبا مسارها ، مبدعا للغد واعيا بما كان ، لما سيكون ، مستشرفا تخوم المستقبل، بالتخطيط العلمى وطاقتى الحب والعمل ، بعيدا عن رتابة المقاطع المحفوظة التي ترددها جوقة مستسلمين للراهن والمألوف ، محاولين إخفاء التناقضات مغمضين الأعين عن الحقيقة ، فالمألوف الذى وقعنا فى براثن لزوجته يجب أن يتحول إلى مدرك نتجه به إلى اكتشاف اللامتناهى ، بتعمق المتناهى -مع الاعتذار لجوته- آنئذ علينا أن نملأ شراعنا بالرياح التى تعرف متجهاتها كى نبلغ شطآن الغد..»

ولكى يبلغ شطآن الغد حاول كاتبنا أن يضع الخلفية التى سيسير عليها عمل الفرقة، والتزم فيها بالموضوعية ، ورحابة الأفق وحدة البصيرة إذ يقول «ونحن نحرص على كل آخر كى يصوب نهجنا ومنهجنا وخطة عملنا ، ولا نزعم فى كل ما سنقوله له أننا وحدنا الذين نملك الصواب والحقيقة إن كانت كذلك- بل إنهما يظهران بكل الشفافية فى صميم الجهد الذى نبذله فى الجدل مع الآخرين مصوبين إيانا ، متحاورين معنا ، مساندين لخطانا ، مقدرين أهمية خلاف الرأى ونقيضه ، مدركين أن الموضوعية الحقة، حق الفطنة إلى حتمية الذاتية ، التى نحاول أن نكبح جماحها بأن نمسك بغلواء ذواتنا».

وقد صدر القرار الوزارى المتضمن إنشاء الفرقة وحدد رسالتها» فى محاولة البحث الدائم والدؤوب عن مختلف الأشكال والصيغ المسرحية التجريبية لتقديمها فى مسرح الغد استهلاما من التراث المسرحى المصرى والعربى والعالمى .. فنستشرف مستقبل المسرح المصرى برؤيته داخل مكانه فى خريطة المسرح العربى من جانب ، وموقعه من المسرح العالمى وحجمه من الجانب الآخر».

ولكى يوضع هذا القرار محل التنفيذ قام **د. حسين عبد القادر** بجولة داخل المعاجم والقواميس ليحدد ويضبط مصطلح«التجريب» ، وهى خطوة توضح إلى

أى مدى اتسمت الورقة بالعلمية الأكاديمية ، فنراه يرفض اتجاه «التجريب للتجريب» ، ويحدد رأيه فى أربعة نقاط أساسية:

١- «التجريب علم، والمسرح علم» يعانق المتخيل والابداع فيه أفق العلم ، وكأن التجريب فى المسرح لابد أن ينطلق من تراكم المعرفة العلمية للظاهرة المسرحية فى أى من مفرداتها ، حتى نتخطى المألوف ونقدم الجديد فى ضوء فروض ومحكات علمية.

٢- التجريب ملازم للإبداع، استباقا دائما للزمن و للجديد ، لكنه مستحيل أن يبدأ من مطلق ، أو من هشاشة معرفية ، أو فى سياق عفوى يستهدف اللامعنى».

٣- «قد ينطلق التجريب من تلقائية تمسك بتلابيب التداعيات الطليقة، لكن حتى التداعى الطليق ، إنما هو فنية علمية فى مقام أساسى تحتاج لبصيرة المبدع لا بصره فحسب» ، ويضيف باندهاش «إن كلمة فن Art بعامة فى أصلها اللاتينى إنما تعنى القدرة على إحداث نتيجة سبق تصورها بواسطة فعل خاضع للوعى بالموضوع وتوجيهه».

٤- «التجريب قصدية إدراك لموضوع وفهم له من خلال تراكم المعرفة التى تحاول أن تبدع الجديد فى مسارها ، بالتدخل فى مسرى الظواهر للكشف عن فرض من الفروض فى أى من مفردات الظاهرة المسرحية أو التحقق من صحتها ، حيث يحقق التجريب بشكل إرادى ، نتائج بعينها فى ضوء شروط محددة تماما».

ولكى يجيب د. حسين عبد القادر على السؤال لم؟ يحاول أن يكشف دور المسرح فى الحياة العامة كظاهرة اجتماعية مرتبطة بالتجربة الجماعية بحساسية كبيرة، ومن هنا ينفرد مسرح **حسين عبد القادر** بأنه يعيد البناء ، ويقيم جدلاً بناء مع هموم المجتمع ويتسم بقدرة على التصويب والتحدى والترسيخ والتعميق والإسهام فى فهم الواقع «إذ ينظر للقوانين الموضوعية لتطور حركة المجتمع والتاريخ ليسهم بعروضه فى صنع إجابات جديدة ، أو ليضع تساؤلا جديداً يواجه التخلف ، ويدخل العالم معه فى جدل معرفى ، دون أن يصبح مؤسسة إعلامية أو تعليمية بمعناها الفج، فهو مؤسسة ثقافية تحاول أن تخلق نغمة تصاعدية ، فى هارمونية عروض إبداعية تدرك أن الثقافة ، رغم كونها بناء فوقيا يمثل مجمل التراث الاجتماعى الإنسانى للمجتمع ، والذى تنتجه علاقات وقوى إنتاج ، إلا أنها رغم كل شئ ومن خلال طلائعها المثقفة ، كان يجب ألا تهدر دوراً فى إرادة التغيير وتصحيح المسار لما يجب أن يكون الأمثل لا مجرد الممكن . **إن الثقافة لدى مسرحى ، ليست شكلا ونتاجا ،ولكنها موقف من الحياة وقيم أصيلة تتواصل بالآخر . وتستشرف الغد، والمسرح ساحة للمواجهة التى تتخطى القائم الذى أثقلت خطاه تراكمات لا حد لها ، كما أنه عملية استكشاف إبداعية خلاقة يتحول فيها الفن إلى أداة فعالة .**

ويؤمن **حسين عبدالقادر** بديمقراطية الثقافة ولذا فهو سيعمل لإقامة الجسور الفعالة بين مسرحه وبين الجماهير فى مواقعها المختلفة (المدرسة والجامعة ومركز الشباب ، والنادى الرياضى .. الخ) وبنبرة العالم المتواضع يقول: «ما أروع أن نتبادل الخبرات مع الجماهير ، فحتى فى نجوع مصرنا نحن على ثقة من أننا سنتعلم من البسطاء ، بقدر ما سنحاول أن نخلق وعيا بالمسرح ودوره ،ويكفى أن المسرح على اختلاف أزمانه أنما هو مسرح كل إنسان»، ويرى فناننا أن هذا لن يتحقق إلا عبر التخطيط العلمى المدروس فى ظل استراتيجية تعمل للحاضر والمستقبل معا (ونأمل ألا تتغير بتغير الأفراد) وتقوم على فلسفة ومنهج يحقق أهدافا واضحة».

ويبدع حسين عبد القادر منهجا لمسرحه الذى يسميه الغنى- البسيط الذى يعتمد على عناصر الغنى حينما يتوفر «النص المسرحى الجيد ، والمزج الخلاق الذى لا يفن بجهد، والممثل المبدع المتمكن من أدواته ، والتواق لاكتساب الجديد» ، وهذا كله فى مقابل أن «تتلاشى الحذلقات المهنية التى تستنزف الميزانيات ، دون أن تحقق شيئا لصالح الظاهرة المسرحية» ،وهو يرفض فى نفس الوقت استلاب العناصر المساعدة فى العرض المسرحى (ماكياج ، وموتيفات الديكور .. الخ) ما دامت اقتصادياتها المادية ميسورة وبسيطة ، وهو بهذا يحاول أن يحقق معادلة فى المسرح المصرى وذلك حين يوفر فى التكاليف ويستثمر فى نفس الوقت الأموال فيما يعود بالنفع على «الظاهرة المسرحية فى شمولية أبعادها» وذلك لتنميتها ويحقق «فى الآن نفسه انتشارا واجبا بأن ينتقل للجماهير فى مواقعها المختلفة» ، ولهذا فهو يعول على تخفيف الفراغ المسرحى من الكتل التى تثقل على كاهله ، ولا ينسى الاهتمام بالفنان من الناحية المادية «والذى تدنت مرتباته إلى حد مخجل» وذلك بتطوير اللوائح المالية .

ويضع فناننا الكبير خطته التفصيلية فى التجريب على محاور متعددة لتحقيق أهدافه التى يجملها فى ست نقاط تتفرع وتتشعب لعديد من النقاط الفرعية ، والتى تدل على الإحكام الشديد لتلك الورقة ، هذه الخطط يأمل د. حسين عبد القادر فى تنفيذها بالاشتراك مع البيت الفنى وأجهزته المختلفة ، بالاضافة إلى جوقة عمل الفرقة التى ستعمل «ككتيبة تناضل وتستكشف للغد، مستلهمة مرة أخرى روح الرفاقية ، والزمالة الحقة، أو البحث الدؤوب ، وأخلاقيات العمل ، والإيمان بالوطن والمسرح والإنسان».

ثم يطرح برنامجا طموحا تقدم من خلاله الفرقة **سبع عشرة مسرحية فى السنة الأولى** وهو برنامج تفصيلى مطروح على المختصين علهم يساعدوا فى عملية الاختيار الصعبة التى تبدأ من المسرح الفرعونى ، فاليونانى وتسير لعصر النهضة إلى القرن التاسع عشر ، ولا تنسى التجمعات الجغرافية فى آسيا وأفريقيا والمشرق والمغرب العربى ، لتعرج على الجيل الوسيط والحديث فى مسرحنا المصرى ، مستلهمة أيضا لتراثنا العربى.

إن ورقة د. **حسين عبد القادر** التى يبحث من خلالها ، «عن ميلاد متجدد لمسرحنا(تحدوه) رغبة متعطشة بآمال الغد وإن (كان يعرف أنه يحلم) لكن الحياة فى ذاتها حلم» هذه الورقة جعلتنا جميعا نحلم ، بل وجددت أحلامنا التى كدنا أن ننساها، ونتخلى عنها ، جددت فينا هذا الأمل الذى كاد أن يندثر ، وأعطت للمسرح المصرى بصيصا آخر من الأمل والرجاء ، وهى جديرة بأن تحظى بالمناقشة الواسعة فى أوساط المهتمين ، وبالأهمية التى تستحقها ، عسى أن يكتب للمسرح المصرى مرة أخرى نبض الحياة والنجاة لما يحاك له ويُدبر فى الظلام ، مرة أخرى تحية للفنان الدكتور حسين عبد القادر.

الندوة الدولية الموازية لبينالى القاهرة الخامس

فتحت للفنانين والنقاد المصريين نافذة حقيقية على الإبداعات والتيارات الفنية المتباينة فى العالم من خلال تلك الندوة التى عقدت من السابع عشر من ديسمبر وحتى

العشرين منه تحت رئاسة الفنان **أحمد فؤاد سليم** رئيس الفرع الرئيسى للاتحاد الدولى لنقاد الفن التشكيلى مع سبعة وعشرين متخصصا إما فى نقد الفنون التشكيلية أو فى فلسفة علم الجمال من جميع أنحاء العالم، وعلى الرغم من أن موضوع الندوة كان مثيرا بالنسبة لهؤلاء المتخصصين ، إلا أنه كان يبدو مبهماً خارج نطاق هذه القاعة، للصحفيين والجمهور هذا ما توقعته أول الأمر ، ولكن ما إن بدأت الندوة حتى أكتشفت أن الموضوع غائب عن الساحة الفنية والنقدية أيضا فى مصر.

والندوة تتعلق بفترة التحول ثم فترة تحول هذا التحول فى الفن فى العقود الثلاثة الأخيرة من هذا القرن والتى ظهر فيها أهم تيارين صنفا مدارس واتجاهات الفن التشكيلى وهما **«الآفان جارد» والترانز آفان جارد»** ، **الآفان جارد** فى ثورته على سياقات الفن وعلاقته بالسوق «سعر اللوحة- تاجر اللوحة -مقتنى العمل الفنى وبالمعرض «الحدود المكانية لاحتواء عمل فنى- اللوحة المعلقة على«الجدار» ، والمتحف« الحالة الاستاتيكية» التى تحكم العلاقة بين العمل الفنى ومتلقى الفن ، وكذلك الرغبة فى التفاعل مع المعرفة «العلمية» من خلال أدوات التكنولوجيا الدقيقة، ثم تحول هذه الحالة مع ظهور مجموعة **«الترانز آفان جارد»** فى بداية الثمانينات ومحاولة العودة مرة أخرى لاعتماد قواعد العمل الفنى الباطنة فى ذاته ، واحترام جمالية اللوحة المعلقة على الحائط وإجماع الذوق الجمعى فى الـ Nostalgic.

تعرضت موضوعات الندوة للتفاصيل الدقيقة لكلا التيارين من خلال موضوعاتها المطروحة للمناقشة على مدى أربعة أيام تبدأ من العاشرة صباحا وتنتهى فى التاسعة مساء ، عن «الحى» و - «الحركى فى الفن وعن «الثابت» والمتغير فى القيمة الفنية وعن «الصوتى» و«الصامت» وغيرها من العناصر المقترحة للنقاش .

وعلى الرغم من أن هذه الندوة قد آثارت بعضاً من النقد واللغط حولها من طرف المتخصصين وغير المتخصصين ، ودعت الكثيرين للكتابة معها أو ضدها ، إلا أن الإيمان بالاختلاف والتنوع ، بل وأحيانا بالتناقض بين التيارات المختلفة دون أن يحتكر أحد الحقيقية أو يصادر على رأى الآخر هو المفتاح المطلوب لاقتحام الغد ، واستشراف المستقبل ، ولعل هذه الندوة هى الحجر الذى ألقى فى ماء واقعنا الراكد.

مجلة "أصول" وملفاتها المتميزة

صدر أخيرا فى باريس والقاهرة العدد الثالث من مجلة «أصول» التى تصدر عن مؤسسة أصول الثقافة بباريس .

وهى تهدف إلى تقديم مساحة تتوفر فيها مادة التكوين العلمى ومناهجه وأخلاقياته من أجل الاعداد- كما يقول محررها- لجماعة بشرية جديدة قادرة على التأسيس العلمى والنهضة الحضارية .

وهى فى ذلك تعمل على إعادة امتلاك أصول التراث ، حتى لا تستغرقنا نماذج ومعايير الآخر الحضارى ، وحتى تتحول عملية الاغتراف الثقافى -الضرورية- من عيون الثقافة العالمية ، من التبعية والامتثال إلى التمثيل والاستيعاب وإعادة الصياغة والانتاج ، وفقا لهذه الأصول التى ما زلنا نحيل إليها دون أن يكون فى وسعنا تحديدها على وجه التدقيق.

ومجموعة الدراسات التى تقدمها «أصول» فى كل عدد ، تتوزع على ملفات خمس:

١- ملف الأصول الذاتية، لدى الأنا أو لدى الآخر الحضارى.

٢- ملف الحوار الحضارى ، وفيه رأى الأنا فى الآخر، ورؤية الأنا فى مرآة الآخر ، ورؤية الآخر وفقا لمعايير الأنا.

٣- ملف المتغيرات فى النظام العالمى، وتحليل هذه المتغيرات ثقافيا وايدلوجيا واقتصاديا واعلاميا الى غير ذلك.

٤- ملف السجل الفكرى ، وهو أقربها للصراعات الايديولوجية الراهنة ، وإن كان يتوخى الالتزام بالاصول التكوينية والمنهجية والاخلاقيات العلمية.

٥- ملف قراءة النصوص التراثية الكبرى الهامة ، وهو أكثرها تخصصا بطبيعة الحال .

وحسبما يقول اسامة خليل ورباب محررا المجلة:

«لقد أردنا بملفات أصول الخمس الثابتة فى كل عدد أن نقترح تبويبا جديداً فى ميدان الدراسات الثقافية، يتناول قضايا الفكر الجوهرية بشكل تتفاعل فيه المعالجات المختلفة على غرار الموسوعة الثقافية التى تتكامل بالتدريج مع توالى صدور أعدادها.

ولقد حرصنا على أن توفر هذه الملفات رؤية بانورامية لاختلاف الاتجاهات الثقافية



والايديولوجية، وتنوع الميادين الفكرية ، النظرية والعملية ، وتعدد الأقلام العربية والإسلامية والعالمية».

ويستطرد أسامة خليل ويقول:

نحن فى ذلك نصدر عن إيمان بالطبيعة الاختلافية للفكر والوجود الانسانى ، فلقد شكلت جملة التنوع والاختلاف فى تراثنا الحضارى» حصيلة جوهرية ليس بوسع أحد أن يمحوها بجرة قلم ، لعارض فى نفسه ، أو أن يعزلها بفتوى منخفضة ، تفتقر إلى أصول العقيدة المعتبرة وقواعد المنهج العلمى وأخلاقيات الحكم والتقييم».

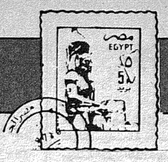
ومن الجدير بالملاحظة:

أن مجلة «أصول» حين تركز على أصولنا الذاتية ، تؤكد أيضا على شبكة الوشائج المعرفية والوجودية التي تجمع ثقافتنا ذات السمات الخاصة بنتائج ثقافات الحضارات الأخرى السابقة والمعاصرة.

وفى هذا تقول الاستاذة رباب الحسينى:

«نحن نشاهد النموذج الحضارى الإنسانى الغربى وغيره من النماذج فى حضارات الشرق، ونريد ان نلتف حول واقعنا الراهن . ،وأن نستأنف الاتصال بأصولنا ومصادرنا العميقة نريد أن نتحدى قدر الموت الذي حدثنا عنه ابن خلدون عندما تدور الدائرة بحضارة ما فتصل بها إلى نهايتها.

ولن نوفق فى هذا المقصد ، إلا بتوسيع أفقنا الحضارى من جديد ، والمواءمة بينه وبين النموذج الإنسانى الإسلامى ، من أجل المساهمة -من جديد- فى صياغة المشروع الإنسانى الشامل ورسم الآفاق من أجل نظام عالمى جديد».



يمين × شمال

سياسة خراب الديار

قدرنا أننا بلد تجمعت على أرضه كل المتناقضات الدنيوية والدينية و رغم ما قيل عن خير مصر وأهل مصر إلا أن الله قد رزأنا بمصائب و كوارث منها الطبيعي ومنها ما صنع في مصر ونحمده في الحالتين . لكن الغريب أن الكوارث الطبيعية التي نبتلى بها نتفنن في تعميقها وتوسيعها وتحويلها إلى كارثة اقتصادية سرطانية لن نشفى منها ولا حتى يوم القيامة وهي تماحيك سياسية مفقوسة . كيف !! في البلاد



د. عاطف صدقي

المتحضرة عند حدوث كارثة طبيعية ينتقل على الفور(أولو الأمر) أي القابضون على صنبور الأكل والشرب والكلام وعدد الأنفاس . ينتقلون إلى موقع الكارثة للاستفسار والرؤية والمعاينة والمواساة والبحث السريع في وسائل الإنقاذ والحماية وتقديم الخدمات الضرورية مع المتابعة المستمرة والإشراف الكامل من داخل موقع الكارثة . وفي نكبة السيول التي اجتاحت (الوجه القبلي خرج علينا أحد المحافظين معبراً عن سعادته الغامرة لأن رئيس الوزراء ، هاتفه معلناً قدومه (غداً) مع وفد من الوزراء (للزيارة) !!! زيارة إيه يا أسيادنا أهي مصيبة أم دعوة لمشاهدة السيرك أو لافتتاح مصنع (كسكسي) يعمل بالليزر . ما علينا . فكل شئ يهون في سبيل الهدف المنتظر من تلك الزيارة الميمونة وسيناريو هذه الزيارة لا يختلف عما هو متوقع ومعروف سلفاً في تلك الحالات.

استقبال مرسوم بمكياج الأسى والحزن ثم فرجة على الخراب ومصمصة وتأسف ثم كلمات طيبات لتطييب الخواطر ثم الوعود بكامل الرعاية من طعام ودواء وملبس وسكن ثم الفرار بسرعة من مستنقع الكارثة للجلوس في المكاتب المكيفة والإدلاء بالتصاريح النارية والقرارات المصيرية مشفعة بالدعوات الإنسانية . ولتبدأ بعد ذلك حملة صحفية بالكلمة واللسان يقودها صحفيون شطار من ماركة ق. ع و ق. خ ، أ. ح .. أ . ج أحدث مصطلح في السوق ومعناه (إيجار بالحتة) لتصب حملتهم جميعاً على أخطاء الأهالي الفادحة وتقصيرهم المشين وإهمالهم الخطير وعدم سماعهم كلام الكبار . وأنه لا توجد حكومة في العالم تضحي وتكافح وتتحمل مسئولية غباء وجهل مواطنيها بقدر ما تتحمل حكومتنا (اللهم صبّرها على ما بلاها) ثم تبدأ موجة الاتهامات والانتقادات إلى كل الاحزاب المصرية و تقصيرها ودورها الهامشي وتخليها عن الشعب ومناهضتها للحكومة واستغلالها الكوارث لكسب (بنطات سياسية) وإمعانها في نشر غسيل الحكومة المبلول على الملأ . نكتة بايخة وقديمة ومن شدة سخافتها تثير الضحك ألا تعلم الحكومة أن لديها ثلاثة



أحزاب معارضة فقط قصقصت ريشهم من زمان وهم التجمع والوفد والعمل وحتى إن كان لهم ثقل سياسى واضح فإن ثقلهم المادى مربوط بالمعونة والتبرعات الفردية .

ولكون الحكومة تعلم ذلك فهى تتعمد عرض مسرحيتها الساقطة لتعرية الاحزاب وتشوية كوادرها وبرامجها وتسفيه سياساتها ومبادئها أمام الرأى العام المحلى والدولى . وهى تدرك أن الوقت ليس وقت تصفية حسابات أو كسب أصوات أو هدم اتجاهات سياسية.

أيها الحكوميون: دعوكم من ألاعيب السياسة ورمى البلاء على الأحزاب والأفراد لتغطوا بها على مساوئكم وتقصيركم وإهمالكم . وانتبهوا فقط لجمع التبرعات وتحصيل الشيكات المحلية والدولية وتخزين المعونات العينية وانسوا إن شئتم هؤلاء المشردين فى قيافى الصعيد وماذا فعل بهم الشتاء وهم بلا مأوى بلا ملبس .. بلا صرف مستحقات.

خالد عبد الرؤوف

ثمن السلام

ما زال الشعار على واجهة «الكنيست» الاسرائيلى .. «اسرائيل .. من النيل إلى الفرات» .. لقد أباحت اسرائيل لنفسها الاستيلاء على أرض فلسطين . وهى لا تعترف بالسلام أو بأية اتفاقيات .. وبقاء هذا الشعار على واجهة الكنيست يعنى أن اسرائيل ليس لها حدود حتى الآن . وأن السلام المزعوم هو استسلام للأمر الواقع .فهل يدرك أنصار التطبيع غير المشروط من سياسيين وفنانين وغيرهم أنهم يفرطون فى حقوق الوطن . وأنه لابد من إلزام اسرائيل بإزالة هذا

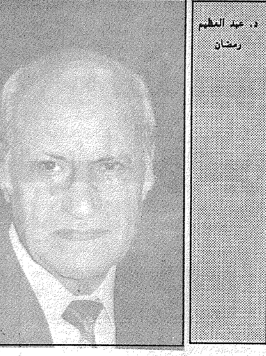
د. عبد العظيم رمضان

الشعار .. وعودة الأراضى العربية المحتلة وعودة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى قبل أن يلهثوا وراء الصهاينة؟

حسين حسن (شبيلوف) مدينة العمال- إمبابة

هيمنة الأدعياء

لا يكاد يختلف إثنان من نحو ٢٠٠ مليون عربى اليوم فى ضرورة قيام وعى قومى عربى وسط تكتلات عالم اليوم .. ولانعاش الواقع العربى بما يجعله قادراً نوعاً ما على التحرك .. لكن اهل النظم الحاكمة فى عالمنا العربى .. لهم رأى مغاير . وهناك أدعياء وطفيليون فى أجهزة الإعلام العربى .. يسارعون ببث الفتن بين هذا وذاك وأمامى للمؤرخ



عبد العظيم رمضان .. مقال «بالاهرام» ينشر بالنص فى «أكتوبر» .. وفى الكويت الجار لله والقائمة طويلة يتم توظيف الكلمات لخدمة السلطان ..

حتى تاهت الكلمات ... وانقلبت جهلاً وضلالاً فهل تنهض الأمة .. بكلمات الأدعياء المتطفلين؟

يحيى السيد النجار - دمياط.

خسرت العالم وكسبت ذاتك

لم أعرف المحامى الراحل أشرف دهشان، ولم أقابله .. ولكنى قرأت كتابه «هل الشريعة هى الحل؟» . ورغم أنه لا يزيد عن الخمسين صفحة من القطع الصغير ، وثمنه زهيد جدا ، إلا أن قيمته الفكرية لا تقدر بثمن -وتمتد قيمته إلى خروجه للقارئ فى هذا الوقت الذى تنتشر فيه قوى الظلام ، فوداعاً أشرف دهشان .. يقول المسيح عليه السلام « ماذا يفيد الانسان حين يكسب العالم ويخسر ذاته ؟ » أنت .. خسرت العالم .. وكسبت ذاتك ..

أشرف صادق
الشرقية.

ع الطاير

** أرجو أن تنشروا من خلال المجلة كتب مثل «رأس المال وديالكتيك الطبيعة» والإسلام وأصول الحكم وفقه اللغة..».

محمد ابراهيم أبو بكر النزل- منية النصر- دقهلية

** اقتراحك أحيله إلى مجلس المستشارين وهيئة التحرير لدراسة امكانيات تخصيص مساحة لعرض الكتب ، سواء كتب التراث أو الجديد فى عالم الكتب.

المحرر

**** الصديق سيد عبد الراضى عبد الرحيم -القوصية -أسيوط:**

رسائلك طويلة جداً ، ونحن نحاول أن نستغل كل مساحة فى فكرة جديدة لقارئ أو صديق .. ننتظر فى رسائلك القادمة تركيزاً أكثر ، فى المساحة ، وفى الأفكار .. على الأهم والمفيد للحوار ولإثراء الفكر والإسهام فى زيادة القدرة على مواجهة الواقع.

المحرر

مداخلات

نقد شيوعى لبرنامج غير شيوعى

فؤاد النمرى

ادعى أحد المراقبين الذين يعيشون فى موسكو أن **الحزب الشيوعى الروسى** قد احتفظ باسم «الحزب الشيوعى» فقط ليرث ممتلكات الحزب الشيوعى السوفياتى فى روسيا كما يمكنه القانون هناك وان هذا الحزب هو حزب الطبقة الوسطى ، الطبقة الأكثر فاعلية فى الحياة السياسية فى روسيا.

قراءة برنامج الحزب الشيوعى الروسى الذى نشرته «اليسار» فى حلقات ثلاث تثبت صحة ادعاء هذا المراقب ، فأى حزب شيوعى لا يمكن ان يضع برنامجا لا يمت الى الافكار الشيوعية بصلة من مثل برنامج **الحزب الشيوعى الروسى** . ولو لم يتورط هذا الحزب فى حبك لعبة قانونية علي القانون من أجل ان يرث ممتلكات الحزب الشيوعى السوفياتى الضخمة فى روسيا وفرض علينا بذلك ان ننظر فى برنامجه رسميا على الأقل كبرنامج شيوعى ، لما لزم علينا التعرض لمثل هذا اللغو السخيف الذى لا نجد غيره فى هذا البرنامج ، اللغو السخيف سخافة فكر الطبقة الوسطى،ان كان لها فكر. الذى اضطر محرر «اليسار» الى مطابقته الى حد بعيد على فكر اليسار العربى بعامه.

تقرر وثيقة **«جينادى زيوجانوف»** أن اليسار ليس لديه أى تحامل على الغرب ، أمريكا وبريطانيا وألمانيا وفرنسا ، ويقدر الحضارة الغربية تقديرا عاليا (كذا!) . أى **يسارى ولا اقول اى شيوعى يدرك تماما أن جوهر الحضارة الغربية ،الحضارة الرأسمالية ، هو الاستغلال**،استغلال الانسان لأخيه الانسان ، وقد كشف ماركس عن حقيقة هذا الاستغلال فوجده أبشع استغلال عرفه بنو الانسان عبر مراحل التاريخ المختلفة . بل ان **زيوجانوف** نسى نفسه عندما قرر فى بداية وثيقته ان الازمة العامة العالمية التى قد تفضى الى هلاك البشرية انما تنبع اصلا من اصرار الدول الغربية على الاحتفاظ بامتيازات «المليار الذهبى» المستهلك لعشرين ضعفا مما يستهلكه باقى البشرية البالغ حوالى خمسة مليارات نسمة زيوجانوف (الشيوعى» يخشى على كوكبنا الأرضى من الانهيار نتيجة «الاستمرار بهذه الحضارة -الحضارة الغربية» لكنه مع ذلك «يقدر الحضارة الغربية تقديراً عالياً».

تقدم وثيقة **زيوجانوف** مسألة الجيوبوليتيكى كعنصر هام وضرورى للحياة الدولية وهو ما يكشف عن الطبيعة البورجوازية للذهنيه التى يتناول بها الحزب (الشيوعى) الروسى القضايا السياسية والاجتماعية التى يواجهها . اعتبار **التوازن الجيوبوليتيكى ضرورة جوهرية للحياة الدولية هو نفى مطلق للتطور التاريخى حيث ان نقطة التعادل بين قطبى المغناطيس هى نقطة ساكنة لاحراك فيها**.لم يكن العالم يوماً من ايامه جسما مغناطيسيا متعادل القطبين واعتماد زيوجانوف أن الاتحاد السوفيتى كان قد ورث الموازنة الجيوبوليتيكية من روسيا القيصرية اعتقاد خاطئ لا تسنده الوقائع التاريخية . لم يكن لدخول روسيا القيصرية الحرب لجانب .بريطانيا وفرنسا ضد المانيا والامبراطورية العثمانية أى أثر يذكر- خرجت الدولة السوفيتية من الحرب بعد انهيار الجبهة الروسية انهياراً مريعا واضطرت الى منح الألمان امتيازات استراتيجية ومع ذلك انتصرت بريطانيا وفرنسا فى النهاية . هذه الصورة لا يمكن مقارنتها بحال الاتحاد السوفياتى فى عام ١٩٤٥ حين **استطاع الجيش الاحمر وحيدا ان يهزم المانيا الهتلرية بكل ما هيأت لها اوروبا من قوة وموارد** . وحين انعدم ميزان القوى فى العالم وخرج الاتحاد السوفيتى أكبر واعظم قوة على الأرض . ان مفهوم التقاطب الثنائى للحياة الدولية هو مفهوم ستاتيكى أولى مقتضياته استبعاد مفهوم الصراع

الديالكتيكي الذي يقر أبداً بفكرة التعادل من جهة ويقدم نفسه باسبابه من جهة أخرى. **فاذا كان المفهوم الديالكتيكي مفهوماً تقدميا فإن المفهوم الستاتيكي مفهوم رجعي.** ما يدعو للريبة حقا ان زيجانوف يوثق زورا وراثة الاتحاد السوفيتي للموازنة الجيوبولتيكية المزعومة من روسيا القيصرية في الوقت الذي يعزف فيه عن توثيق ثورة أكتوبر الاشتراكية وقيادة الحزب الشيوعي البولشفي الجماهير الكادحين والفقراء الروس لاجتراح أول ثورة اشتراكية في تاريخ البشرية ، **ويتجاهل تماما حقيقة ان قوى الاشتراكية العالمية هي التي حمت وبنت الدولة السوفيتية قاهرة النازية**،ثم المعسكر الاشتراكي الجبار الذي ضم ثلث مساحة العالم واستطاع ان يحاصر معسكر الامبريالية حصاراً كاد ان يكون قاضيا في نهاية الخمسينات . يبدو جليا تماما أن زيوجانوف قد ورث من الحزب الشيوعي السوفيتي غير البولشفي الافكار البورجوازية للطبقة الوسطي قبل ان يرث ممتلكاته وأمواله.

التناقض الفاضح الذي تقع فيه وثيقة زيوجانوف التي تمثل **برنامج الحزب الشيوعي، الروسي** هو انها في الوقت الذي تدعو فيه الى استعادة روسيا لدورها كضامنة للتوازن الدولي واعتماد «توازن المصالح» أساسا لسياستها الخارجية فانها تشترط استبعاد أي ادعاءات جيوبولتيكية !!

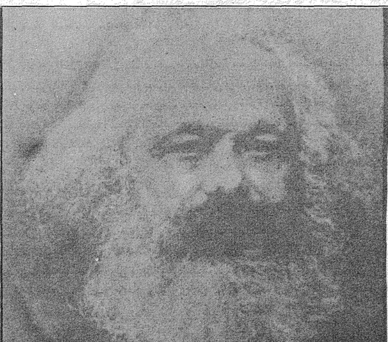
لماذا يكلف الشعب الروسي نفسه اذا باعباء تعديل ميزان القوى الدولى اذا لم يكن لديه سلفا أي ادعاءات جيوبوليتكية؟؟ جميع الدول الغربية لها ادعاءات جيوبوليتكية بالطبع تتمثل بالحاق بلدان اخرى الى اسواقها ، هي تموت بدون هذه الاسواق . يبدو ان زيوجانوف استاذ العلوم ينسى العلوم عندما يتحدث في السياسة ، فمجال القطب المغناطيسي يمتد على طول الجسم المغناطيسي ليصل الى مركز القطب الأخر ويؤثر فيه ، وينسى أن هذا المجال يتعارض ويتناقض بطبيعته مع مجال القطب الآخر ، أما اذا اختار زيوجانوف الادعاءات الجيوبوليتكية الرخيصة «غير المكلفة» فما عساها تكون هذه الادعاءات؟

هل هي فتح اسواق للصناعات الروسية غير الرأسمالية باعتماد التبادل المتكافئ؟؟ لكن التبادل المتكافئ لا يتم الا بين بلدين متكافئين فأين وكيف ستجد روسيا بلداً منفصلا عن السوق الامبريالية الدولية

بالطبع لن تجد روسيا مثل هذا البلد الا اذا قامت هي بفصله أو ساعدته على الانفصال وفي هذا كلفة وأي كلفة!!

قضية القضايا لأي حزب شيوعي لا يريد ان يستبدل يافطته الشيوعية في روسيا وفي سائر بلدان العالم أيضا هي **التفسير العلمي الماركسي لما آل اليه الاتحاد السوفياتي** حصن الاشتراكية الحصين في سالف الأيام والمعسكر الاشتراكي الذي امتد على اربع قارات. تفسير الحزب الشيوعي الروسي بقيادة زيوجانوف لذلك تفسير سخيف لدرجة انه لا يقنع مفسريه . **انه يعزو ذلك الانهيار العالمي الى خيانة اقترفتها الدوائر العليا الحاكمة في الاتحاد السوفيتي.**لكن **زيوجانوف** لم يبين طبيعة الخيانة ، خيانة من ولصالح من؟! لماذا يدفع الحزب الشيوعي السوفيتي بقطيع من الخونة الى أعلى قمة هرمه؟ .. ما يكذب مزاعم الخيانة هذه التي ليس لدى زيوجانوف وحزبه غيرها هو ان دولة عظمى تقود صراعا عالميا وتمتلك من القدرات البشرية والمادية ما كان يمتلكه الاتحاد السوفيتي ان دولة بهذه الأوصاف لا يرد ابدا في تعليل ايه تغيرات جذرية فيها ولو من قبيل الخيال او التخيل فكرة خيانة الطبقة الحاكمة للنظام والدولة . هذا اولا وثانيا هو ان الرؤوس الكبيرة الموصوفة بالخيانة ما زالت تجد قطاعات واسعة من الشعب تتجشم عناء الوصول الى صناديق الانتخابات لتقترع لصالحها.

لكن لماذا يريدنا زيوجانوف ان نقبل بحجته السخيفة التي تعلل التغيرات الجذرية في بنية ودور الاتحاد السوفياتي والتي لا يستطيع ان يأتي بغيرها وهي الخيانة (الحزب الشيوعي الروسي) قفز عن هذه القضية ، قضية القضايا ، قفزة بهلوانية لأن أي مواجهة جديه من شأنها أن تؤدي لها ادانة هذا الحزب وكشف أوراقه التي لا تختلف ابدا عن اوراق الحزب الشيوعي السوفيتي المنحل بقيادته (الخائنة). ولئلا تكون بهلوانية الممثل موضع استغراب المشاهدين يبرر المخرج زيوجانوف أن «الدراما السوفياتية لا تخضع لتفسير او تأويل أحادي الدلالة» ومع ذلك فانه يريح المشاهد من مهمة الاستدلال على طبيعة حزبه (الشيوعي) الروسي عندما يقول في وثيقته «ان مثل هذه السياسة- سياسة حزبه- تواجه اية حكومة ذات سيادة بغض النظر عن توجهها السياسي والاقتصادي والاجتماعي» فأي إمرئ هنا ليس اشتراكيا وليس تقدميا . ليس له لون او رائحة!! ولذلك فانه سيمد «علاقات بجميع الاتجاهات» وسيقبل «مساعدات بشروط مقبولة» وسيراعي دور الغرب في العالم المعاصر » وخاصة في اطار سياسة روسيا مع الجمهوريات السوفياتية -سابقا» وستكتسب علاقات روسيا بالغرب أهمية مبدئية » وبالتالي فانه يقدر الحضارة الغربية تقديرا عالياً». الخيانة التي وصف بها زيوجانوف الدوائر العليا للحزب الشيوعي السوفيتي لم توصل تلك الدوائر إلى هذا الحديث الخياني ولا إلى ما هو أقل منه بكثير.



كارل ماركس

مشاغبات

زمامير بلا عيد.. وزغاريد بلا فرح

أرجو ألاّ يؤاخذنى الذين وجدوا فى الانتقادات التى وجهتها بعض الصحف الأمريكية للادارة المصرية، بدعوى تساهلها فى تطبيق العقوبات الدولية المفروضة على ليبيا، مبرراً لدق طبول التأييد- للإدارة المصرية بالطبع- وللعودة للهتاف الشهير: بالروح .. والدم ..ح نكمل المشوار .. إذا قلت لهم: لامؤخذاة!

وأرجو ألا يؤاخذنى الذين وجدوا فى الملاسنات التى تبادلها المسئولون الاسرائيليون والمصريون ، ووصلت إلى حدّ التهديد المتبادل بالحرب، فرصة للنفخ فى زمامير التبشير بأن عهداً جديدا يوشك أن يبدأ ، إذا قلت لهم: لامؤخذاة .. كمان .. وكمان!

وليس معنى ذلك أننى أؤيد -والعياذ بالله- الهجوم الذى شنته الصحف الأمريكية على الإدارة المصرية ، أو أتجاهل دلالة الخطط الإسرائيلية لتحريض الإدارة الأمريكية على تقليص مساعداتها لمصر ، أو أننى لم أسعد لذلك الحزم الذى تعاملت به الإدارة المصرية مع التصريحات الاسرائيلية المهددة بالحرب.

وليس معناه كذلك، أننى أشكك فى دوافع الذين طبّلوا وزمّروا وأيدوا وبشروا وبايعوا ، وأعلنوا وقوفهم إلى آخر مدى، وراء الرئيس فى«الحرب» التى يخوضها ضد «الامبريالية الأمريكية» .. و«الهيمنة الصهيونية» صحيح أن من بين الذين فعلوا ذلك معارضون من النوع الذى يبحث عن ذريعة- مهما كانت تافهة - لكى يؤيد الحكومة ، من دون أن ينقح عليه ضميره الثورى ، ولكن الأصح من ذلك أن الجميع قد باتوا يشعرون بأن الأمة تقف وظهرها للحائط ، تحكمها سياسات لا تملك إلاّ الاذعان ، ويحلمون بأن تعود إلى ذلك العهد الذى كانت فيه ترفض الاذعان وتقاوم الطغيان، وتتعامل مع العالم بإحساس أوفر بالكرامة الوطنية ، يتمسك بالحقوق .. ولا يفرط فى أرض .. أو فى سيادة!

أما وقد انتهى ذلك العهد الذى كانت فيه مقالات الصحف وتصريحات المسئولين التى تندد بالإدارة الأمريكية وتتوعد إسرائيل بالويل والثبور ، توزن ب«الطرناطة» ، فقد كان منطقيا أن تأخذ الأمور حجماً أكبر من حجمها الحقيقى، وأن تدق الطبول ، وتنطلق الزمامير لمجرد أن صحيفة أمريكية اتهمت الإدارة المصرية بالشورية ، ولمجرد أن مسئولاً مصرياً ، رد على التهديد الإسرائيلى بالحرب .. بتهديد مماثل!

ومن دون تهويل أو تهوين .. فإن اقتطاع ما يوصف هذه الأيام بـ الأزمة فى العلاقات الإسرائيلية الأمريكية من السياق العام لتلك العلاقات ، ومن منظومة الأوضاع فى المنطقة سوف يقودنا إلى التعلق بالأوهام ، ويطيش بخطواتنا ، -ويطبولنا وزمامبرنا -عن الاتجاه الصحيح، فنعود كما عاد رئيس فرقة حسب الله للموسيقى النحاسية ، بخفى حنين .. لنقول :

لله يا رمزى!

وهذا السياق يقول أولا : إن الاعتراف بإسرائيل وتبادل العلاقات السياسية وغير السياسية معها ، قد أصبح قاعدة لسياسة النظام العربى منذ انعقد «مؤتمر مدريد» تحت مظلة أمريكية، مزركشة بألوان روسية ، بصرف النظر عن بعض الاستثناءات غير المؤثرة.

وهذا السياق يقول ثانيا: إن توقيع اتفاق «غزة/ أريحا»، قد انهى «مؤتمر مدريد» وقضى على فكرة التفاوض الجماعى العربى ، ورفع الحرج عن كثير من الأنظمة العربية التى وجدت في اعتراف أصحاب القضية الأصليين ، بإسرائيل، وتطبيعهم للعلاقات معها، اعلانات بانتهاء الصفة القومية للصراع العربى الاسرائيلى، وذريعة كافية لكى تقوم بالمثل!

وهذا السياق يقول ثالثا ، ونتيجة منطقية لأولاً وثانياً : أن السياسة المصرية ، قد فقدت الدور الإقليمىّ الذى كانت تلعبه منذ انعقدت المصالحة العربية فى أواخر الثمانينات ، باعتبارها وسيطاً بين الإسرائيليين والأمريكيين من جانب ، وبين الفلسطينيين والعرب من جانب آخر، ومكتبنا لتسويق السلام فى الأسواق العربية ، التى كانت ما تزال تضع برقع الحياء القومى على وجهها الصبوح ، وهو دور كان يحتفظ لها بمكانة خاصة لدى كل الأطراف، وخاصة لدى واشنطن وحلفائها من العرب وغير العرب فى المنطقة!

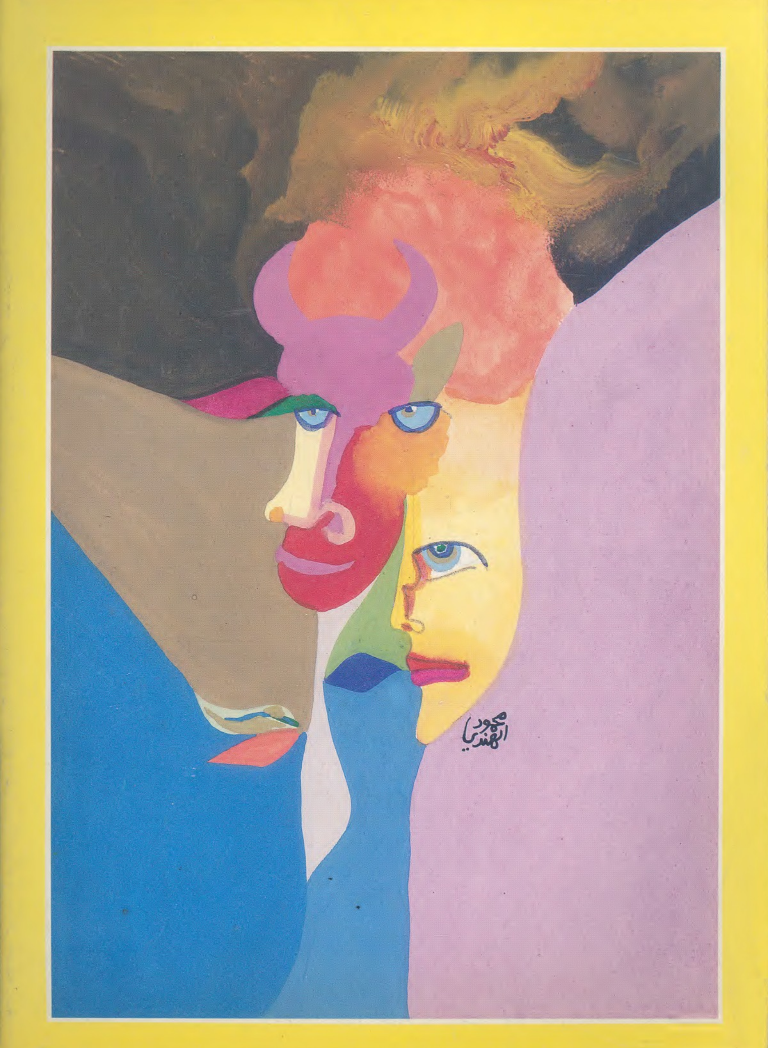
أما وقد فقدت السياسة المصرية مكانتها تلك لدى أسيادنا هؤلاء .. فقد كان طبيعياً . أن تظاهر التشدد السورى .. والتشدد الليبى ، وكان منطقيا ان ينتقدها حلفاء الأمس ، وأنَ ترد عليهم بنفس الحدّة ، ولكن داخل نفس السياق ومن أجل نفس الهدف!

باختصار : لم يتغير شئ .. ولكنها مجرد بالونات تفاوضية ، وصراع على وظيفة وكيل أمريكا وسمسار السلام فى المنطقة ، لا يدعو لكل هذا الضجيج الذى يبدو مجرد زمامير من دون عيد .. وزغاريد بلا فرح..!

صلاح عيسى

العيد السابع عشر لصدور الأهالى

١ فبراير ١٩٧٨- ١- فبراير ١٩٩٥


محمود
الهندي